البيان

في أركان الإيمان

كتاب منهجيّ تعليميّ مُيسّر

بقلم

مجد مكي

قدّم له

الدكتور يوسف القرضاوي

دار نور المكتبات

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الطبعة الثالثة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

تم اعتماد هذا الكتاب منهجاً دراسياً للمعاهد والكليات القرآنية التابعة للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم في مختلف دول العالم .

هاتف: ٢٥٢٥٥٢٢ ٩٦٦+
فاكس: ٦٤٠٦٦١١ ٩٦٦+
البريد الالكتروني: info@.hqmi.org.sa

دار نور المكتبات
السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريد: ٢١٤٩٩

البيان
في أركان الإيمان

كتاب منهجي تعليمي ميسر

بقلم
مجدي مكي

قدم له
الدكتور يوسف القرضاوي

دار نور المكتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام عَلَى رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

أما بعد: فقد سعدتُ منذ سنواتٍ بمعرفة الابن النجيب، والأخِ الحبيب، الأستاذ مجد مكّي الَّذِي أُعجبت بِهِ وأحببته من أول لقاء.

فقد رأيت فيه ـ عَلَى حداثةِ سنِّه يوم رأيته ـ قارئاً نَهِماً، مشغوفاً بالكتب، مُطَّلعاً عَلَى المصادر، مُميِّزاً بينها، عالِماً بخصائصها، عارفاً بالأصيلِ والثانوي منها، مُحِبًّا للعلماء، وخصوصاً المتميِّزين منهم، ساعياً إلى التعرُّف عليهم، والاقترابِ منهم، والتأسِّي بِهِم، والانتفاع بِمَا عندهم من علمٍ وعمل، ولا سيّما علماء الشام الأعلام، أمثال العلامة الفقيه مصطفى الزرقا، والعلامة الأديب علي الطنطاوي حفظهما الله، والعلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

لَقَدْ وجدتُ عند هَذَا الشَّاب النابِه ما لم أجده في كثيرين من الشباب الَّذِينَ تخرَّجوا في الكلِّياتِ الشرعية، والجامعاتِ الدينية، من عقلٍ متفتِّح، وبصيرةٍ نيِّرةٍ، ودأبٍ في البحث، وصبرٍ عَلَى التحصيل، وحسن اختيار لِما يقرأ ويحصِّل، وَقَدْ قيل: أخبرني ماذا تقرأ؟ أخبرك من أنت.

هَـذَا مـع أدبٍ جَـمٍّ، وخلـقٍ كـريـم، وتـواضـعٍ محمـود، لا يَـدَّعِـي، وَلَا يتباهى، وَلَا يثني عِطْفَهُ تيهاً وفخراً، بل كاد يود أَنْ يَظَلَّ مغموراً، لا يعرفه إِلَّا أهل العلم.

ولَطالما ألححتُ عليه أَنْ يكتب وينشر بعض علمه عَلَى الناس، إذ لا يجوز لَهُ أَنْ تكون لديه هَذِهِ الكنوز الثمينة من المعرفة ثم يُخبئها في صدره أو في خزانته، وَلَا تنتفع الأمة بِهَا، في حين نرى أناساً لا يملكون بعض ما يملك من أدواتِ العلم، يطْلعون علينا كل يوم، بِمَا لا يُسمن من شبعٍ، وَلَا يُغني من جوع.

ولكنَّ الشيخَ مَجْداً ـ حفظه الله ـ شأنه شأن أهل العلم الأُصَلاء، كَانَ يتهَيَّبُ هَذَا الموقف: أَنْ يخرج على الناس بكتابٍ أو مقالة لم تنضج عَلَى نارٍ هادئة، ولم تأخذ حقَّها من العِناية فكرةً وعرضاً وأسلوباً.

ولهذا رحبتُ بِهذا الكتاب الَّذي كتبه الشيخ مجد في (أركان الإيمان) وَقَدْ عرفتُ من مقدمته أَنَّهُ سبقه ثلاثةُ كتبٍ في نفس الموضوع بعنوان: (غِراس الإيمان) و (دعائم الإيمان)، للمرحلتين الابتدائية والإعدادية، وهذا الكتاب أُلِّفَ للمرحلة الثانوية.

والحقيقة أنِّي وجدتُ الكتاب جامعاً شاملاً لكلِّ أركانِ العقيدةِ الستة من الإيمان بِاللَّهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدَرِ، بل زاد عَلَى ذَلِكَ بعض الفروع في العقيدة الَّتي شعر المؤلف بحاجة الطالب إِلى معرفتها، مثل سؤال القبر ونعيمه وعذابه، ومثل أشراط الساعة، والتفصيل في ذِكر الجَنَّة وألوانِ نعيمها، والنار وعذابِها.

وَقَدْ راعى المؤلف ما ينبغي أَنْ يُراعى في هَذَا التأليف المدرسي، من حيث وضوحُ الفكرة، وحُسن العرض، وسلاسة الأسلوب، وجودة التقسيم

والتبويب، وتوثيقه بالأدِلَّة العقلية والشرعية، ووضع العناوين الجانبية المعينة عَلَى حُسن الفهم، وختَمَ كل درس بأسئلةٍ مناسبةٍ لَهُ، بل أضاف إِلى ذَلِك ذِكر توجيهاتٍ نافعةٍ للمدرسين، هي ثمرة معرفةٍ وخبرةٍ وتجربةٍ وَلَا شك.

كما اهتم المؤلف الكريم ببيان آثارِ العقائد الإسلامية في النفس وَالحَيَاةِ، أو في الفرد والمجتمع، مثل آثار التوحيد، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقدَرِ وغيرها، كما بدأ كتابه ببيان أوجه الحاجة إِلى العقيدة.

وعُنِيَ كذلك ببيان خصائص العقيدة الإسلامية ومزاياها عَلَى غيرها من العقائد الدينية والأيديولوجية الوضعية المختلفة، الَّتي عرفَها الناس.

وَقَدْ أحسن المؤلف ـ سَدَّدَهُ الله ـ حين جعل عمدته ومرتكزَه الأول: القرآن الكريم، لأن أسس العقائد ثابتة في القرآن، فلا تكاد تخلو صفحةٌ من الكتاب إِلَّا وفيها آيةٌ، أو أكثر، ثُمَّ ما لا بدَّ منه من صِحاح الأحاديث وحِسانِها، بِمَا يزيد الأمر وضوحاً.

وَهُوَ كذلك قَدْ أحسن الاستفادة من المراجع العلمية قديمها وحديثها، واقتبس منها في مواضع جَمَّة، وأجاد الاقتباس، وهذا يدل عَلَى مَدَى هضمه وتمثُّلِهِ لما قرأ، وإنصافه في نسبةِ الأقوال إِلى أربابِها، وإن كَانَ هناك كثيرون للأسف، يسرقون الأفكار، بل العبارات بنصِّها، وَلَا يعزونَهَا إِلى أهلها، وَقَدْ قَالَ سلفُنا رضي الله عَنْهُمْ: من بركةِ القول أَنْ يُنسب إِلى قائله.

لَقَدْ أخرجَت أرض حلب الشهباء نبتاً طيِّباً، وعالِماً جديداً، يُرجى أَنْ يكون لَهُ مكانه وتأثيره وإثماره، وإيتاء أُكله في ساحة العلم والدعوة، وإنَّه لِذَلِكَ لأَهل.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

شكرَ الله لأخينا الشيخ مجد، وسدَّد قلَمَهُ في خدمةِ العلم والدعوةِ إلى الإسلام، بلسانٍ عصري مبين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

الدكتور يوسف القرضاوي

الدوحة في غرة المحرم ١٤١٩

تقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتمُّ بنعمته الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام عَلَى نبيِّنا محمد سيِّد السادات وأشرف المخلوقات، الذي محا الله ببعثته الظلمات، وختم به النبوات، وعلى آل بيته الذين حَازوا المكرمات، ورضيَ الله عن أصحابه السابقين إلى الخيرات.

وبعـد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب: «**البيان في أركان الإيمان**» الذي وفَّقني الله تعالى لكتابته منذ أكثر من عشر سنوات، ولقي القَبول والاستحسان من كثير من أهل العلم والفضل.

وقُرِّر تدريسه في عدد من المدارس والمعاهد والجامعات، كما تدارسه طلبة العلم في بعض المساجد والحلقات.

وقد وفَّقني الله عزَّ وجل بعد كتابة هذا الكتاب المنهجي لتأليف كتب أخرى في العقيدة، فكتبت للمرحلة المتوسطة كتاب: «**الجمان في أصول الإيمان**»، وطُبع عدة طبعات وترجم إلى بعض اللغات.

كما كتبت حاشية موسَّعة على كتاب: «**تسهيل الوصول**» للشيخ محمد الطيب الأنصاري المتوفى سنة **١٣٦٣**، استقيتُها من كتب أهل السنَّة الثقات، ونـأَيـتُ بهـا عـن غُلـوِّ الغـاليـن، وإفـراط المفـرطيـن، فكـان هـذا الشـرح

ـ بفضل الله ـ من أتمِّ الشروح وأفضلها. وقد طُبع الطبعة الأولى سنة ١٤١٩، ثم طبع بعد ذلك عدَّة طبعات.

كما وفقني الله تعالى لكتابة شرح مُفَصَّل على كتاب: «**العقيدة الإسلامية**» للعلاَّمة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز المتوفى ١٣٣٤ ـ رحمه الله تعالى ـ، وصدرت الطبعة الأولى ١٤٢١ في مجلد، فكان ـ بفضل الله عزَّ وجل ـ من أوفى الشروح وأحسنها.

ثُمَّ شُغلت بأعمالٍ علمية كثيرة جدًّا، وكان مِن أبرزها توجُّهي لكتابة تفسيرٍ تدبُّريٍّ موجزٍ لكتاب الله سبحانه، سمَّيته: «**المعين على تدبُّر الكتاب المبين**»، وقد صدر بعون الله وتوفيقه سنة ١٤٢٧.

ولا زالت لديَّ الكثير من الأعمال العلمية التي أسأل الله سبحانه أن يُبارك لي في الوقت والعمر لإتمامها على الوجه الذي يُرضيه.

وقد رجعت إلى كتابي الأوَّل «**البيان**»، فأعدت النظر فيه، وأضفت إليه بعض الإضافات اليسيرة، وعدَّلت بعض التعديلات، لا سيَّما في الدرس الحادي والستِّين. وقد حَرَصتُ على إبقاء الكتاب في مضمونه وشكله كتاباً تعليميًّا تربويًّا تتحقَّق فيه معايير المنهج العلمي والكتاب المدرسي.

وأسأل الله سبحانه أن يرزقني الإخلاص والسَّداد، وأن يتقبَّل منِّي هذا الجهد، وينفع بجميع ما كتبت، وأن يجعله في صحائف الحسنات، ويتجاوز عن الزلاَّت والهفوات.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم تسليماً كثيراً.

جدّة في ٩/ ربيع الأوَّل/ ١٤٢٩هـ

وكتبه

محمد مكي

بسم الله الرحمن الرحيم

التقـدمة

الحمدُ للَّهِ الذي هدانا للإيمان، وزيَّنه في قلوبنا، وكرَّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعِصيان، والصَّلاةُ والسلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلانِ على مَن أَنْزَلَ اللَّهُ عليه القرآن، وحفظه من الزيادة والنقصان، وَخَتَمَ بِرِسَالَتِهِ الأَدْيَانَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عن صحابته وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ.

وبعد؛ فَإِنَّ من أعظم الحقائق التي يجب على كلِّ مؤمن أن يتعلَّمها ويُعَلِّمها، ويسعى في بيانها ونشرها: حقائقَ الإيمان المُتمثِّلَةَ بالأركان الإيمانية السِّتَّة، التي غابَتْ عن إدراكِ كثيرٍ من أبناء المسلمين وعامَّتهم.

فأحببتُ أن أساهم بكتابة مُيَسَّرَةٍ واضحة لأركان الإيمان في هذا الكتاب الَّذي أَلَّفْتُه ليكون منهجاً دراسياً يقرَّرُ في بعض المعاهد الشرعية للمرحلة الثانوية، وما بعدَها من مراحلَ دراسيةٍ، فيصلحُ أن يكونَ مقرَّراً لمادة «العقيدة الإسلامية»، ومادة «الثقافة الإسلامية» للمرحلة الجامعية، ومرجعاً مقرَّباً، ومورداً عذباً لأساتذة التربية الإسلامية في تحضير دروسهم، وأداءِ مهمتهم في غرس الإيمان في قلوب طلابهم، وتقريب حقائقه إلى عقولهم بأسلوبٍ منهجيٍّ ميسَّر.

ويمكن دراسته أيضاً في حلقاتِ العلم في المساجد، وفي بيوت المسلمين يقرؤه الأبُ المسلم، أو الأمُّ المسلمة على أبنائهما؛ فيعود عليهم

بصحة العقيدة، والسلامة من الانحراف وراء شبهات الضلال، وتيارات الإفساد التي تحيط بهم في هذه الأزمان.

وهذا الكتاب هو الرابعُ من سلسلة كُتُبٍ تعليميَّةٍ منهجيَّةٍ كتبتُها في هذا الموضوع، وقد سبقه ثلاثةُ كتب في سلسلةٍ بعنوان «**غِراسُ الإيمان**» ستصدر قريباً بعونِ الله تعالى.

وهي كتبٌ تربويَّةٌ تعليميَّةٌ للأطفالِ والناشِئين في مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة.

وقد أتبعتُها بهذا الكتاب الذي بين يَدَيْكَ، لغرس العقيدة الإيمانية في القلوب، وترسيخها في النفوس، وفي كلٍّ واحدٍ من هذه الكُتُب ما ليسَ في الآخر، فهي بناءٌ متماسك يشدُّ بعضُه بعضاً.

وسأُتبعُ هذه الكُتُبَ الدراسِيَّةَ التعليميةَ ـ إن شاءَ اللّٰهُ تعالى ـ في مراحلها الثلاث بكُتُبٍ أكثر تفصيلاً، وأوسع شرحاً، وأتمَّ استقصاءً، أُفردُ فيها كلَّ ركنٍ من أركان الإيمان بكتابٍ واسعٍ مُفصَّل، وقد انتهيت من كتابة ثلاثة أركان، وأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يوفقني لإتمام الكتابةِ فيها على الوجه الذي يرضيه سبحانه.

وقد راعيتُ في هذا الكتاب أعمارَ الطلاب ومَقْدرتَهم على الفهم والاستيعاب، فقسمته إلى ثلاثةِ أقسامٍ بحسَبِ مراحلِ الدراسَةِ الثانويَّة وهي:

١ ـ الإيمان بالله سبحانه، والإيمان بالملائكة، للصف الأول الثانوي.

٢ ـ الإيمان بالكتب الإلهيَّة، والإيمان بالرُّسُل، للصف الثاني الثانوي.

٣ ـ الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقَدَر، للصف الثالث الثانوي.

وقد حرصتُ في هذا الكتاب على سهولة العبارة، وجمالِ الأسلوبِ،

وحُسنِ العرض، ووضوح المعنى، وتقريب الحقائق للأذهان.

ورتَّبتُ هذا الكتابَ على سبعةِ فصولٍ رئيسية، وجعلتُ تلك الفصولَ ضمن وحداتٍ دراسيَّةٍ بلغ مجموعها سبعةً وسبعينَ درساً، وُزِّعَتْ على أساسِ الحصص المتعادلة، بحيث تتلاءم كمية المادة العلمية في كلِّ درسٍ من الدروس مع الزمن المُخصَّصِ لها، وراعيتُ التنظيمَ والتسلسل في عرضِ المعلومات، والربط بين وحداتِ المنهج.

وأكثرتُ من وضع العناوين الجانبية، والاستشهادِ بالآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة، وتنويع الموضوعات، وتقسيم المباحث إلى فقرات، وعقد المقارنات، كما بيَّنتُ معاني الكلمات، وأتْبعتُ كلَّ حصَّةٍ دراسيَّةٍ بأسئلةٍ تُعِينُ الطالبَ على الحفظ والاستذكار.

وابتعدتُ عن المُصْطلحات والمباحث التي تعلُو عن فهم الطلاب، وتَجَنَّبتُ الخوْضَ في القضايا الجدَلِيَّةِ والأمورِ الخِلافِيَّةِ، وركَّزتُ على الجوانب العلمية التي تغرسُ الإيمانَ في القلوبِ، وبيَّنْتُ الآثار السلوكِيَّةَ والتربويَّةَ لكلِّ ركنٍ من أركان الإيمان.

وأسألُ اللّٰه سبحانه أن يَتَقَبَّلَ منِّي هذا الجهدَ الضئيل، والعملَ القليل، وأن يَجْعَلَهُ خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعَ به أبناء المسلمين، وأن ينفعني به يومَ الدين: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

والحمدُ للّٰهِ رَبِّ العالمين، وصلَّى الله على سَيِّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

وكتبه

محمد مكي

جُدَّة في ١٥ من المحرم سنة ١٤١٨هـ.

توجيهات عامة للمدرسين

إنَّ المناهج والكتبَ الدراسية مهما كانت صالحةً، جَيِّدَةَ الإعداد؛ فلن تكون لها النتائج الطيِّبة المرجُوَّة إلَّا إذا قيَّضَ اللَّهُ تعالى لها (المعلم الصالح)، فطبَّقها بروحٍ تربوية واعية. فالمعلم الكفء هو العنصر الأهم في عملية التربية والتعليم، وهو الَّذي يعطي مادة الدرس روحاً وحياةً، ويجعل منها نوراً تضيء به العقول والنفوس، لا مُجرَّدَ ألفاظٍ تُحشى بها الرؤوس.

فإذا وُفِّقَ المعلم في أداء واجبه أهدى إلى الأمة أجيالاً مؤمنة صالحة مستنيرة، وعلماء حكماء، وأمناء أقوياء، عاملين مخلصين.

وإنَّ أول ما يُعين المعلِّم على واجبه، ويُمكِّنه من حُسْنِ أدائه، أن يُدرك عِظَمَ أمانته وخطورة مسؤوليته، وأن يجعل نُصبَ عينيه أنه يربي قلوباً، ويكوِّنُ نفوساً، فيتجه إلى ما يكوِّنُ العقيدة السليمة، ويحقق الخُلُقَ الإسلاميَّ القويم، ويُنَمِّي التفكير المنهجي الصحيح، ومما يعينه على أداء رسالته[1]:

(١) مقدمة مناهج المواد الشرعية التي وضعها أستاذنا الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى للمدارس الشرعية الإعدادية والثانوية في سورية، للعام الدراسي ١٣٨٠ ص ١ ـ ٨ بتصرُّف.

١ ـ أن يكونَ اهتمامه بالتربية الإيمانية والسلوكية والفكرية فوق اهتمامه بالتلقين والحفظ، وتكونَ عنايته منصرفةً إلى جواهر الأمور دون ظواهرها الخالية من اللباب.

٢ ـ أن يُجيدَ إعداد درسه ليكون أبلغَ أثراً في نفوس المتعلمين، وأَدْعَى إلى حُسن تقبُّلِهم.

٣ ـ أن يُعْنَى بعَرْضِ الموضوعِ أوّلاً بطريقةٍ إجمالية كُلِّيَّةٍ، ينتقل منها إلى التفصيل والتحليل، وتجزئةِ الأفكار. ذلك أنَّ البدء بالجزئيات عدا ما فيه من جفافٍ وعُسْرٍ، يُسبِّبُ الغموضَ ويمنع من الإدراكِ الصحيح، والبصر الدقيق بحقيقةِ الموضوع.

٤ ـ أن يصل دَرْسَهُ بالحياة المحيطة بالطلاب ليكون أقربَ إلى نفوسهم، وأوضحَ في عقولهم، وأقوى إيقاظاً لنشاطهم.

٥ ـ أن يبذلَ جُهْدَهُ في ربط الطلاب بالدرس، ومشاركتهم الفَعَّالَة أثناء إلقائه.. فعَلى المعلم أن يَفْسَحَ المجال أمام طلابه لاستنباط الحقائق بأنفسهم مما يُمهِّده لهم في درسه، وعليه أن يطلب منهم تطبيق ما تَعَلَّمُوهُ بأمثلةٍ من عندهم، وليفسحَ أمامهم مجالَ السؤال والمناقشة والمشاركة للوصول إلى الحقائق، مع ربط العلم بالعمل.

٦ ـ أن يُذْكي رُوحَ التنافس البنَّاءِ بينهم، ويكافىء كلَّ جهدٍ بالثناءِ والمديح، وإظهارِ الرِّضا والتشجيع، وإثارة الاقتداء للمتقاعسين، والتعريض بكل عملٍ سيِّىءٍ دونما ذِكرٍ لصاحبه، بحيثُ يُلَمِّحُ ولا يُصَرِّح.

٧ ـ أن يعوِّد الطلاب على حبِّ المطالعة، والرجوعِ إلى المصادر الأصلية، وأن يكلفهم إعداد البحوث وارتياد المكتبات بأنفسهم،

ويُنَمِّي فيهم روح التتبُّع لِما يَجِدُّ من الدراسات وما يصدر من الكتب، ولا بأسَ أن يجعل المدرس بعض دروسه في المكتبة تحقيقاً لهذا الغرض.

٨ ـ أن يمنح طلاَّبه نصيباً من عطف الأُبُوَّة، فيستوعب نفوسهم، ويعيش مشكلاتهم، ويسعى لعلاجها.

٩ ـ أن يأخذَ نفسه بالتزام كلِّ ما يدعو إليه ليكون القدوةَ الطيِّبةَ الماثلة، فَإِنَّ المثَل المرَبِّي أنفذُ وأبلغُ من الحديث المسموع.

١٠ ـ أن يُغذِّيَ في قلوب طلاَّبه حقائقَ الإيمان، ويدعوهم للتخلُّقِ بأخلاق المؤمنين، فليست أمور العقيدة مجرَّدَ مباحثَ نظريةٍ، بل هي علم وعمل وسلوك يعيشه المؤمن في عباداته ومعاملاته، وفي سِرِّهِ وعلانِيَتِهِ، وفي أيام رخائه وأيَّامِ شدَّته.

١١ ـ أن يربطَ المدرسُ بينَ الإيمانِ والعلمِ، وأن يدعوهم إلى التأمُّلِ في آياتِ الله الكونيَّةِ والنفسيَّة، ويُعَوِّدَهم الانتقالَ من هذا التأمُّل إلى معرفة عَظَمَةِ الله سبحانه وقدرته والعبودية له.

وبعد؛ فَإِنَّ الكُتُب والمناهج ليست كل شيء في عَمَلِيَّةِ التربية والتعليم، والناحية النظرية (المعرفية) ليست إلَّا جانباً من جوانب شخصية الإنسان، وهناك الجانب العملي الذي تساعد على تنميتِه أنواع النشاط الذي يتمُّ في جوِّ المدرسة خارج الفصل؛ وبخاصة النشاطات الثقافية من خطابةٍ ومحاضراتٍ وندواتٍ ومجلاتِ حائطٍ ومجلاتٍ عامة ومسابقاتٍ مدرسية، ليَتِمَّ بناء الشخصية المسلمة القوية المتكاملة.

□□□

المدخل

١ ـ الحاجة إلى العقيدة.

٢ ـ المعنى الإجمالي لأركان الإيمان.

الدرس الأول

١ ـ الحاجةُ إلى العقيدة

١ ـ حاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في الوجود(١):

حاجةُ الإنسان إلى عقيدةٍ دينية صحيحة(٢) تنبثق من حاجته إلى معرفة نفسه، ومعرفة الوجود الكبير مِن حوله، أي إلى معرفة الجواب عن الأسئلة التي شُغلت بها فلسفات البشر ولم تُجِبْ عنها بجوابٍ يشفي الغليل، ويطمئِنُّ به القلب.

فالإنسان تُلِـحُّ عليه أسئلةٌ كُبرى يحتاج إلى الجواب عنها:

من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟

(أ) **من أين** جئتُ وجاء هذا الكون الكبير؟ هل وُجِدْتُ وَحدي؟ أم هناك خالقٌ أوْجَدَني؟ ومَنْ هو؟ وما هي صِلَتي به؟

(ب) **إلى أين** المسير بعد هذه الرحلة القصيرة على ظهر الأرض؟ ماذا بعد الموت.. أَتُخْتَتَمُ الحياةُ بالموت؟ أم هناك وراء الموت

---

(١) من كتاب «مدخل لمعرفة الإسلام»، للدكتور القرضاوي ص ١٢ ـ ٢١.

(٢) **العقيدة**: من مادة (ع.ق.د) التي منها عُقْدةُ الحبل، وعقد البيع واليمين والعهد، فهي فعيلة بمعنى مفعولة، أي أنها معقودة وموثَّقَة وراسخة في قلب صاحبها. فالعقيدةُ: الإيمان الصادق الجازم في قلبِ كل مؤمن.

حياةٌ يُجْزَى فيها الذين أساؤوا بما عملوا، ويُجزى الذين أحسنوا بالحُسْنى؟

(ج) **لماذا** وُجِدَ الإنسان؟ وأُعْطِيَ العقل والإرادة، وسُخِّرَ له ما في السموات وما في الأرض؟ ما هي غاية وجوده، وكيف يعرفها؟

أسئلة تتطلَّبُ الجواب، ولا سبيلَ إلى الجواب الشافي إلَّا باللجوء إلى العقيدة الإيمانية الصافية.

العقيدة التي تُعَرِّفُ الإنسانَ أنه مخلوق لخالقٍ عظيم، خَلَقَهُ فسوَّاه فَعَدَلَهُ، ونفخ فيه من روحه، وأمدَّه بنِعَمِه.

والعقيدة هي التي تُعرِّفُ الإنسان: إلى أين يسير بعد الحياة والموت؟ إنها تعرِّفه أَنَّ الموت ليس فناءً محضاً، إنما هو انتقالٌ إلى حياةٍ أخرى برزَخِيَّة، بعدها نشأةٌ أخرى، تُوفَّى فيها كلُّ نفس ما كسبت..

والعقيدة هي التي تُعَرِّفُ الإنسان: لماذا خُلِقَ؟ ولماذا كُرِّمَ وفُضِّلَ؟.. إنه في هذه الدار للابتلاء، ليقوم بعبادة الله وحده، وعمارة الأرض وتسخيرها لِما يحب الله.

إنَّ الذي يعيش بغير عقيدة إيمانية صحيحة إنسانٌ شقِيٌّ محرومٌ، يعيش في ظلمات الشك والحَيْرَة والجهل.

٢ ــ حاجة الفِطرةِ البشريَّة:

ما ذَكَرْناه من حاجةِ الإنسان إلى العقيدة الإيمانية الصحيحة يتَّصِلُ بحاجاته العقلية، ولكن هناك حاجة الفطرة، فالإنسان يظل قَلِقَ النفس، جائعَ الروح، شاعراً بالفراغ والنقص حَتَّى يجد الإيمان بالله، فيطمئنَ بعد قلق، ويأمنَ بعد خوف، ويُحِس بأَنَّهُ وجَدَ نفسه.

ولهذا جعل القرآنُ الإيمانَ هو الفطرة البشرية نفسها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

٣ ــ حاجة الإنسان إلى الصحَّة النفسِيَّة والقوَّة الروحيَّة:

إنَّ الإيمان بالله سبحانه وعدلِهِ ورحمته، والجزاء في دار الخلود، تهب الإنسان الصحة النفسيَّة، والقوَّةَ الروحِيَّة، وتبعث في نفسه الأمل والتفاؤل والصبر.

وأما الذين يعيشون في دنياهم بغير إيمان ــ وبخاصَّةٍ إذا نزلت بهم الكوارث والمصائب ــ فإنَّهُم يُصابون بالقلق النفسي، والتوتُّر العصَبي، وينهارون بسرعة أمام نكبات الحياة، وينتحرون سريعاً، أو يعيشون مرضى النفوس.

٤ ــ حاجةُ المجتمع إلى بواعِثَ وضوابطَ أخلاقية:

وهناك حاجة أخرى إلى الإيمان وهي: حاجة المجتمع إلى بواعث وضوابط؛ بواعث تدفع الناس إلى عمل الخير وأداء الواجب، وإن لم يوجد من البشر مَن يراقبهم أو يكافئهم.. وضوابط تحكم علاقاتهم، وتُلزم كل واحدٍ منهم أن يقف عند حدِّه، ولا يتعدَّى على حقِّ غيره.

والقوانين الأرضية لا توجدُ تلك البواعث والضوابط، لأنَّ الإفلات منها ممكنٌ، والاحتيالَ عليها ميسور، ولهذا لا بدَّ من الوازع الذاتي من داخل النفس الإنسانية، من القلب الذي إذا صَلَحَ بالإيمان صَلَحَ عَمَلُ الإنسانِ كُلُّه، وإذا فَسَدَ فسدَ عمله كلُّه.

٥ ــ حاجة المجتمع إلى التعاون والتماسك:

للعقيدة الإيمانية الصحيحةِ دَوْرٌ كبير في توثيق الصِّلَةِ بين الناس، باعتبارهم جميعاً عبيداً لربٍّ واحد خلقهم، وأبناءً لأب واحد نَسَلَهُم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

والعقيدة الإيمانية تُنشىء الأُخُوَّةَ بين المؤمنين ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وما تُحْدِثُهُ هذه الأُخُوَّة من ثَمراتٍ في النفس والحياة، حَتى تجد أحدهم يحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه، بل يُؤْثِرُ أخاه على نفسه، ولو كان به فقرٌ وحاجة.

المناقشة

س١ ــ عَدِّدْ أوجه حاجة الفرد إلى العقيدةِ الإيمانية الصحيحة؟

س٢ ــ اذكر أوجُه حاجة المجتمع إلى العقيدةِ الإيمانية الصحيحة؟

س٣ ــ ما الأسئلةُ الكُبرى التي تُلِحُّ على الإنسان؟ وأين يجد الجوابَ عن تلك الأسئلة؟

س٤ ــ هل حاجةُ الإنسانِ إلى الإيمانِ حاجةٌ عقليةٌ فقط؟ وضِّح ذلك؟

س٥ ــ هل تستطيع القوانين أن تُوجِدَ البواعث التي تدفعُ إلى عمل الواجب، والضوابط التي تحكم علاقات البشَر؟

س٦ ــ للعقيدةِ أثرٌ كبيرٌ في توثيقِ الصِّلَةِ بين الناس. وضِّح ذلك.

□ □ □

الدرس الثاني

٢ ــ المعنى الإجمالي لأركان الإيمان

الأركان، جمع رُكْنٍ، وركنُ الشيءِ: جانبُهُ الأقوى، وكما أَنَّ كل بناء لا يقوم إلَّا على أُسسٍ قويةٍ ثابتة، كذلك فَإِنَّ بناء هذا الدين لا يقوم إلَّا على تلك الأركان، ولا يدخل المسلمُ في الإسلام إلَّا إذا صدَّقَ بها تصديقاً جازماً.

والإيمان في اللغة: التصديق الجازم.

وشرعاً: هو التَّصديقُ بالقلب، والإِقرارُ باللسان، والعملُ بالأركان.

وأركان الإيمان ستة، هي:

١ــ الإيمان بالله تعالى.
٢ــ الإيمان بالملائكة.
٣ــ الإيمان بكتب الله تعالى.
٤ــ الإيمان بالرُّسُل.
٥ــ الإيمان باليوم الآخر.
٦ــ الإيمان بالقَدَرِ خيره وشَرِّه.

وقد ذكَرَ اللّٰهُ سبحانه أركان الإيمانِ في أول سورة البقرة، وَوَسَطِهَا، وآخِرِها.

قال سبحانه في أول سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ٣]، والغيب: ما كان مُغَيَّباً عن العيون، وهو كل ما أُمرنا بالإيمان

به ممَّا غاب عن أبصارنا، وهو الله تعالى، والملائكة، والبعث والجنة والنار، وكذلك القدر.

ثُمَّ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، أي: يُصدِّقُون بالقرآن المنزَّل عليك، ﴿... وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، أي: الكُتُب المنزَّلة على الأنبياء من قبل: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وقال سبحانه في أواسط سورة البقرة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال سبحانه في آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الإيمانُ بالقَدَرِ إيمانٌ بمُقْتضى الكمال الإلهيِّ:

«لَم يذكر القرآنُ الكريم الإيمانَ بالقدر باعتباره ركناً مستقلاً من أركان الإيمان، بل اكتفى بالأركانِ الخمسة: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنَّبيِّين، كما جاء في آية البر: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي غيرها من الآيات.

والسرُّ في ذلك: أَنَّ الإيمان بالقَدَر داخلٌ ضِمناً في الإيمان بالله، بل هو جزءٌ حقيقيٌّ منه، لأنَّ تقديرَ الله سبحانه لِما يجري في هذا الوجود هو إيمانٌ بعلم الله سبحانه، وعموم مشيئته، وشمول قدرته، وعُلوِّ سلطانه وقهره»(١).

(١) التوحيد، للصف الثالث الثانوي في المعهد الديني بقَطَر ص ١٢.

«وكذلك فإنَّ الإيمانَ بكتبِ الله تعالى المذكورة في الآياتِ يشمل الإيمـان بكتـب الله القضـائيَّـة القـدَريَّـة التـي كُتِبَتْ فيهـا جميـع الحـوادث الكونية»(١). قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وبيَّنَ لنا رسول الله ﷺ أركانَ الإيمانِ السِّتَّةَ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان:

فقال: «**أن تُؤمنَ باللَّـه، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه**»(٢).

١ ـ **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بالله تعالى هو**: الاعتقادُ الجازم بِأَنَّ الله تعالى حقٌّ، وأنه واحدٌ لا شريك له، وأنه سبحانه مُتَّصِفٌ بكلِّ كمال، ومُنزَّهٌ عن كلِّ نقص، وأنه سبحانه هو المُسْتَحقُّ لأن نعبدَهُ ونطيعَهُ.

٢ ـ **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بالملائكة هو**: الاعتقاد الجازم بوجودهم، وأنهم مخلوقون من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمَرون. والتَّصديق بما سمَّى الله منهم في القرآن على التعيين، والتصديق بباقيهم إجمالاً.

٣ ـ **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بكتب الله تعالى هو**: الاعتقادُ الجازم بِأَنَّ الله تعالى أنزل على رُسُلِه كُتُباً مشتملةً على هَدْي العباد، وبيان ما فيه صلاح دنياهم وآخرتِهِمْ، وأنها وحيُ الله إلى رسله، وأنها حقٌّ وصِدْقٌ من عند الله عزَّ وجل. وأن نصدِّق بما سمَّاه الله تعالى لنا من الكتب،

(١) الإيمان بالملائكة، للشيخ عبد الله سراج الدين، رحمه الله تعالى ص ١٤.
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهي: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وكذلك الإيمان بأنَّ لله كتباً أخرى أنزلها الله على أنبيائه، لا يعرف أسماءَها وعددها إلاَّ هو سبحانه.

٤ ـ **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بالرُّسُلِ عليهم السلام هو**: الاعتقادُ الجازمُ بِأَنَّ الله تعالى بعث في كلِّ أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى توحيدِ الله تعالى، ويَدُلُّهُمْ على كلِّ خير في دنياهم وآخرتهم، ويُحَذِّرُهُمْ من كلِّ شرٍّ في دنياهم وآخرتهم، والتَّصديق بمن سمَّاهم لنا منهم في القرآن، والإيمان كذلك بأنَّ لله رسلاً آخرين لا يعلم أعدادَهم وأسماءَهم إلاَّ هو سبحانه.

٥ ـ **وَمُجْمَلُ الإيمانِ باليومِ الآخر هو**: الاعتقاد الجازم بصدق كلِّ ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله ﷺ مِمَّا يكون بعد الموت، ويشمل فتنة القبر، وما بعد ذلك من البعث والحشر والحساب وفصل القضاء والجزاء وأخذ الصُّحف والميزان والصِّراط والجنة والنار.

٦ ـ **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بالقدر هو**: التَّصديق الجازم بِأَنَّ كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدَرِه، وأنَّ ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن نرضى بذلك.

وسَنَدْرُسُ هذه الأصولَ الإيمانيَّة ـ في هذا الكتاب ـ بشيءٍ من الشرح والتفصيل إن شاء الله تعالى، وبه المستعان.

الإيمانُ كُلٌّ لا يَتَجَزَّأ:

والإيمانُ بهذِهِ الأركانِ الستَّةِ كلِّها كُلٌّ لا يَتَجَزَّأ، فليس بمؤمنٍ مَن آمنَ باللَّـهِ ولم يؤمن بملائكته، ولا مَن آمنَ بملائكته ولم يؤمن برُسُلِهِ وكُتُبِهِ، ولا مَن آمنَ بكُلِّ هذا ولم يؤمن باليوم الآخر.

قال الله تعالى مُنَدِّداً على اليهود، ومُهَدِّداً لهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

المناقشة

س١ ـ **ما معنى الركن، وما أركان الإيمان؟**

س٢ ـ **ما معنى الإيمان في اللغة والشرع؟**

س٣ ـ **اذكر آية من القرآن فيها ذِكر أركانِ الإيمان.**

س٤ ـ **اذكر دليلاً من السنَّة على أركان الإيمان السِّتَّة.**

س٥ ـ **وضِّح معنى الإيمان الإجمالي بكُلٍّ ممَّا يأتي:**
الإيمان باللَّـهِ ـ بالملائكة ـ بكُتُبِ الله سبحانه ـ بالرُّسُل ـ باليومِ الآخر ـ بالقَدَر.

س٦ ـ **لِمَ لَم يَذكُر القرآنُ الكريم (الإيمانَ بالقدرِ) ركناً مستقلاً من أركان الإيمان؟**

س٧ ـ **ماذا يشمل الإيمانُ بكتبِ الله سبحانه؟**

س٨ ـ **ما معنى الغيبِ في اللغة، وما المرادُ منه في الشرع؟**

س٩ ـ **ما حُكمُ مَن آمنَ ببعض العقائدِ الإيمانيَّةِ وكَفَرَ ببعضِها الآخر؟**

❑ ❑ ❑

الفصل الأول

الإيمان بالله

١ ــ الإيمان بوجودِ الله تعالى.

٢ ــ توحيد الله تعالى.

٣ ــ كمالُ الله سبحانه.

٤ ــ عبادةُ الله عزَّ وجلّ.

٥ ــ ثمار الإيمان بالله عزَّ وجلّ.

الدرس الثالث

الإيمانُ بالله عزّ وجَلّ

معناه:

الإيمانُ بالله تعالى هو الاعتقادُ الجازمُ بِأَنَّ الله حقٌّ، وأنه واحدٌ لا شريكَ له، وأنه مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ، ومُنَزَّهٌ عن كلِّ نَقْصٍ، وأنه وحدهُ سبحانه المُسْتَحِقُّ لأن نعبدَهُ ونطيعَه.

١ ـ الإيمانُ بوجودِ الله تعالى

«الإيمانُ بأَنَّ الله سبحانه وتعالى هو حقٌّ ـ واجب الوجود ـ، أول واجب إيماني، فقد قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور: ٢٥]، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس: ٣٢].

ومعنى الحق في اللغة هو: ما وَجَبَ إثباتُه والاعترافُ به، ولا يمكن إنكارُهُ والشكُّ فيه لقوَّة ثبوتِه وقطعيَّةِ حُجَّته.

فوجودُ الله سبحانه حقٌّ ثابت، مركوزٌ في الفِطَرِ السليمة، واضحٌ في العقول السَّوِيَّة. وقد تظاهرت الأدلةُ والبراهين على إثبات وجوده سبحانه،

فهو سبحانه ﴿ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، أي: الذي لا يخفى إثباتُ وجودِهِ على أيِّ عاقل، بل هو سبحانه **(الظاهر)** ولا أظهرَ وجوداً منه، فلا يُشكُّ فيه، كما أنه لا شك في وجود الكائنات المشهودة.

قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ . . .﴾ [إبراهيم: ١٠]، فكما أنه لا شك في وجودِ السمواتِ والأرضِ المشهودة بالأبصار، فإنه من باب أَوْلَى لا شك في وجودِ مَنْ أَوْجَدَ السمواتِ والأرض، وهو الله تعالى»[١].

والأدِلَّةُ على وجودِ الله كثيرة، من أهَمِّها:

١ ـ دلالة الفطرة:

والفِطْرَةُ هي الخِلْقة التي خَلَقَ اللّـهُ الناسَ عليها، فقد خَلَقَ اللّـهُ الإنسانَ وفي أعماقه شعورٌ كامنٌ بوجود الخالق سبحانه.

قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠].

وقد يعاند بعض الناس، وتنحرف فطرتهم عند الرخاء، فيجحدون وجودَ اللّـه تعالى، أو يغفلون عنه سبحانه، فإذا أحاطَتْ بهم الشدائد لجؤوا إلى اللّـه عزَّ وجَلّ الذي يُجيب المُضْطر إذا دعاه.

وقد ذَكَرَ اللّـهُ تعالى ذلك عن المشركين فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢] [لقمان: ٣٢]، وقال سبحانه:

---

(١) «هدي القرآن إلى الحُجَّة والبرهان»، للشيخ عبد الله سراج الدين، رحمه الله تعالى ص ٧٤ ـ ٧٥ بتصرُّف.

(٢) **كالظُّلَل**: أي كالجبال، **دعَوا اللّـهَ مخلصينَ لَهُ الدين**: أي أنَّ الإنسان إذا وقع في شدَّةٍ ابتهل إلى الله تعالى بالدعاء، وتركَ كل ما عداه، ونسي جميع مَن سواه.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾[١] [الإسراء: ٦٧].

٢ ـ دلالة الكون:

إنَّ هذا الكونَ بكلِّ ما فيه من مخلوقاتٍ شاهدٌ على وجودِ خالقه العَلِيِّ القدير، وذلك من وجهين: الخَلْق، والإتقان.

(أ) أمَّا الخَلْق:

فهو تكوينُ الأشياء وإيجادُها بعد العدم، والبداهة تقضي بِأنَّ كُلَّ مخلوقٍ لا بدَّ له من خالق.

فانْظر إلى نفسك وما يُحيط بك، فهل خَلَقْتَ نفسَكَ؟ أو خَلَقْتَ السماءَ والأرض؟

إنَّكَ لا تستطيع أن تَدَّعي ذلك ولا غيرك، ومن البَدَهي أنها لا يمكن أن توجِدَ نفسَها، وأنه لا بدَّ من موجِدٍ لها؛ فلم يبقَ إلاَّ اللّـهُ الذي أوجدها.

قال تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦].

وهذه الحقيقةُ التي عبَّرَ عنها الأعرابي الساذج حينَ سُئِلَ عن وجودِ الله سبحانه؛ فقال: «البَعرةُ تَدُلُّ على البَعير، وأثرُ القَدَم يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، وبِحارٌ ذاتُ أمواجٍ؛ أفلا تدُلُّ على اللطيف الخبير!!».

(ب) وأما الإتقان:

فكلُّ ما في هذا الكون آياتٌ تَدُلُّ على عَظَمة صانعها، وحكمة مُقَدِّرها، وتنظيم مُبدِعِها، هذا الإبداع العجيب المُتقَن نجده في الكون من

---

(١) أي: إذا أصابتكم الشدَّة وخوف الغرَق في البحر، ذهب عن أذهانكم وخواطركم كل مَا تدعون من الأصنام وغيرها.

حولنا، وفي خلق الإنسان وتكوينه، وفي عالم الحيوان، وعالم النبات، وكلما تقدَّم العلم وازدادت المعارف الكَوْنيّةُ، ازداد المؤمن إيماناً بالصَّانع الحكيم.

قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وقد دعانا الله سبحانه إلى النظرِ والتفكُّرِ في صُنْعِ اللّٰه الذي أتقنَ كُلَّ شيء.

قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا(١)﴾ [النبأ: ٦ ـ ١٦].

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾(٢)﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ

---

(١) مِهاداً: فِراشاً للاستقرار عليها. أَوْتاداً: أي كالأوتاد للأرض، لِئَلّا تميدَ بنا. سُباتاً: قَطْعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم. سِراجاً وَهّاجاً: مصباحاً غاية في الحرارة وهي الشمس. المعصِرات: السحائب. ماءً ثَجّاجاً: مُنْصَبّاً بكثرة. أَلْفافاً: ملتفة الأشجار لكثرتها.

(٢) قَضْباً: علَفاً رطباً للدواب. حَدائِقَ غُلْباً: بساتين عظاماً متكاثفة الأشجار. أَبّاً: كَلأً وعشباً، أو هو التبن خاصة.

رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

وإليكَ هذه الأمثلة من العناية الحكيمة والإتقانِ العجيب في الأنفس والآفاق:

(أ) أمّا الأنفس:

فمثالها: خلق الإنسان، واقْرأْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ(١)﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

فهذه الآيات تلفتُ نظر الإنسان إلى أنه كان نُطْفَةً في الرَّحِم، فصارت النطفة بقُدْرَةِ اللّٰه وإبداعِهِ عَلَقَةً، ثم مُضْغَةً، ثُمَّ عِظاماً، ثُمَّ لحماً وأعضاءً وحواسَّ.. ثُمَّ يخرج بعد تلك الأطوار بَشَراً سويّاً على أحسن خِلْقَة.

(ب) وأمّا الآفاق:

فمثالها: هذه الكواكبُ التي نراها في السماء، تسيرُ بسرعة مُذْهِلَةٍ مُقدَّرة، لا تنحرف مداراتها، ولا تختلف عن مواعيدها، ولا تسقط على ضخامتها، ولا تتصادمُ ببعضِها.

قارِن بينها وبين الكرةِ الخفيفةِ الضَّئيلةِ التي تنطلق في الفضاء لحظةً، ثُمَّ لا تلبث أن تسقط على الأرض ـ على خِفَّتها وضآلتها ـ.

---

(١) قرار مكين: الرَّحِم، عَلَقَةً: قطعة دم جامد، مُضْغَةً: قطعة لحم صغيرة، وهذه الآية من أظهر صُوَرِ الإعجاز العلمي في القرآن، وينظر كتاب: «خلق الإنسان بين الطب والقرآن»، للدكتور محمد علي البار.

وقارِن بينها وبينَ هؤلاء المُشاةِ الذينَ يصطدم بعضهم ببعض وهم أصحاب عقلٍ وبصَر.

فمِن الذي أمسك هذه الكواكب فلا تقع، وسَيَّرَها فلا تَصْطَدم؟

إنَّهُ الله وحده.

وصَـدَقَ الله العظيـم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١].

وقـال سبحـانـه: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (١) [يـس: ٣٨ ـ ٤٠].

وقد ذَكَرَ الله تعالى دَلالتَي الآفاق والأنفس في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (٢) [فصِّلَت: ٥٣].

---

(١) **لمستقرٍّ لها**: لِحَدٍّ لها مُقَدَّرٍ تنتهي إليه من فلكها آخر السنة، أو لِحَدٍّ لها من مسيرها كل يوم. **والقمرَ قدَّرناه**: أي قدَّرنا نوره ومسيره، **منازل**: وهي ثمانيةٌ وعشرون منزلاً ينزلُ القمرُ كل ليلةٍ في منزلٍ منها لا يتعدَّاهُ. فإذا كان في آخرِ منازلِهِ رقَّ وتقوَّس. **حَتَّى عاد كالعرجون**: من الانعراجِ، وهو العودُ الأصفر العريض الخالي من الرُّطَب إذا يَبِسَ واعوجَّ. **وكلٌّ**: أي الشموسُ والأقمار. **في فَلَكٍ يسبحون**: يسيرون، والفلكُ مجرى الكواكب ومدارُ النجوم.

(٢) **الآفاق**: أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار والنبات. **وفي أنفسِهِم**: يعني من لطيف الحكمةِ وبديع الصنعة. **حَتَّى يتبيَّنَ لهم أنه الحق**: يعني لا يقدر على هذه الأشياء إلَّا الله تعالى، وقيل: يتبيَّنُ القرآنُ أنه من عند الله. (الخازن ٤: ٨٩).

س١ ــ ما معنى الإيمان بالله عزَّ وجَلّ؟

س٢ ــ وجود الله سبحانه حقٌّ، فما معنى الحق، واذكر الدليل على ذلك؟

س٣ ــ مِن الأدِلَّةِ على وجود الله تعالى: الفطرة، فما معنى الفطرة، وكيف تستدل بها على وجود الله سبحانه؟

س٤ ــ مِـن الأدلـةِ علـى وجـود الله تعـالـى: الخَلْـق. فمـا معنـى الخَلْـق؟ وكيف تستدل به على وجود الله عزَّ وجَلّ؟

س٥ ــ كلُّ مـا في الكون خلقَـهُ الله سبحانه بإتقـانٍ عظيم، وتنظيمٍ دقيـق، بَيِّنْ ذلك؟

س٦ ــ مِن أدِلَّـةِ الإتقان: خلـقُ الإنسان، اذكر الآيات التي تُذَكِّـر الإنسان بمراحل خَلقِه؟

س٧ ــ مِن أدِلَّةِ الإتقان: الكواكب التي نراها في السماء، فكيف تستدلُّ بها على وجود الله سبحانه مع الدليل؟

❑❑❑

الدرس الرابع

٢ـ توحيد الله تعالى

توحيد الله تعالى: هو الإيمانُ بأنَّ الله واحدٌ لا شريك له في ذاته[١]، ولا في صفاته[٢]، ولا في أفعاله[٣]، فهو سبحانه ربُّ العالمين خالقُ الكون ومدَبِّرُه، وهو المُسْتَحِقُّ للعبادة وحده.

الدليل على وحدانيّة الله

١ ـ دليلُ الخَلْق:

كما دلَّ هذا الكونُ بخلقه وإبداعِهِ على وجودِ الله سبحانه، وأنه الخالق المدَبِّرُ، دلَّ كذلك على وحدانيّة الله، وأنه المُتفرِّدُ بالخَلْقِ وحدَه.

فكُلُّ ما في هذا الكون يشهدُ أنَّ خالق هذا الكون واحدٌ لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي

(١) ومعنى أنه واحدٌ في ذاته **«وحدة الذات»**: أنَّ ذاته ليست مُرَكَّبة من أجزاء، وليست هناك ذاتٌ تُشبه ذاته تعالى.

(٢) ومعنى أنه واحدٌ في صفاته **«وحدة الصفات»**: أنه تعالى ليست له صفتان من جنس واحد، كقدرتين مثلاً، وأنه ليس لغيره صفة تشبه صفته، وأنه منفردٌ بهذه الصفات.

(٣) ومعنى أنه واحدٌ في أفعاله **«وحدة الأفعال»**: أنه تعالى المنفرد بالخلق والتكوين لجميع الكائنات.

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾[١]﴾ [البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٤].

٢ ـ دليلُ النِّظام المُوَحَّد:

إنَّ الناظرَ إلى الكون، والمُتأمِّلَ في عَجيب نظامه، وإحكامِ صُنْعِهِ، لَيَرى أنه يسير على نظامٍ واحد ينسِّق بين أجزائه جميعاً، هذا النظام المُحكَم في صنع الله يَدُلُّ على أنه صدَرَ عن إلهٍ واحد حكيمٍ عليم.

قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ[٢]﴾ [الملك: ٣].

(١) ذَكَرَ الله سبحانه ثمانية أنواع من عجائب مخلوقاته الدالة على وحدانيته:

١ ـ خلقُ السموات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وخلق الأرض وما فيها من الجبال والبحار والأنهار.

٢ ـ تعاقب الليل والنهار على محيط الأرض في الظلمة والنور بنظام محكم دقيق.

٣ ـ السُّفن التي تجري على وجه الماء.

٤ ـ ركوبها والحَمْل عليها، وتنقُّلها من بلدٍ إلى آخر، بما ينفع الناس.

٥ ـ نزول المطر من السماء الذي جعله الله سبباً لحياة النبات والحيوان والإنسان (الدورة المائية ودورة الحياة النباتية).

٦ ـ ما فَرَّقَه الله على الأرض من الدوابِّ كلِّها على اختلاف أحجامها وأشكالها.

٧ ـ تقليب الله الرياح وتنويعها في جهاتها وأحوالها.

٨ ـ الغيْم المذلَّل المسيَّر وَفق مقادير الله وأوامره الحكيمة بين السماء والأرض.

ففي هذه الأنواع الثمانية دلالة عظيمة على وحدانيّة الخالق سبحانه.

(٢) **تفاوُت**: أي اختلاف واضطراب، وحقيقةُ التفاوت: عدمُ التناسبِ، كأنَّ بعض الشيءِ يفوتُ بعضاً ولا يُلائِمُه.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ (1)﴾ [النمل: ٦٠ ـ ٦١].

٣ ـ عدم فساد الكون:

المقرَّر عند الناس جميعاً أَنَّ السفينةَ لا يُسَيِّرُها إِلاَّ رُبَّانٌ(2) واحد، ولو تَعَدَّدَ رؤساؤها لاضْطَرَبَتْ وَغَرِقَتْ، وكذلك الجيش لا يصلح إِلاَّ بقائدٍ واحد، والمصنع والمدرسة والأسرة..

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ (3)﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فلو كان لهذا الكون خالقان لفَسَدَ الكون، لأنهما لو اتَّفقا إرادةً وخلقاً فيعني أَنَّ كل واحدٍ منهما يحتاج للآخر، والإِله لا يحتاج، وإن اختلفا فسَدَ الكون لا محالة.

ولو كان في الكون إلـهان يُعبَدان ويُطاعان من دونِ الله لفسد الكونُ أيضاً، فلا يستحق العبادة مَعَ الله أحدٌ غير الله تعالى.

ومِنَ الآياتِ التي ذَكَرَها اللَّـهُ سبحانه للدلالة على وحدانيته قوله جلَّ شأنُه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ

---

(1) **حدائق ذاتَ بهجة**: أي بساتين ذات منظر حسن، **يعدلون**: يشركون، **رواسي**: أي جبالاً ثوابت، **بين البحرين**: أي العَذْب والملح، **حاجزاً**: مانعاً لا يختلط أحدهما بالآخر.

(2) **الرُّبَّان**: رئيس الملاَّحين، وجمعها: رَبابين.

(3) **فيهما**: أي في السماء والأرض، **لفسدَتا**: لخربتا وهلك مَن فيهما.

وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ففي هذه الآية دليلانِ على بطلانِ تعدُّدِ الآلِهَة:

١ ـ قولُه تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، أي: لانفرد كلٌّ منهم بما خلَق، فيحصل التَّبايُنُ والاختلاف بين المخلوقات المُتَّحِدَةِ الأنواع، فلا ينتظِمُ الكون، والمشاهدُ أَنَّ هذا الكون وُجِدَ على أتَمِّ نظامٍ، وأبدعِ صُنْع.

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، أي: لَقَهَرَ كلُّ إلهٍ الآخر وغلبَه، والعقل يقتنع بوجود التحارب والتغالب عند تعدُّدِ الحاكم. ومَن ظنَّ أَنَّ الإله يمكن أن يتَّفِقَ مع غيره، جرَّدَهُ من معناه، وأخرجه عن حقيقته، وجعله مقهوراً بمقتضى الاتفاق، لأن معنى الإِله: أنه صاحب السلطان المطلق، والنفوذ التام، والقهر والغلبة.

المناقشة

س١ ـ ما معنى توحيد الله عزَّ وجَلّ؟

س٢ ـ مِن أدِلَّةِ الوحدانية: دليل الخلْق، وضِّح ذلك مع الدليل؟

س٣ ـ مِن أدِلَّةِ الوحدانية: دليل النظام المُوحَّد، بيِّن ذلك مع الدليل؟

س٤ ـ مِن أدِلَّةِ الوحدانية: عدم فساد الكون، اشرح ذلك مع الدليل؟

س٥ ـ في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، دليلانِ على الوحدانية، وَضِّحهُما في ضوء ما تعرفه من تفسير هذه الآية؟

س٦ ـ بِمَ تَرُدُّ على مَن يقول: إنَّه يمكن تعدد الآلِهَة إذا وُجِدَ اتفاقٌ بينهم؟

❑❑❑

الدرس الخامس

حقيقة التّوْحيد

فصَّلَ القرآن حقيقة التوحيد ومعانيه، ولم يترك القرآن أيَّ حقيقةٍ من حقائق التوحيد إلَّا وبيَّنَها، وأقام الدليل عليها، **وأهم هذه الحقائق**[1]:

١ ـ إفرادُ الله في الخَلْق:

فالله وحده هو الذي خَلَقَ كُلَّ هذا العالم، والخَلْقُ يقتضي الرَّزْقَ[2] والإحياءَ والإماتةَ والتَّدبير.. فهو خالق الإنسان، وخالق السمواتِ والأرض، والأنعام، والنبات.. وقد فصَّل القرآنُ أنواعَ الخلق في آياتٍ كثيرة، وأجمله سبحانه بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]. ولا يستطيع أحدٌ من خلقه أن يدَّعي أنه الخالق أو الرازق أو المدبِّر لِذَرَّةٍ في السماء أو في الأرض: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١].

٢ ـ إفرادُ الله سبحانه في المُلْك:

إذا كان الله سبحانه هو الخالقُ، فهو المالكُ الحقيقيُّ لخَلْقِه.

(١) العقيدة الإسلامية في القرآن ومناهج المتكلِّمين ص ٩٥ ـ ٩٩ بتصرُّف.
(٢) الرَّزقُ: بفتح الراء، إيصال الرِّزق، والرِّزقُ: بالكسر، ما يُنتَفَعُ به.

قال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ [الفرقان: ٢].

﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وما يملكه الإنسان هو تسخيرٌ وعطاءٌ من الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: ١٣].

وإذا تَقَرَّرَ أَنَّ الله سبحانه له الخَلْقُ والأمرُ كُلُّهُ: فلا خالقَ إلَّا الله، ولا رازقَ إلَّا الله، ولا مُدَبِّرَ إلَّا الله وحده، ولا مالِكَ إلَّا الله؛ فَإنَّ هذا يُوجِبُ تعلُّقَ قلوبنا بالله عزَّ وجلَّ وحده، والتَّوكُّلَ عليه، وسؤالَه والافتقارَ إليه، لأنه سبحانه خَالِقُنا ورازقُنا ومالكُنا.

٣ ـ إفرادُ الله سبحانه في الحُكْمِ والتَّشريع والأمر والنهي:

الله سبحانه هو الخالق لخلقه والمالك لهم، فيجب ألَّا نبتغي غيره سبحانه حَكَماً.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

ومعنى ذلك: رفضُ الخضوع لكلِّ حُكمٍ غيرِ حُكم الله، وكلِّ أمرٍ غيرِ أمر الله، وكل قانونٍ غيرِ شرع الله، وكل وضعٍ أو فهمٍ أو فكرةٍ لم يأذن بها الله، ومَنْ قَبِلَ شيئاً من ذلك فقد أبْطَلَ حقيقة أساسيةً من حقائق التوحيد؛ لأنه ابتغى غير اللّٰـهِ حَكَماً، والحُكْمُ والتشريعُ من حَقِّ الله وحده.

قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٤ ـ إفرادُ اللَّـهِ سبحانه وتعالى في العبادة:

فإذا كان الله سبحانه هو الخالقَ المالكَ الحاكمَ المُشرِّعَ، فيجب أن تكون الطاعةُ والعبادة لله وحده.

فالعبادة حقُّ اللَّـهِ على العباد، وهي دعوةُ جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

والعبادةُ هي مطلوبُ اللَّـهِ سبحانه من الخَلْقِ. قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فاللَّـهُ تعالى وحده هو المستحِقُّ لجميع أنواع العبادة الظاهرة مثل: الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والدُّعاء، ... والباطنة، مثل: الخوف، والرجاء، والتوكل.

٥ ـ إفرادُ الله سبحانه بأسمائِه وصفاته وأفعالِه:

فالله سبحانه لا شريكَ له في ذاتِه، ولا في أسمائه، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعاله، فنُثْبِتُ لله سبحانه ما أثبت لنفسِه من صفات، وننفي عنه سبحانه ما نفى عن نَفْسِهِ من صفات، ونُنَزِّهُهُ عن مشابهةِ خَلْقِه.

والله سبحانه قد وصَف نفسه بصفاتٍ خاصَّةٍ له وحده، وصفاته سبحانه لا تماثل صفات المخلوقين.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فالله تعالى منزَّهٌ عن مماثلة أحدٍ من مخلوقاته في جميع أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يمكن لأحد من الخلق مهما عَلَتْ منزلته عند الله أن يحيط به علماً سبحانه، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والمؤمن يسألُ الله سبحانه ويدعوه بأسمائه وصفاته.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ(1)﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)(2)﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

---

(١) يعني ادعوا الله بأسمائه التي سمَّى بها نفسَهُ أو سمَّاه بها رسولَه، وفيه دليلٌ على أَنَّ أسماءِ اللَّـهِ تعالى توقيفية لا اصطلاحية، ومما يدلُّ على ذلكَ أنه يجوزُ أن يُقال: يا جواد، ولا يجوز أن يُقالَ: يا سَخِيّ، ويجوز أن يُقالَ: يا عالم، ولا يجوز أن يُقالَ: يا عاقل.

(٢) **القدُّوس**: أي الطاهر عن كل عيبٍ، المُنزَّه عمَّا لا يليق به. **المهيمن**: الشهيد على عبادِه بأعمالِهم الَّذي لا يغيب عنه شيء. **الخالق**: المبتدىء للخلق المخترع له على غير مِثالٍ سبق. **البارىء**: المنشىء لِما يريد بخلقه فيظهره من العدَم إلى الوجود. **المصوِّر**: لِما خَلَقَهُ وأنشأه على صورٍ مختلفة وأشكالٍ متباينة.

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾(1) [الحديد: ٣].

المناقشة

س١ ـ فصَّلَ القرآن حقيقة التوحيد، عَدِّدْ أهمَّ تلك الحقائق؟

س٢ ـ ما معنى: إفراد الله في الخَلْق، وماذا يقتضي الخَلْق؟

س٣ ـ الله سبحانه هو المالك الحقيقيُّ لخلقه، ما الدليل على ذلك؟ وماذا تُسمِّي ما يملكه الإنسان؟

س٤ ـ ما معنى إفرادِ الله عزَّ وجَلّ في الحكم والتشريع؟

س٥ ـ اذكر بعض أنواع العبادة الظاهرة والباطنة التي يجب صرفها لله عزَّ وجَلّ؟

س٦ ـ ما معنى إفراد الله سبحانه بأسمائه وصفاته؟

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي؟

(أ) عبادة الله سبحانه هي دعوة جميع الأنبياء والمرسَلين.

(ب) صفات الله سبحانه لا تماثِل صفات المخلوقين.

(ج) لا يمكن لأحدٍ من الخلق أن يحيط علماً بذاتِ الله سبحانه.

(د) وجوب إفرادِ الله سبحانه في الحكم والتشريع.

❑❑❑

(١) **الأول**: قبل كل شيءٍ بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجوداً، **والآخر**: بعد فناء كل أحد بلا انتهاء، **والظاهر**: الغالب العالي على كل شيء، أو الظاهر بالدلائل الدَّالَّة على وحدانيته، **والباطن**: العالِم بكلِّ شيء، أو الَّذي احتجب عن العقولِ أن تُكيِّفَهُ.

الدرس السادس

الشِّرك: صُوَرُهُ وأنواعه

«منذُ أقدمِ العصورِ ضَلَّ الناسُ عن التوحيد الَّذي بعثَ اللَّـهُ به الرُّسُلَ؛ فعبَدوا مِن دونِ اللَّـهِ آلهةً شتَّى، عبَدَ قوم نوح: وَدًّا، وسُواعاً، ويَغوثَ، ويَعُوقَ، ونَسْراً(1)، وعَبَدَ قومُ إبراهيم: الأصنام، وعبَدَ قدماءُ المصريين: العِجْل، وعبدَ الهندوس: البقر، وعبدَ أهل سبأ: الشمس، وعبَدَ الصابئون: الكواكب، وعبَدَ المجوسُ: النار، وعبَدَ العرب: الأوثانَ والحجارة، وعبدَ النصارى: المسيح وأمَّه، وعبدوا الأحبارَ والرهبانَ من دون الله، فهؤلاء كلُّهُم مشركون، لأنهم لم يفرِدوا الله تعالى بالعبادةِ التي لا تُسْتَحَقُّ لأحدٍ غير الله»(2).

تعريفه:

الشِّركُ ضِدُّ التوحيد، وهو اتِّخاذُ شريكٍ للَّـهِ تعالى في الذَّاتِ، أو في

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٩٢٠) في كتاب التفسير، تفسير سورة نوح، عن ابن عباس قال: «هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوحٍ، فلَمَّا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم: أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلَم تُعبَد، حَتَّى إذا هلك أولئك ونُسِخَ العلم، عُبِدت».

(٢) حقيقة التوحيد، للدكتور يوسف القرَضاوي ص ٢٤.

الصِّفاتِ، أو في الأفعال، أو في العبادة.

فالشِّركُ في الذات: أن يعتقدَ أنَّ ذاتَ اللّٰهِ كذاتِ المخلوق، كما قالت المُجسِّمة.

والشِّركُ في الصفات: أن يعتقدَ أنَّ للمخلوقِ صفةً كصفاتِ الله سبحانه وتعالى.

والشِّركُ في الأفعال: أن يعتقدَ أنَّ مخلوقاً يرزقُ، ويتصرَّف في الكائناتِ استقلالاً كما يتصرَّفُ اللّٰهُ تعالى.

والشِّركُ في العبادة: أن يعبد غيرَ الله، وأن يُعظِّمَه كتعظيمِ الله، وأن يُحبَّه كحُبِّ الله(١).

وقد حذَّرَ الإسلامُ من الشِّرك، ونهى عنه بكل صُوَرِهِ وأشكالِه(٢).

من صُوَرِ الشِّرك

١ ـ عبادةُ الأصنام:

وهي التماثيل التي عُبِدَت من دونِ الله، وكان المشركون يعبدونَ الأصنام والأوثان، وقد حذَّرَ القرآن من عبادتها.

قال الله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

ووصفها القرآن بما يُنفِّر الناس عنها ويُبعدهم عن عبادتها، وذكر قصةَ مُحطِّمِ الأصنام إبراهيم عليه السلام وقولَه لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢].

---

(١) العقيدة الإسلامية، للدكتور مصطفى الخن ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨.

(٢) العقيدةُ الإسلامية في القرآن ومناهج المتكلِّمين ص ١٠٤ ـ ١٠٦ بتصرُّفٍ وزيادة.

٢ ـ عبادةُ الشَّمسِ والقمرِ والكواكب:

وقد ردَّ الله تعالى على مَن عَبَدَ الشمسَ والقمرَ والكواكبَ بقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وحذَّرَ من عبادَتِها، والسجودِ لها، قال تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصِّلت: ٣٧].

٣ ـ عِبادة الملائكةِ والجن:

عَبَدَ المشركونَ الملائكةَ والجنَّ واتَّخذوهم شُركاء لله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ(١)﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

أي: أنَّ الشياطين زيَّنوا لهم عبادةَ الملائكة، وصوَّروا لهم صُوَراً وقالوا لهم: هذه صُوَرُ الملائكة فاعبُدوها. فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادةً لهم.

٤ ـ عبادة الأنبياء:

كعيسى عليه السلام الذي عَبَدَهُ النصارى، وجعلوه ابناً لله تعالى، وعُزَيْرِ الذي جعله اليهودُ ابناً لله عزَّ وجَلّ.

---

(١) **سبحانك**: تنزيهاً لكَ أن نَعبدَ معكَ غيرك. **أنت وليُّنا من دونهم**: أي نحن نتولاَّكَ ولا نتولاَّهم، والموالاةُ: خلافُ المعاداةِ من الوَلْيِ وهو القربُ. **الجن**: المرادُ بهم الشياطين. **أكثرُهم**: الإنسُ أو الكفَّار، **بهم مؤمنون**: مُصدِّقون للشياطين.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] [التوبة: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٥ ـ عبادةُ الأحبارِ والرُّهْبان:

وعبادةُ الأحبار والرُّهبان تكون بجَعْلهم حُكَّاماً مُشرِّعين، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[2] [التوبة: ٣١].

وقد بيَّن الرسولُ ﷺ معنى اتِّخاذهم أرباباً حينما قال لعَديٍّ بن حاتم رضي الله عنه: **«أمَا إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه»**[3].

(١) **يُضاهئون**: يشابهون، **يُؤْفكون**: يُصرفون عن الحقِّ بعد وضوح الدليل وإقامة الحُجَّة بأنَّ الله واحد.

(٢) **الأحبارُ**: هم العلماءُ، واحدُهُمْ حِبْرٌ وحَبْرٌ بكسرِ الحاءِ وفتحها. **والرُّهْبان**: أصحابُ الصَّوامع وأهل الاجتهادِ في دينِ النصرانية. **أرباباً**: يعني سادةً لَهُمْ في دين الله.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٩٥) في كتابِ تفسيرِ القرآن، واللفظ له، وقال: هَذَا حديثٌ غريب. ورواه ابن جريرِ الطبَري في تفسيره ١٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠ من ثلاث طرُقٍ.

٦ ـ عبادة الطاغوت:

الطاغوتُ: كلمةٌ مشتقَّةٌ من «الطغيان»، وهو مجاوزة الحد، وهو كل ما عُبد من دون الله[1]. ولقد كانت دعوةُ جميعِ الرسُلِ إلى قومهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وأثنى الله على المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ﴾ [الزمر: ١٧].

والتوحيد الحق لا يتم إلَّا إذا انضمَّ إليه الكفر بالطواغيت، والبراءة منها، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٧ ـ عبادةُ الهوى:

والهوى: هو المَيْلُ والمَحَبَّة، فيُؤْثِرُ ما تَميل إليه نفسه وتُحِبُّهُ على طاعة الله عزَّ وجَلّ ومحبَّته، فيكونُ بذلك مُتَّبِعاً لهواهُ، عابداً لشهواتِه ورغباته من دون الله.

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ومعنى اتخاذ الهوى إلـهاً، أي: حَكَماً مُطَاعاً.

(١) اختلفت عبارات السلف في تحديد معنى الطاغوت، فقال عمر رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان، وقال جابر رضي الله عنه: الطواغيت كُهّانٌ كانت تنزل عليهم الشياطين، وقال مالك: الطاغوت كل ما عُبِدَ من دون الله، فكلُّ مَنْ أطاعَ أحداً في معصية الله فقد عبَدَه.

المناقشة

س١ ـ ما معنى الشِّرك؟

س٢ ـ اذكر خمساً من صُوَرِ الشِّرك.

س٣ ـ كيف تكون عبادة الأحبار والرهبان؟ اذكر دليلاً على ما تقول.

س٤ ـ ما معنى الطاغوت؟ وما موقف المؤمن منه مع الدليل؟

س٥ ـ ما معنى الهوى؟ وكيف يقع الشِّرك فيه؟

س٦ ـ أكمل ما يلي:

(أ) ردَّ الله سبحانه على عَبَدَةِ الأصنام بقوله: ﴿ ....﴾.

(ب) وردَّ على مَن عَبَدَ الشمس والقمر والكواكب بقوله: ﴿ ... .﴾.

(ج) وحكمَ الله على الَّذِينَ جعلوا المسيح ابناً لله سبحانه بالكفر بقوله: ﴿ ....﴾.

(د) عَبَدَ قومُ إبراهيم ....،
وعبَدَ قدماءُ المصريين ......، وعبد الهندوسُ ....،
وعبدَ أهل سبأ ....، وعبَدَ الصابئون ....،
وعبَدَ المجوسُ ....، وعبَدَ العربُ ....،
وعبَدَ النصارى .... و .... و ....،
فهؤلاء كلهم .... لأنهم لَم يُفردوا الله تعالى بـ ....

□ □ □

الدرس السابع

أنواعُ الشِّرك

الشِّركُ نوعان: شركٌ أكبر، وشركٌ أصغر:

فالشِّركُ **الأكبرُ**: أن يجعلَ المرءُ لله تعالى شريكاً فيما هو من خالص حقه سبحانه، كأن يتَّخذَ مع الله إلهاً أو آلهةً، يعبُدُها، ويطيعُها، ويحِبُّها، ونحوَ ذلك مما لا يستحقُّهُ إِلَّا اللَّـهُ جلَّ شأنه.

وهذا هو الشِّركُ الأكبرُ الَّذِي لا يغفرُه الله، ولا يُدخلُ صاحبَهُ الجنَّة إن لَمْ يتُبْ منه.

والشِّركُ الأكبرُ نوعان: **ظاهرٌ جَلِيٌّ، وباطنٌ خفِيٌّ**[1].

فمن **الشِّركِ الأكبرِ الظاهرِ**: عبادةُ إلهٍ أو آلِهَةٍ مع الله، سواءٌ أكانَ هذا الإلهُ **كوكباً** كالشمس والقمر، أو **جماداً** كالأصنامِ والحجارة، أو كان **حيواناً** كالعِجلِ والبقَر، أو **إنساناً** كالذين عبدوا فرعون وأمثاله من الملوكِ الَّذِينَ ادَّعَوا الربوبيَّة، أو ادُّعِيَتْ لَهم، وكذلك الَّذِينَ عبدوا «بوذا»، أو «المسيح عيسى ابن مريم»، أو كان من **المخلوقاتِ المُغيَّبَةِ** عنَّا، مثل: الملائكةِ، والجنِ، والشياطين.

---

(١) حقيقةُ التوحيد ص ٤٣ ـ ٤٩، باختصار.

والشِّركُ الأكبر الخَفِي: هو الَّذي يخفى على بعض الناس، فيقعونَ فيه دونَ أن يخطُرَ بأذهانهم أنه يُنافي عقيدةَ التوحيد.

ومن أمثلةِ ذلك: **دعاءُ غيرِ اللّـه تعالى من الموتى**، والاستعانةُ بهم في قضاء الحاجاتِ وتفريجِ الكُرُباتِ ممَّا لا يَقْدِرُ عليه إلاَّ الله، باعتقادِ أَنَّ هؤلاءِ يَتَصَرَّفونَ في الأمورِ دونَ اللّـهِ، «وأنهم يضُرُّونَ وينفعون، وأنَّ لهم سُلطَةً وتأثيراً في الوجودِ»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ومن الشِّركِ الأكبر الخفي: **اتِّخاذُ غيرِ الله مُشَرِّعاً**: لأنَّ حقَّ التَّشريعِ للّـهِ وحده، فمن اتَّخَذَ غيرَ اللّـهِ تعالى مُشَرِّعاً فقد اتَّخذَهُ ربًّا معبوداً، وجعله لله شريكاً، وإن لم يُسَمِّهِ بذلك. قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

«وإذا كان هذا حكم اللّـهِ فيمن اتَّخذ غير الله مُشرِّعاً، واتَّبعه فيما لم يأذنَ به الله، فكيفَ بمن جَعَلَ نفسَه للّـهِ نِدًّا، فأعطاها حقَّ الحكمِ والتَّشريعِ، والتَّحليل والتَّحريم الَّذي هو من خصائصِ الأُلوهية»[2].

النوع الثاني: **الشِّركُ الأصغر**:

ودونَ الشِّركِ الأكبر: شركٌ أصغر، لا يُخرجُ عن المِلَّةِ لكنه يُنقص التوحيد، ويثلمُ الإيمان، وهو وسيلةٌ إلى الشِّركِ الأكبر، ومن كبائر الذنوبِ عندَ الله.

---

(١) حقيقةُ التوحيد ص ٧٠، باختصار.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩.

والشِّركُ الأصغر قسمان أيضاً: **ظاهرٌ جَليٌّ، وباطنٌ خفيٌّ**:

فمِن الشِّرك الأصغر الظاهر: **ألفاظٌ وأفعال**:

فالألفاظ: كالحَلفِ بغيرِ الله تعالى، والألفاظِ المُوهِمَةِ للشِّركِ.

١ ـ **الحَلفُ بغيرِ الله تعالى**: كأن يحلف بالنَّبيِّ، أو بالكعبةِ المُشَرَّفَةِ، أو بالوطنِ، أو الشَّرَفِ، أو الآباءِ والأجداد، وغير ذلك من المخلوقات.

وفي الحديث: «... مَن حلفَ بغيرِ اللّـهِ فقد كفرَ أو أشرك»[1].

وذلكَ لأن في القَسَم تعظيماً بالغاً للمُقْسَمِ به، والذي ينبغي أن يكون له غاية التَّعظيمِ هو اللّـه وحده.

٢ ـ **الألفاظُ المُوهِمةُ للشرك**: ومن الشِّركِ الأصغر ألفاظٌ فيها إيهامٌ للشركِ، وإساءةٌ للأدبِ مع الله تعالى.

وأمثلتها كثيرة:

(أ) من ذلك قولُ القائل: «ما شاءَ اللّـهُ وشِئتَ، ولولا الله وفلان»، وما شابهَ ذلك من الألفاظ.

والصوابُ أن يُقال: ما شاء اللّـهُ ثُمَّ فلان، ولولا الله ثُمَّ فلان، لأن ثُمَّ تقتضي الترتيب مع التراخي، فتُجعلُ مشيئةُ العبدِ تابعةً لمشيئةِ الله تعالى.

(ب) ومن ذلك التَّسمِّي بأسماء الله تعالى، أو بما لا ينبغي إلاَّ لله. مثل: التَّسمِّي بملك الأملاك، والتَّكَنِّي بأبي الحكم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦٠٧٢)، والترمذي في كتابِ النُّذورِ والأيمان (١٥٣٥)، وقال: هذا حديث حسن.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخنعُ الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك**»[1].

(ج) ومِن ذلك: أن يُسمَّى الإنسانُ باسمٍ مُعبَّدٍ لغير الله تعالى، كعبد الكعبة، أو عبدِ النبي، أو عبد الحسين، ونحو ذلك، فعن ابن سيرين رحمه الله: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

وأمَّا الأفعال: فمثل لبس حلقةٍ من المعدن، أو وضعِ خيطٍ يُربطُ بالعَضُدِ، وتعليق التمائم[2] خوفاً من العين، واعتقاد أنها أسبابٌ ووسائل ترفعُ البلاء، أمَّا إنْ اعتقدَ أنَّ لبسَ الحلقةِ والخيط، وتعليق التَّمائم تدفع أو ترفعُ البلاء بنفسها فهذا شركٌ أكبر[3].

القسمُ الثاني من الشِّركِ الأصغر: شركٌ خفي: وهو الشِّرك في الإراداتِ والنِّيَّات، **كالرياءِ والسمعة**، بأن يعمل عملاً ممَّا يُتَقَرَّبُ به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يُحسن صلاته، أو يَتَصدَّق لأجل أن يُمدح ويُثنَى عليه، أو يُحسِّنَ صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس، فيُثنوا عليه ويمدحوه.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) التَّمائم: جمعُ تميمة، وهي خرزةٌ تُعَلَّقُ للوقاية من العين ونحوها، ومن ذلك أيضاً: ما يُعَلَّقُ على أبوابِ المنازل، أو في مقدِّمة السيارات ونحوها من وضع حدوةِ فرس، أو حذاءٍ صغيرٍ، أو كفٍّ مرسوم، أو غيرِ ذلك، مما يزعمونَ أنه وقايةٌ من العين، وهذا جهلٌ وضلالة، إذ لا مانِعَ ولا دافعَ غير الله تعالى.

(٣) مقرَّر التوحيد، للصف الثالث الثانوي في المملكة العربية السعودية ص ٩.

والرياءُ من معاصي القلوبِ والكبائرِ المُوبقةِ الشَّديدةِ الخطر على النفس والعمل، لأن الإسلام يهتمُّ بالباعثِ على العمل أكثر من العملِ نفسه، وإذا كان الإنسانُ يعتبرُ التزويرَ من مخلوقٍ على مخلوقٍ مثله من شرِّ الرَّذائل وأبشعِ الجرائم، فكيف إذا كان التزويرُ من المخلوقِ على خالقه، فالجريمةُ أبشعُ وأشنع، وهذا هو عملُ المرائي يعمل لوجهِ الناس، وهو يريهِم أنه يريدِ الله كَذِباً وزوراً.

ولا عَجَبَ بعد ذلك أن يَفْضَحَهُ الله يومَ تُبْلى السَّرائر، ففي الحديث: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّـهُ بِهِ، ومَنْ يُرائي يُرائي اللَّـهُ بِهِ**»[1].

وقد حذَّرَ رسول الله ﷺ من الشِّركِ الأصغرِ فقال: «**إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم: الشِّركُ الأصغر**»، قالوا: وما الشِّركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال: «**الرِّياء**»[2].

الفرقُ بين الشِّركِ الأكبر والشِّركِ الأصغر:

هناكَ فروقٌ كثيرةٌ بينَ الشِّرك الأكبر والشِّرك الأصغر، أذكرُ لك أهمَّها:

١ ــ الشِّركُ الأكبر يُخرجُ من المِلَّة، والشِّرك الأصغر لا يُخْرجُ من المِلَّة.

٢ ــ الشِّركُ الأكبر يُحبطُ جميعَ الأعمال، والشِّركُ الأصغر لا يُحبط جميعَ الأعمال، وإنما يُحبط العمل الَّذي خالطه الرياء.

---

(١) رواهُ البخاري (٦٤٩٩) في الرقاق واللفظ له، ومسلم (٢٩٨٧) في الزهد. **سمَّعَ:** معناهُ: مَن أظهرَ عمله للناسِ رياءً أظهر الله نيَّتَهُ الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد.

(٢) رواهُ أحمد (٢٣٦٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١)، وقال المنذِريُّ: إسناده جيد، وقال الهيثميُّ بعدما عزاه لأحمد ١/١٠٢: رِجاله رجالُ الصحيح.

٣ ـ الشِّركُ الأكبرُ يُخَلِّدُ صاحبه في النار إن ماتَ عليه، والشِّرك الأصغر لا يُخَلِّدُ صاحبه فيها إن دخلَهَا[١].

والمؤمن يَحْذَرُ من كِلا النوعين ولا يستهينُ بالشِّركِ الأصغرِ لأنه قد يَخْفى عليه، ويؤدِّي إلى الشِّركِ الأكبر.

وقد حذَّرَ رسولُ الله ﷺ من الشِّركِ الَّذي يخفى على الناس فقال: «**اتَّقوا هذا الشِّرك، فإنه أخفى من دبيب النمل**»، فقالوا: وكيفَ نَتَّقيه وهو أخفى من دبيبِ النمل يا رسولَ الله؟ قال: «**قولوا: اللَّـهُمَّ إنا نعوذُ بك من أن نشركَ بك شيئاً نعلمه، ونستغفركَ لما لا نعلمه**»[٢].

المناقشة

س١ ـ ما أنواعُ الشِّرك؟

س٢ ـ ما حكمُ من اعتقدَ أَنَّ في الكونِ مَنْ يتصرَّفُ في الأمور استقلالاً دونَ الله سبحانه؟

س٣ ـ ما حكمُ من اتَّخذَ غيرَ اللَّـهِ مُشَرِّعاً؟ مع الدَّليل.

س٤ ـ ما حكمُ مَن حَلَفَ بغيرِ الله سبحانه؟ مع الدَّليل.

س٥ ـ ما حكمُ التَّسَمِّي بأسماءِ الله تعالى، أو باسم مُعبَّد لغير الله سبحانه؟

---

(١) مقرَّر التوحيد، للصف الثالث الثانوي في المملكة العربية السعودية، ص ١٠ ـ ١١.

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» ١/٧٦: رواهُ أحمد (١٩٦٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٠٣)، ورواته مُحتجٌّ بهم في الصحيح. . ، ورواه أبو يعلى بنحوهِ من حديث حذيفةَ إلاَّ أنه قال فيه: «يقولُ كلَّ يوم ثلاث مرَّات».

س٦ ـ ما حكمُ لبس الحلقة والخيط، وتعليق التَّمائم؟

س٧ ـ اذكر أهم الفروق بين الشِّرك الأكبر والشِّرك الأصغر.

س٨ ـ علِّل ما يلي:

(أ) من الشِّرك الأكبر: اتِّخاذ غير الله مُشرِّعاً.

(ب) من الشِّرك الأصغر: الحلف بغير الله تعالى.

(ج) من الألفاظِ الجائز استعمالها: لولا الله ثُمَّ فلان.

(د) الرياءُ من الكبائر الشديدة الخطر على النفس والعمل.

❑ ❑ ❑

الدرس الثامن

مفاسدُ الشِّركِ وأضراره

للشِّركِ مَفَاسدُ وأضرارٌ كثيرةٌ في حياةِ الفردِ والمجتمع، أذكرُ لكَ أهمَّها[1]:

١ ــ الشِّركُ ظلمٌ عظيمٌ:

الشِّركُ ظلمٌ عظيمٌ لأنه: ظلمٌ للحقيقةِ، وللنفسِ، وللغير.

ظلمٌ للحقيقة: لأنَّ الظلمَ وضعُ الشيءِ في غير موضعه، فمن عبدَ غير اللّٰهِ سبحانه فقد وضعَ العبادةَ في غير موضعها، وصرفها لغير مُستحِقِّها.

وظلمٌ للنفس: لأنَّ المشركَ جعلَ نفسهُ عبداً لمخلوقٍ مثله، أو دونه، وقد خلقهُ اللّٰهُ حُرّاً كريماً.

وظلمٌ للغير: لأنَّ من أشرك بالله غيره، فقد ظلمه، لأنه أعطاهُ من الحقِّ ما ليس له.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣].

(١) حقيقةُ التوحيد ص ٨٨ ــ ٩٢ بتصرُّفٍ واختصار.

٢ ــ الشِّرْكُ مصدر الخرافاتِ والأباطيل:

لأن الَّذي يعتقدُ بوجودِ مُؤثِّرٍ غير الله في الكونِ، من الكواكب أو الجنِّ أو الأرواحِ أو غير ذلك، يصبحُ عقله مُستعِدًّا لقبولِ كلِّ خرافة، وتصديق كلِّ دجال. وبهذا تروجُ في المجتمعِ المشرك بضاعةُ الكَهَنةِ والعرَّافين، والسَّحَرَةِ والمُنجِّمين، وأمثال هؤلاء ممَّن يدَّعون معرفةَ الغيب.

كما يشيعُ في ذلك المجتمع إهمالُ الأسباب والسُّنَنِ الكونية، والاتِّكال على التَّمائمِ والرُّقى الشِّركية والسحر، ونحو ذلك.

٣ ــ الشِّرْكُ مصدرٌ للمخاوفِ والأوهام:

إنَّ الَّذي يتقبَّلُ عقله الخرافات ويصدِّقُ الأباطيلَ والتُّرَّهات، يصبحُ خائفاً من جهاتٍ شتَّى: من الآلهةِ الباطلة، وسدَنَةِ هذه الآلِهَةِ، ومن الأوهامِ التي ينشُرها هؤلاء السَّدَنةُ وأتباعهم، ويروِّجونها بين الناس.

ولهذا ينتشرُ في جوِّ الشِّركِ التَّطَيُّرُ والتَّشاؤم والرُّعبُ من غيرِ سببٍ ظاهر، كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا[1]﴾ [آل عمران: ١٥١].

٤ ــ الشِّرْك مَهَانةٌ للإنسانيَّة:

الشِّركُ بكلِّ صوره ومظاهره وأنواعه ليس إلَّا امتهاناً للإنسان، وإذلالاً له، حيث يلزمهُ الخضوعُ للمخلوقات، والعبوديَّة لأشياءَ أو أُناس لا يخلقونَ شيئاً وهُم يُخْلَقون، ولا يملكونَ لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

(١) **بما أشركوا بالله**: أي كان السبب في إلقاء الرعبِ في قلوبهم: إشراكهم بالله سبحانه. **سلطاناً**: حجَّةٌ وبُرهاناً، وسُمِّيَتِ الحجة سلطاناً لقوَّتها على دفعِ الباطل.

فالإنسانُ الَّذي كرَّمَهُ الله تعالى وسخَّرَ له ما في السَّمواتِ وما في الأرض، يهينُ كرامته، ويحطُّ قدرهُ، فيخضعُ ويذِلُّ، ويسجدُ لبعض عناصر هذا الكونِ الَّذي سخَّرَهُ اللَّهُ له.

وقد صوَّرَ القرآنُ كيف ينْحَطُّ الشِّركُ بأهله، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾(١) [الحج: ٣١].

٥ ــ الشِّركُ مُعطِّلٌ لإيجابيَّةِ الإنسان:

والشِّركُ مُعوِّقٌ للعمل النافع، مُعطِّلٌ لإيجابيَّةِ الإنسان، ذلك لأنه يعلِّمُ أصحابه الاتكالَ على الشُّفعاء والوسطاء، فهُم يرتكِبون الموبقات، ويقترفون الآثام، معتمدين على أنَّ آلهتهم ستشفع لهم عند الله تعالى.

وهذا ما كان يعتقده مشركو العرب في آلهتهم وأصنامهم، في نفوذِ مشيئتِها مع الله تعالى(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

(١) خرَّ: أي سقط. فتخطفه الطير: أي تسلبُهُ بسرعةٍ وتذهبُ به. وقد شبَّهَ الإيمانَ بالسَّماء، والذي أشركَ بالله كالساقطِ من السماء، والأهواءُ التي تُوزِّعُ أفكاره بالطيرِ المختطِفَة، والشياطينُ التي تطرحهُ في أوديةِ الضلال بالريحِ التي تهوي به في المهاوي المُتْلِفة.

(٢) وهذا النوعُ من الشفاعة هو الشفاعة الشركيَّة التي أبطلها القرآنُ، أمَّا الشفاعةُ التي يعتقدها المؤمنون، فهي دعاءُ الشافعِ للمشفوعِ فيه، فيستجيبُ الله بفضله لِمَن شاء. وهي ما كانَ بإذنِ اللَّهِ للشافع ورِضاه عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ومثل هؤلاءِ: النَّصارى الَّذين يعملون ما شاءَ لهم الهوى من المنكراتِ، معتقدينَ أنَّ ربَّهم المسيح قد كفَّرَ عنهم الخطايا، حين صُلبَ ــ بزعمهم ــ وفدى البَشَر.

٦ ــ آثارُ الشِّركِ في الآخرة:

تلكَ بعضُ آثارِ الشِّرك في الدنيا، أما في الآخرةِ فلهُ آثارٌ خطيرةٌ في عاقبةِ الإنسانِ ومصيره، أذكرُ لك أهمَّها:

(أ) الشِّركُ ذنبٌ لا يغفره الله بحالٍ لِمَنْ لم يتُب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

(ب) والشِّركُ يُحبطُ جميعَ الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾(١) [الأنعام: ٨٨].

(ج) والجنَّةُ حرامٌ على المشرك أن يدخلها، والنارُ مأواه ومثواه خالداً فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

المناقشة

س١ ــ لماذا كانَ الشِّركُ ظُلماً عظيماً؟

س٢ ــ الشِّركُ مصدرُ الخرافاتِ والأباطيل، بيِّن ذلك.

س٣ ــ الشِّرك مصدرٌ للمخاوفِ والأوهام، وضِّح ذلك.

(١) الحبوط: مأخوذٌ من «حبطتِ الناقة»، إذا انتفخَ بطنها وماتت نتيجة تناولِها طعاماً سامّاً، والمرادُ بحبوطِ العمل: ضياعُ نتيجته وانقلابه بالوبال على صاحبه.

س٤ ـ الشِّركُ مهانةٌ للإنسان، اشرح ذلك.

س٥ ـ لِمَ كانَ الشِّركُ مُعطِّلاً لإيجابيَّةِ الإنسان؟

س٦ ـ تكلَّم عن آثارِ الشِّركِ في الآخرة، مع الأدلَّة.

س٧ ـ أكمل الأدلَّةِ الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشدُ إليه:

(أ) ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا ....﴾.

(ب) ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا ....﴾.

(ج) ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ....﴾.

(د) ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ....﴾.

❑ ❑ ❑

الدرس التاسع

٣ ـ كمالُ اللّهِ تعالى (أسماؤهُ وصِفاتُه)

لا بُدَّ مع الإيمان بوجودِ الله تعالى وَوَحدانيَّته من الإيمانِ بأنه تعالى مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ يليقُ بِذَاتِهِ الكريمة، مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقْص.

فما مِن صفةٍ من صفاتِ الكمالِ المُطلَقِ إلَّا واللّهُ تعالى مُتَّصِفٌ بها، فوق ما تتصوَّره عقولُنا المحدودة، وأعلى مما تحتمله قوالبُ اللغةِ المحصورة، فهو كَمَالٌ مُطْلَقٌ لا يمكن إخضاعُه لمقياسٍ ممَّا يعرفه الناس.

دلَّ على ذلك: هذا الكون البديع وما فيه من إحكامٍ عجيب، وَهَدَتْ إلى ذلك الفطرة البشريَّة النيِّرة، وفصَّلت ذلك رسالات الله تعالى إلى أنبيائه.

وسأذكر فيما يلي بعضاً من صفاتِ الكمالِ التي تفرَّدَ بها الخالق سبحانه، فلا يُشاركه فيها أحدٌ مِن خلقه:

١ و ٢ ـ فهو سبحانه (الأوَّل والآخِر):

الأول الذي لا ابتداء لوجوده، ولم يُسبَق بعدم، **والآخِرُ الَّذِي** لا آخر لوجوده، ولا يلحقه العدم.

قال سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨].

٣ ـ وهو سبحانه (الحيُّ):

الذي أَوْجَدَ الحياة وأمدَّ بها كُلَّ حيٍّ، فهو مصدر الحياة ومُعطيها لكلِّ حيٍّ، له صفة الحياةِ على أكمل ما تكون الحياة.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ[1] ﴾ [طه: ١١١].

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

خصائص تُميِّز حياةَ الخالق عن غيره:

(أ) الحياةُ التي يتَّصف بها الله سبحانه هي الحياة الذاتيَّة التي لم تأتِ من مصدرٍ آخر، أمَّا حياة جميع المخلوقات فمُكْتَسَبَةٌ موهوبةٌ من الخالق سبحانه.

(ب) وحياته سبحانه أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية، أمَّا حياة الخلائق فهي مرتبطة بالزمان، محدودة البدء والانتهاء.

(ج) وحياتُهُ سبحانه حياةٌ كاملةٌ، لا يعتريها ما يلحق بحياة المخلوقات من نومٍ، أو غفلةٍ، أو تعبٍ، أو مللٍ، أو فتور[2].

٤ ـ وهو سبحانه (العليم):

الذي لا يخفى عليه شيء، يعلم الأشياءَ كلَّها عِلمَ إحاطةٍ وانكشاف،

(١) **وعَنَت**: أي ذلَّت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عانٍ.

(٢) التوحيد، للصف الثاني الثانوي في المعهد الديني بقطر ص ٩٦.

السِّرُّ عنده علانِيةٌ، والغيب عنده شهادة، لا تقف أمامه حواجز الزمان والمكان، ولا تخفى عليه خافية.

قال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩].

فهذه المخلوقات وما فيها من إحكامٍ وإتقان تستلزم علم خالقها، لأنَّ الفعلَ المُحكَم المُتْقَن يمتنع صدورُه عن غيرِ عالمٍ.

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

وعِلمُ الله سبحانه يختلف عن علمِ الإنسان؛ إذ علمُ الإنسانِ قليلٌ، مُقَيَّدٌ بزمانٍ ومكان، قد اكتسبَه من بعد جهل، أمَّا علمُ اللَّـهِ سبحانه فهو علمٌ محيطٌ بكلِّ شيءٍ منذُ الأزل، يعلمُ الجُزْئيَّات والكُلِّيات، ولا يتقيَّدُ بزمانٍ ولا مكان، ولا يعتريه النسيان.

٥ ـ وهو سبحانه (القدير):

الذي لا يُعجزه شيء، وآثار قدرته مبثوثةٌ في الأنفس والآفاق، وفي السموات والأرض.

فهو سبحانه يجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاه، ويكشفُ السُّوءَ، ويُحيي العظامَ وهي رميم، ويعيدُ الخلق كما بدأهم أول مرة.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

٦ ـ وهو سبحانه (الحكيم):

الذي خَلَقَ الكونَ بإحكام وإتقان، فلا يقع في مُلكه تفاوتٌ ولا فطور[١]، ولا يقع في تدبيره خَلَلٌ ولا اضطراب.

والله سبحانه لَم يخلق هذا الكون لعباً ولهواً: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦].

ولَم يخلق الإنسانَ عَبَثاً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

فكلُّ ما خلقه الله سبحانه فيه حكمة، فهو سبحانه الحكيم الذي لا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يترك شيئاً سُدًى، ولا يفعل فِعلاً أو يُشرِّعُ شرعاً إلاَّ لحِكَمٍ عرفَها مَن عرفَها، وَجهِلَهَا مَنْ جهِلَهَا.

وهذا ما شَهِدَ به الملائكة في المَلأ الأعلى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وما شهد به أنبياءُ اللّه وأولياؤه، وأُولو الألباب مِن عباده: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٧ ـ وهو سبحانه (الرحمن الرحيم):

الذي سبقت رحمتُه غَضَبَه، وَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كلَّ شيء، كما وسِع عِلْمُهُ كلَّ شيء.

---

(١) **تفاوت**: اختلافٌ وتناقُض، **وفطور**: شقوقٌ وصدوع.

وقد حكى القرآن دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ورحمته سبحانه وسِعَتْ في الدنيا: المؤمنَ والكافرَ، والبَرَّ والفاجرَ، ولكنها تكون يوم القيامة خاصَّةً بالمتَّقين كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد بدأ سُوَرَ القرآن بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للدلالةِ على سَعَةِ رحمتِهِ وَتَقْوِيَةِ الرَّجاء في قلوب عباده، وإن وقعوا في الذنوبِ والآثام: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٨ و ٩ و ١٠ ـ (السمع والبصرَ والكلام):

وهي صفاتُ كمالٍ لله سبحانه، أرشدَ إليها النقل والعقل.

ففي السمع: قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقالَ سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

وفي البصر: قال سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصِّلَت: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولقدْ وردَ الدليلُ العقْلي مُؤيِّداً للدليل النَّقْلي في إثباتِ هاتين الصِّفتين، وملخَّصُه: أنَّ عدم السمع والبصر نقص، والنقص مُحالٌ على الله تعالى.

قال تعالى مُنَدِّداً بِمَن يعبدُ إلهاً لا يسمع ولا يُبصر على لسانِ إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢].

وفي الكلام: قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

والكلامُ كمالٌ، ولو لم يكن اللَّـهُ سُبْحانَه مُتَّصِفاً بِهِ لكانَ ناقصاً، تعالى اللَّـهُ عن ذلك.

وقد احتجَّ الله سبحانه على بطلانِ رُبُوبيّة عجْلِ بني إسرائيل بقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه: ٨٩].

المناقشة

س١ ـ كيف تستدلّ على كمال الله عزَّ وجَلّ؟

س٢ ـ ما معنى الأوّل والآخر؟

س٣ ـ حياةُ الخالق سبحانه تتميَّز عن حياة المخلوق، اذكر ثلاث خصائص تُميِّزُ حياته سبحانه وتعالى عن غيره.

س٤ ـ كيف تستدل على ما يلي:

(أ) صفة العلم لله سبحانه وتعالى.

(ب) صفة القدرة لله عزَّ وجَلّ.

(ج) صفة الحكمة لله عزَّ وجَلّ.

س٥ ـ اذكر مع التوضيح الدليل العَقْلي والسَّمْعي على ثبوت صِفَتَي السَّمع والبصر لله عزَّ وجَلّ.

س٦ ـ اذكر الدليلَ النقليَّ والعقْليَّ على ثبوتِ صِفةِ الكلامِ للَّـهِ سبحانه.

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) الله سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء.

(ب) الله سبحانه وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء.

(ج) رحمته سبحانه خاصة بالمتَّقين يوم القيامة.

❑❑❑

الدرس العاشر

التَّنَزُّهُ المُطْلَقُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ

كمَا أَنَّ الله سبحانه وتعالى مُتَّصِفٌ بالكمالات المُطلقة التي وَصَف الله عزَّ وجَلّ بها نفسه في كتابه الكريم لنعرفَهُ ونصفَهُ بها، فهو سبحانه وتعالى مُنزَّهٌ عن النقائص ومُبَرَّأٌ منَ الآفات لِنُنَزِّهَهُ سبحانه وتعالى عنها.

والله سبحانه أَمَرَ بإثباتِ الكمالاتِ له وتنزيهه عن النقائص بقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠].

والتَّسبيح: تنزيهُ الله تعالى.

والحَمْد: إثبات الكمالات لَهُ عزَّ وجَلّ.

ومن النقائص التي نفاها الله عزَّ وجَلّ عن نفسه:

١ ــ **نفي الشريك**: قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

فكلُّ مَن في السموات والأرض خَلْقُهُ وعِبادُه: الملائكة في السموات، والجنُّ والإنس في الأرض، كُلُّهُمْ في قَبْضَتِهِ وقُدْرَتِهِ وطَوْعِ مشيئته.

وهو سبحانه له التدبير المطلق وما لغيره شَرِكَةٌ معه في التدبير والتصرُّف والتأثير، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

٢ ــ **نفي الولد والوالد والصاحبة**: قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ (١)﴾ [البقرة: ١١٦].

٣ ــ **نفيُ العجز**: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

٤ ــ **نفيُ اللُّغوب**: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ (٢)﴾ [ق: ٣٨].

٥ ــ **نفيُ النوم**: قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ (٣)﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٦ ــ **نفيُ النسيان**: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقال أيضاً: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ (٤)﴾ [طه: ٥٢].

---

(١) **قانِتون**: طائعونَ خاضعون.

(٢) **لغوب**: أي إعياءٌ وتعَب.

(٣) **السِّنَةُ**: ما يتقدَّم النوم من الفتور الَّذِي يُسمَّى نُعاساً، وهو النوم الخفيف، والمعنى: لا تأخذه سِنَةٌ فضلاً عن أن يأخذهُ نوم، لأنَّ النومَ والسهو والغفلة مُحَالٌ على الله تعالى، لأنَّ هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم، وذلك نقصٌ وآفةٌ وتَغَيُّرٌ، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن النقص والآفات والتغيُّر.

(٤) وأمَّا قولُه سبحانه عن المنافقين: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي أنهم تركوا أمرَ اللَّهِ فجازاهم بأن صيَّرَهُمْ بمنزلة المنسِي من ثوابه ورحمته (الخازن ٢/ ٢٤٠). وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، أي: نتركهم في العذاب، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦]، أي: تُتْرَك في النار.

٧ ـ **نَفْيُ الظلم**: قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

٨ ـ **نفيُ اللَّعِبِ والعَبَثِ**: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٩ ـ **نَفْيُ الإحاطةِ به سبحانه وإدراكه**: فالله سبحانه لا مشابهةَ بينه وبين المخلوقات.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، أي: لا شبيه له ولا عديل ولا مثيل.

فليس في استطاعة العقل البشري إدراكُ كُنْهِهِ سبحانه، ولا معرفةُ حقيقته، كيف وقد عجز الإنسان عن معرفة كُنْهِ[1] ذاته، وكثيرٍ من حقائق الكون، فكيف يطمع في معرفة ذاتِ اللَّـهِ العَلِيِّ الكبير.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣].

(١) **الكُنهُ**: جوهرُ الشيءِ وحقيقته.

المناقشة

س١ ـ ما معنى تسبيح الله وتحميده؟

س٢ ـ نفى الله عزَّ وجَلّ عن نفسه:
١ ـ العجز، ٢ ـ واللغوب، ٣ ـ والنوم.
اذكر دليلاً على كُلٍّ ذلك.

س٣ ـ نفى اللَّـهُ عزَّ وجَلّ عن نفسه:
١ ـ النسيان، ٢ ـ والظلم، ٣ ـ واللعب والعبث.
اذكر دليلاً على كُلٍّ ذلك.

س٤ ـ هل يستطيع العقل البشري أن يدرك حقيقة الخالق سبحانه.
اذكر الدليل على قولك.

س٥ ـ أمر الله عزَّ وجَلَّ بإثبات الكمالات له وتنزيهه عن النقائص.
اذكر الدليل على ذلك.

❑ ❑ ❑

الدرس الحادي عشر

٤ ـ عِبادةُ الله عزَّ وجَلّ

معنى العبادة:

لغةً: التَّذَلُّلُ والخضوع، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ، أي: مُذَلَّل.

وفي الشَّرع: «العبادةُ هي اسمٌ جامعٌ لكُلِّ ما يُحِبُّهُ الله ويَرضاهُ من الأقوالِ والأعمال الظاهرةِ والباطنة»(١).

العبادةُ ابتلاءٌ إلهيٌّ للمُكَلَّفين:

لقد خلقَ اللّٰهُ عزَّ وجَلّ الجنَّ والإنسَ ليَبْلُوَهُمْ في هذه الحياةِ الدنيا، ويمتحنَهُم أيُّهم أحسنُ عملاً، ومنَحَهُمْ شروط الامتحان: العقل، والإرادة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٢) [الملك: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

---

(١) «العبودية» ص ٣٨.

(٢) **لِيَبْلُوَكُم**: أي لأجل أن يمتحنكم، وهذه اللام لامُ التعليل.

العبادة مطلوبُ الله سبحانه من المكلَّفين:

ومطلوبُ الله سبحانه من عباده في هذا الامتحان أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾(١)﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

أي: ما خلقتُ الجنَّ والإنسَ ممتحنين في هذه الحياة الدنيا، إلَّا لأطلب منهم أن يعبدوني، وعبادتهم لله سبحانه لا تُقَدِّمُ له نفعاً، ولا تزيد في ملكه شيئاً، وجحودهم ومعصيتهم لا تضرُّ الله شيئاً، ولا تنقص من مُلكهِ سبحانه.

العبادةُ حقُّ اللّٰهِ تعالى على عباده:

العبادةُ حَقٌّ ذاتيٌّ لله سبحانه على عباده، باعتبار أنَّهم عبادُه وهو سبحانه ربُّهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾(٢)﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢].

---

(١) اللامُ في قوله سبحانه: **(ليعبدون)** هي لام الطلب، وليست لام التعليل، ولو كانت هذه اللام للتعليل ولبيان الغاية من الخَلق ما استطاع أحدٌ من الجنِّ والإنسِ أن يعصيَ الله في شيءٍ، لأنَّ مرادَ الله سبحانه لا يَتخلَّف. وينظر: «ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة»، للأستاذ عبد الرحمن الميداني ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢) أي: وأنتم تعلمون أنَّ الأوثان التي تعبدونها والآلِهَةَ التي اتَّخذتموها لا تنفعكم ولا تضرُّكم، بل هي عاجزةٌ عن الدفاع عن نفسها.

وفي حديثِ معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللّٰهِ ﷺ قال: «**هل تدري ما حقُّ اللّٰهِ على عبادِهِ**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حَقُّ اللّٰهِ على عبادِهِ أن يعبدوه ولا يُشْرِكُوا به شيئاً**»[1].

معنى «لا إلـه إلاَّ الله»: لا يستحقُّ العبادة إلاَّ الله:

فاللّٰهُ تعالى هو الذي يستحقُّ أن نعبده وحده دون أيِّ موجود آخر. فالعبادة لا تصحُّ ولا تجوز ولا تحقُّ لغير الله، فالمعبود بحقٍّ هو الله تعالى فقط، وهذا معنى شهادةِ أن لا إلـه إلاَّ الله، على سبيل الإجمال.

فالناطق بالشهادة الأولى (أي: شهادة أنْ لا إلـه إلاَّ الله) كأنَّما يقولُ: «أعلمُ وأعتقد أنه لا معبود بحقٍّ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ».

فأعظم حقوق الله على عبيده هو توحيده تعالى، وأن لا يُشْرَك به شيء. ولا يستحقُّ أيُّ مخلوقٍ، ولو كان نبيّاً أن نُحبَّه كما نُحبُّ الله، أو نُعظِّمه كما نُعظِّم الله، فلا يَصِحُّ تَسْوِيَةُ الله بأيِّ موجودٍ آخَرَ، مهما عَلَا شَأْنُهُ، فضلاً عن تفضيل غيره عليه.

أقسامُ العبادة:

(أ) **عبادةٌ قلبيّة**: مثل: الخوف، والرجاء، والمحبة، والتوكُّل، والرغبة، والرهبة، والتفكُّر، والتدبُّر، ومراقبة اللّٰهِ سبحانه[2].

---

(١) رواهُ البخاري (٦٥٠٠) في الرقاق، و(٧٣٧٣) في التوحيد، ومسلمٌ (٣٠) في الإيمان.

(٢) ويدخل في هذه العبادات الكفُّ عن صفات ذميمة أمر الله بتركها، مثل: الحقد والحسد والرياء وسوء الظن.

(ب) **عبادةٌ قوليَّة**: مثل: تلاوة القرآن، والتَّسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، وكلُّ ما شرعَه الله تعالى من التلاوات والأدعية والأذكار[1].

(ج) **عبادةٌ بدَنِيَّة**: مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، وسائر الفرائض والنوافل التي أمرَ اللّٰهُ تعالى بها[2].

شمولُ العبادة:

إنَّ عبادةَ اللّٰهِ سبحانه ليست قاصرةً على الشعائر التَّعَبُّدِيَّة المعروفة، بل تشمل شؤونَ الإنسانِ كلها، وتستوعبَ الحياةَ جميعها.

فالعبادةُ تشمل الأخلاق والآدابَ والعاداتِ والنُّظُمَ والقوانين.

فهي شاملةٌ لكلِّ تصرُّفاتِ المؤمن إذا أخلص النِّيَّةَ وابتغى بعملِهِ وجهَ الله تعالى.

ركائز العبوديَّة الصحيحة:

ترتكزُ العبادة على ثلاث ركائز: الحب والخوف والرجاء، ولا بدَّ في العبادة من اجتماعِ هذه الأمور الثلاث.

قال تعالى في وصفِ عبادِهِ المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) ويدخل في هذه العبادات: الكَفُّ عن أقوالٍ يجبُ الكَفُّ عنها ابتغاءَ مرضاة الله وثوابه، مثل: الكذبِ والغيبة والنميمة وغيرها.

(٢) ويدخل في هذه العبادات: الكفُّ عن أعمالٍ أمرَ اللّٰهُ بتركِها مثل: عقوق الوالدين، وقطيعة الرحِم، والسرقة، وشرب الخمر.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال في وصف رسله وأنبيائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

شروط قبول العبادة:

لا تكونُ العبادةُ مقبولةً عند الله حَتَّى تكونَ صحيحة، ولا تكون صحيحة حَتَّى تتوافر فيها ثلاثة شروط:

الشرط الأول: الإيمان، أي: أن يكونَ العبدُ مؤمناً؛ فالله تعالى لا يقبل عملاً مهما كانَ صالحاً ما لم يكن صاحبه مؤمناً. قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾[1]﴾ [الفرقان: ٢٣]، أي: باطلاً لا ثوابَ له.

الشرط الثاني: الإخلاص، أي: أن تكونَ العبادةُ خالصةً لله تعالى، فإذا لم يقصد بعبادته وجهَ الله، أحبط الله ثوابه، ولم يقبل منه عمله. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ[2]﴾ [البينة: ٥].

الشرط الثالث: المتابعة، أي: أن تكونَ العبادةُ موافِقَةً لِسُنَّةِ رسول الله ﷺ، فلا يكفي أن يقصد بالعبادة وجه الله، بل لا بد أن تكونَ موافقةً لشرعِ الله. قال تعالى: ﴿**وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ**﴾ [النساء: ١٢٥].

(١) **الهباء**: هو ما يُرى في الكوَّةِ كالغبار إذا وقعت الشمس فيها، **والمنثور**: المفرق.

(٢) **حنفاء**: أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.

وإسلامُ الوجه: إخلاصُ العمل لله، **والإحسان**: أن يُتَقَرَّبُ إلى الله بما شَرَعَه الله[1].

المناقشة

س١ ـ عرِّف العبادة لغةً وشرعاً.

س٢ ـ ما الغاية من خلقِ الإنسان؟ وما مطلوبُ الله سبحانه وتعالى من المكلَّفين؟

س٣ ـ العبادة حقُّ الله سبحانه على عبادِه. . بيِّن ذلك مع الدليل.

س٤ ـ ما أقسامُ العبادة؟

س٥ ـ هل العبادة قاصرة على الشعائر التَّعَبُّدِيَّة المعروفة؟

س٦ ـ كيف تتحول العاداتُ إلى عبادات؟

س٧ ـ ما ركائز العبودية الصحيحة؟ مع ذِكْرِ الدليل.

س٨ ـ متى تكون العبادة صحيحة مقبولة؟ مع ذِكْرِ الدليل.

❑ ❑ ❑

(١) قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]: «أحسن العمل: أخلصهُ وأصْوَبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبَل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حَتَّى يكونَ خالصاً صواباً، **والخالص**: أن يكون لله، **والصواب**: أن يكون على السُّنَّة.

الدرس الثاني عشر

٥ـ ثمارُ الإيمانِ بالله عزَّ وجَلّ

الإيمانُ بالله سبحانه وتوحيده نعمةٌ من أعظمِ النِّعَمِ، وله ثِمارٌ طيِّبَةٌ على المؤمنين في الدنيا والآخرة، ومِن ثِمارِ هذا الإيمان:

١ ـ معرفة غاية الوجود الإنساني:

إنَّ الإيمانَ بالله عزَّ وجَلّ وتوحيدَه، ومعرفةَ كمالاته سبحانه؛ تُعرِّفُ الإنسان بأنه خُلق للامتحان، وأنَّ مطلوب الله منه أن يكون عبداً خالصاً لله، لا لأحدٍ سواه.

فهو لا يعيشُ في عَماية، أو يمشي إلى غيرِ غاية، كالذين جحدوا اللّـهَ، أو شكُّوا فيه، فلم يعرفوا لماذا وُجِدوا؟ ولماذا يعيشون؟ ولماذا يموتون؟

٢ ـ الاهتداء إلى الفطرة:

ومِن ثمرات الإيمان بالله عزَّ وجَلَّ: أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فَطَرَهُ الله عليها، والتي تطلب الإيمان بالله تعالى، ولا يُعوِّضها عنه شيء غيره.

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الروم: ٣٠].

إنَّ في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علمٌ ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله جَلَّ وعلا.

وستظل الفطرة الإنسانية تحسُّ بالتوتُّر والظمأ حَتَّى تعرفَ الله وتؤمن به، وتَتَوَجَّهَ إليه.

فإذا لم يعرف الإنسانُ رَبَّهُ فما أشقى حياته، وما أتعس حظه، وما أخيبَ سعيه!!.

إنه لن يجد السعادة، ولن يجد الحقيقة، لن يجد نفسه ذاتها: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ ﴾ [الحشر: ١٩].

٣ ـ سَلَامَةُ النَّفْسِ مِنَ التَّمَزُّقِ والصِّرَاع:

إنَّ الإيمانَ بالله وحدَه سببٌ للاطمئنان والسكينة، فالمؤمنُ يعبد إلهاً واحداً، ويتلقَّى أوامرَهُ من مصدَرٍ واحد، أما المشرك فيعبد آلهةً مختلفةً فتتوزَّع نفسُه وتتفرَّق.

قال تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

وقد ضَرَبَ اللّـهُ تعالى لذلك مثلاً: رجلاً مملوكاً لجماعةٍ مختلفين، فهو حائرٌ بينهم، لا يستطيع أن يُرضيَهم مع اختلافِ رغباتهم وتَبايُنِ مصالحهم، فَهُم فيه شركاء متشاكسون غير متوافقين، كلٌّ يأمره بضدِّ ما يأمره به الآخر، ويريد منه غير ما يريده، فهو بينهم مُشَتَّتٌ موزَّعٌ لا ثبات له ولا قرار.

وضربَ اللّهُ تعالى مثلاً آخرَ: عبداً مملوكاً لواحدٍ لا يطيع غيره، فهو يعرف سَيِّدَهُ، ويعرف ما يطلبه، ويعرف ما يرضيه، وكيف يرضيه، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا(١) لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

٤ ـ الإيمانُ مصدرٌ لأمنِ النَّفسِ:

الإيمانُ بالله سبحانه يملأ نفسَ صاحبهِ أمناً وطمأنينةً، فلا تستبدُّ به المخاوفُ التي تتسلَّطُ على أهلِ الشِّركِ، فقد سدَّ المؤمنُ منافذَ الخوفِ التي تحيطُ بغيرِ المؤمنين: الخوفُ على النفسِ، والرزقِ، والأجلِ، والأهلِ، والأولاد، والخوفُ من الإنسِ والجنِّ، ومن الموتِ، وما بعد الموت.

فالمؤمنُ لا يخافُ إلَّا الله، ولهذا يكونُ آمناً إذا خافَ الناس، مطمئناً إذا قلقَ الناس، هادئاً إذا اضطربَ الناس.

وهذا أمنُ الدنيا، وأمَّا أمنُ الآخرةِ فهو أعظمُ وأبقى.

وفي هذا يذكرُ اللّهُ سبحانه حوارَ إبراهيم مع قومه المشركين الَّذينَ خوَّفوهُ بأصنامهم وآلهتِهِمْ الزائفة، فردَّ عليهم بقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

ثُمَّ بيَّنَ سبحانه مَنْ يستحقُّ الأمنَ من الفريقينِ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾(٢)﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) أي خالص الملكية لرجلٍ واحد، لا شَرِكَةَ فيه ولا مشاكسة، وهذا مَثَلُ المؤمن الموحِّد.

(٢) **بظلم**: أي بشرك. ومعنى: **لم يلبسوا إيمانهم بظلم**، أي: إنهم أخلصوا لله، فلم يشوبوا توحيدهم بشرك.

٥ ـ التَّحرُّرُ من العبوديَّة لغير الله:

إنَّ توحيدَ الله سبحانه إقرارٌ بالعبودية لمُستحقِّها وبالحق لصاحبه، وإنَّ اعتقادَ أنَّ الله وحده الضارُّ النافع، والمُعطي المانع، والمُحيي المميت، يُحرِّرُ العبدَ مِن كلِّ عبوديَّة وذُلٍّ لغير الله من حجَرٍ أو صَنَمٍ، أو إنسانٍ، ويُحرِّرُ العقل من الخرافات والأوهام، ويُحَرِّرُ الضميرَ من الخضوع والذلِّ والاستسلام، ويُحرِّرُ الحياة مِن تسلُّط الأرباب والمتألِّهين على عِباد الله.

٦ ـ ضمان الحياة الطيِّبة:

انَّ الإيمان بالله سبحانه سببُ الحياة الطيبة والسعادةِ والسرورِ، لِما يعكسه ذلك الإيمان على أصحابه من الاطمئنان والتفاؤل، والثقة بالله، والتوكُّل عليه، والرِّضا بقضائه، والصبر على بلائه، والاستغناءِ عن خلقه، والعمل للغاياتِ النبيلة والسموِّ الأخلاقي الرفيع.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ﴾ [النحل: ٩٧].

٧ ـ ولاية الله لعباده المؤمنين:

فالله تعالى وَليُّ المؤمنين وناصِرُهُم، يَرعاهم في جميعِ شؤونهم، ولا يَكِلُهُمْ إلى أنفسهم أبداً، فَهُمْ في حفظِهِ ورعايته وعنايته، يدفعُ عنهم جميعَ المكارِه، وينجِّيهم من الشدائد، ويحفظهم من مكايد الأعداء.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ﴾ [الحج: ٣٨].

٨ ـ رِضا اللّٰهِ عزّ وجلّ:

وأعظمُ ثِمار الإيمان بالله عزّ وجَلّ الحصولُ على مرضاة الله تعالى، ودخول الجنة، والفوز العظيم بالنعيم المقيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩ ـ ١٠].

المناقشة

س١ ـ اذكر خمساً من ثمارِ الإيمان بالله عزّ وجَلّ.

س٢ ـ كيف يعرف الإنسان غايته في الوجود، وكيف يحقِّق مطلوب الله عَزَّ وجَلّ منه؟

س٣ ـ الإيمان بالله وحده سببٌ لسلامة النفس من التَّمَزُّق والصراع، بيِّن ذلك مع الأدِلَّة.

س٤ ـ الإيمانُ بالله مصدرٌ لأمنِ النفس وسلامتها من المخاوف، اشرح ذلك مع الأدِلَّة.

س٥ ـ بيِّن أثر توحيد الله في تحرير الإنسان من العبوديَّة لغير الله.

س٦ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) الإيمان بالله سبحانه يهدي الإنسان إلى الفطرة.

(ب) الإيمان بالله والعمل الصَّالِحُ سببُ الحياة الطيبة.

(ج) الله سبحانه يدافع عن المؤمنين.

(د) الإيمان بالله سببٌ لدخولِ الجنة.

❑❑❑

الفَصۡلُ الثَّانِي

الإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ

عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

١ ـ تعريفهم ووجوب الإيمان بهم.

٢ ـ صِـفـاتـهـم.

٣ ـ الفرقُ بين الملائكةِ والبشَر.

٤ ـ الفرقُ بينَ الملائكةِ والجن.

٥ ـ وظـائـفُـهـم.

٦ ـ ثِمارُ الإيمانِ بالملائكة.

الدرس الثالث عشر

الإيمانِ بالملائكة

١ ـ تعريفهم ووجوب الإيمان بهم

الملائكةُ عبادٌ مُكْرَمُون، مخلوقون من نور، لا يَعْصُون الله ما أمَرَهم ويفعلون ما يُؤمَرون، يسَبِّحون الله في الليل والنهار لا يَفْتُرون[١].

وجوبُ الإيمانِ بالملائكة:

الإيمانُ بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان.

قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي حديث جبريل عليه السلام: أنه قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الإيمان؟ قال رسول الله ﷺ: «**أن تُؤْمنَ باللّـهِ وَمَلائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخرِ، وتُؤْمنَ بالقدَرِ خيرِهِ وشَرِّه**»[٢].

(١) **لا يفتُرون**: أي لا يضعفون ولا يسأمون، وذلك أنَّ تسبيحهم متَّصِلٌ دائم في جميع أوقاتهم.

(٢) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فيجبُ الإيمانُ بالملائكةِ، وبما وَرَدَ في حقِّهم من صفاتٍ، وبما يقومون به من أعمال، ومَن جحدَ وجودهم ولم يؤمن بذلك فقد جحدَ رُكناً من أركانِ الإيمان، وجحودُ ركنٍ من أركانِ الإيمانِ يعني جحودَ الإيمان، فالإيمانُ كلٌّ لا يتجزأ.

* * *

٢ ـ صفات الملائكة عليهم السلام

* من صفاتِ الملائكةِ الخِلْقِيَّة:

١ ـ **أنَّهم مخلوقون من نور**. فالملائكة عالمٌ نورانيٌّ غير منظور، لا يعلم حقيقتَه وكيفيَّته إلَّا الله سبحانه وتعالى وحده.

روى مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**خُلِقتِ الملائكة من نور، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم**»[1]، أي: من التراب.

٢ ـ **للملائكة أجنحة يتفاوتون في أعدادها**. قال الله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] [فاطر: ١].

٣ ـ **أنَّ لهم قدرةً على التَّشكُّل**. فقد يتحوَّل المَلَك بقدرة الله تعالى إلى هيئة رجل كما حصَلَ لجبريل عليه السلام حين أرسَلَهُ الله إلى مريم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

(١) رواه مسلم (٢٩٩٦) في كتاب الزهد والرقائق، **ومارج**: لهبٌ مختلط بسَواد النار.
(٢) **فاطر**: خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سبق، **يزيد في الخلق ما يشاء**: أي يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء.

وكان جبريل ينزل أحياناً على النبيِّ ﷺ في صورة رجل.

وتمثَّلَ الملائكةُ لإبراهيم ولوط عليهما السلام رجالاً نزلوا لتأديب قوم لوطٍ، فدمَّروا قريتهم، وجعلوا عاليَها سافِلَها.

* ومن صِفاتِ الملائكة الخُلُقِيَّة:

١ ـ **أنهم معصومون من المعصية**، لا يخالفون أمرَ الله سبحانه. قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٢ ـ **وأنهم مفطورونَ على الطاعة والعبادة والتَّسبيح**. قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، أي: لا يسأمون أو ينقطعون.

٣ ـ **وأنهم خائفونَ منه سبحانه**. قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠].

* * *

٣ ـ الفرق بين الملائكة وبين البشر

تفترق الملائكة عن البشر من عدَّة وجوه[1]:

١ ـ أَنَّ الملائكة خَلْقٌ من نور غير منظور وغير محسوس، أما الإنسانُ فقد خُلِقَ من صَلْصَالٍ من حمأ مسنون[2].

٢ ـ أَنَّ الملائكة لا يتَّصِفون بذُكورةٍ ولا بأنوثةٍ[3]، ولا يتناكحون

(١) التوحيد، للصف الثاني الثانوي في المعهد الديني بقَطَر ص ١٢٠ ـ ١٢١ بتصرُّف.
(٢) **الصَّلْصَال**: الطين اليابس، **وحمأ**: الطين الأسود، **مسنون**: أي متغيِّر.
(٣) فمَن وصفهُم بذُكورةٍ فقد عصى وفسَق، ومَن وصَفَهُم بالأنوثةِ فقد كفرَ وخرج عن =

ولا يَتَنَاسَلُون، ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون كما يتَّصِفُ البشر بذلك.

٣ ــ أَنَّ الملائكة لهم قدرة على التَّشكُّلِ بإذنِ الله تعالى وأمْرِه بالأشكال البشريَّة السَّوِيَّةِ المُختلفة.

٤ ــ أَنَّ الملائكة مفطورونَ على العبادة والطاعة، وليس عندهم استعداد لارتكاب المعاصي والوقوع في الذنوب.. أما الإنسان فقد رُكِّبَتْ فيه نَزَعاتٌ وميول تجعله أحياناً يميل إلى اقتراف المعاصي، وهو في صراعٍ مستمرٍّ بين نفسه وبين شهواته، وقد ينتصر في هذه المعركة جانبُ الخير على جانب الشر، ويستعلي على شهواته فيسمو إلى درجة الملائكة، وقد يتغلَّب في الإنسان جانب الشرِّ على جانب الخير، فينهزم في المعركة وتنتصر شهواته، حَتَّى يصير أحطَّ من الحيوان. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٤ ــ ٥]، أي: بكُفرِه وجحوده.

* * *

٤ ــ الفرق بين الملائكة والجن

وإذا كان الملائكة من عالم الغيب، فكذلك الجن، إلاَّ أَنَّ هناك فروقاً كثيرةً بين الملائكة والجن[١]، أذكر لك أهمَّها:

١ ــ الملائكة خَلَقَهم اللّـهُ من نور، والجنُّ خلقَهم الله من نار، وقد تَقَدَّمَ الحديث الذي يدلُّ على ذلك.

= الدين، لأنَّه يعارض صريحَ قولِ اللّـهِ تعالى في ذَمِّ المشركين: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

(١) التوحيد والفقه، للصف الثاني الإعدادي بقطر ص ١٤ ــ ١٥ بتصرُّف وزيادة.

٢ ــ الملائكة مجبولون على طاعةِ الله، والقيام بأوامره، وتسبيحه وتحميده، وأما الجنُّ فإنهم كالبشر منهم المطيع ومنهم العاصي، كما أَنَّ منهم المسلم ومنهم الكافر.

قال تعالى ــ على لسان الجن ــ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۝١١[١]﴾ [الجن: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥[٢]﴾ [الجن: ١٤ ــ ١٥].

٣ ــ الملائكةُ جميعهم يُمثِّلون جَانبَ الخير والفلاح والصَّلاح، ويتَّجهونَ إلى عبادة الله، وهداية الإنسان وحفظه، ودعاء الله له بالمغفرة.

وأمَّا الشياطين[٣] ــ وهم المُتمرِّدون من كَفَرَةِ الجنّ ــ فإنهم يُمَثِّلُونَ جانبَ الشَّرِّ والفساد، ويُزيِّنون للناس المعاصي والشهوات، ويوسْوِسُونَ لهم، ويوقعونهم في الشرور والآثام.

المناقشة

س١ ــ ما حكم الإيمان بالملائكة عليهم السلام؟ مع الدليل.

س٢ ــ اذكر ثلاثاً من صفات الملائكة الخَلْقِيَّة.

س٣ ــ اذكر صفتَين من صفات الملائكة الخُلُقِيَّة.

(١) **الصَّالحون**: المؤمنون المخلصون، **طرائق قدداً**: جماعاتٍ متفرقين وأصنافاً مختلفة، **والقِدَّة**: القطعة من الشيء.

(٢) **القاسطون**: الجائرون العادلون عن الحق، **تَحَرَّوْا رَشَدا**: قَصَدُوا طريقَ الحق.

(٣) جاء ذِكر الشياطين في القرآن الكريم (٨٨) مرَّة، وهذا العدد يتطابق تماماً مَعَ ذِكرِ الملائكة في القرآن الكريم.

س٤ ــ تفترق الملائكة عن البَشَرِ من عِدَّة وجوه، اذكر ثلاثة منها.

س٥ ــ تفترق الملائكة عن الجِنِّ من عدَّةِ وجوه، اذكر اثنين منها.

س٦ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) للملائكة أجنحة يتفاوتون في أعدادها.

(ب) فُطِرَتِ الملائكة على الطاعة والعبادة.

(ج) الجِنُّ منهم المطيعُ ومنهم العاصي.

س٧ ــ أكمل ما يلي:

(أ) خلَقَ الله الملائكة من .... والدليل ....

....

(ب) قد يتحوَّلُ المَلَك بقدرة الله إلى هيئة رَجُل، ومثاله ....

....

(ج) الملائكة عباد الله، لا يخالفون أمره، والدليل ....

....

❑❑❑

الدرس الرابع عشر

٥ ــ أعمال الملائكة الكرام عليهمُ السلام

الملائكةُ جنودُ الله سبحانه، بثَّهُم في كَوْنِه، ووكَّلَهم بخلقه، وتنفيذ أمره.

١ ــ فمنهم مَن ينزل بالوحي على الأنبياء، وهو **جبريل** عليه السلام، صاحبُ السفارة بين اللَّـه تعالى ورسُلِه عليهم الصلاةُ والسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ــ ١٩٤].

٢ ــ ومنهم المُوكَّل بالنَّفْخ في الصُّور، وهو **إسرافيلُ** عليه السلام، ينفخُ فيه بأمر الله نفختَين: الأولى للإماتة، والثانية للإحياء.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

٣ ــ ومنهم مَن يقبض الأرواح ويَتَوفَّى الأنفس، وهو **مَلَكُ الموت** وأعوانه.

قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ[١]﴾ [الأنعام: ٦١].

٤ ــ ومنهم الَّذِينَ **يتنزلون على المؤمنين عند الموت**، يُثبِّتونَهم، ويُبَشِّرونَهم بالجنَّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت: ٣٠].

٥ ــ ومنهم **الَّذِينَ ينذِرونَ الكفّار عند الموت**، ويَنْزِعون أرواحَهم نزْعاً شديداً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ[٢]﴾ [الأنعام: ٩٣].

٦ ــ ومنهم **الَّذِينَ يصعدون بروحِ المؤمن**، حَتَّى يصِلوا بها إلى السماء السابعة، **والذين يصعدون بروحِ الكافر**، ثُمَّ يطرحونها في الأرض بعد أن تُغلقَ أبوابُ السماء دونها، **ويسألون الميِّتَ في القبر**، ثُمَّ يُعذِّبونه أو يُنَعِّمونَه بعد إعادة الروحِ إلى الجسد.

٧ ــ ومنهم **خَزَنَةُ الجنة** القائمون برعاية أهل الجنة ونعيمهم.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

(١) **لا يفرِّطون**: أي لا يقصِّرُون فيما أُمروا به ولا يضيِّعونه.

(٢) **غمراتُ الموتِ**: شدائده وسكَراته، **الهون**: الهوانُ والذُّل.

٨ ــ ومنهم **خَزَنَةُ النار** القائمون على عذابِ أهلها.

قال تعالى في أوصافِ خَزَنَةِ جهنم: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ورئيس خزَنَةِ النار هو **مالك عليه السلام**. قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزُّخرف: ٧٧].

٩ ــ ومنهم **الكِرام الكاتبون** الذين يُلازِمون الناسَ، ويسجِّلون أعمالهم وأقوالهم، وعندهم لكل واحدٍ من البَشَرِ سِجلٌّ خاص قد كتبوا فيه كلَّ شيء، ويعرضونه عليه يوم القيامة، ويشهدون عليه بكل ما فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ ــ ١١]. وقال سبحانه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾[١]﴾ [ق: ١٧ ــ ١٨].

١٠ــ ومنهُم **المُوَكَّلونَ بحفظ العبد** في إقامته وسَفَرِهِ ونومه ويقظته، وفي جميع حالاته، وهم **المعقِّبات**.

قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ[٢]﴾ [الرعد: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

١١ــ ومنهم **حَمَلة العرش الَّذِينَ يستغفرونَ للمؤمنين** ويدعون لهم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ

(١) رقيبٌ: حافظٌ، **عتيد**: حاضر.

(٢) **معقِّباتٌ**: الملائكة يعقب بعضهم بعضاً بحفظ ابن آدم في الليل والنهار دون انقطاع، **من أمر الله**: أي يحفظونه من المضارِّ والمهلكات من أجل أَنَّ الله أمرَهم.

تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٧ ـ ٨].

١٢ـ ومنهم **الَّذِينَ يحضُرون مجالس الذِّكْرِ والعبادة**، ويَحُفُّونَ الَّذِينَ يتلون كتابَ اللّٰهِ ويتدارَسونَه بينهم، كما جاءَ في الحديث: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللّٰهِ يتلونَ كتابَ الله، ويتدارَسونَهُ بينهم، إلاَّ نزلَتْ عليهم السَّكِينة، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحفَّتْهُمُ الملائكة، وذَكَرَهُمُ اللّٰهُ فيمن عندَهُ**»[1].

* * *

٦ ـ ثِمارُ الإيمان بالملائكة عليهم السلام

للإيمانِ بالملائكةِ الكرام عليهم السلام فوائدُ وثمراتٌ كثيرةٌ في حياةِ المؤمن، نذكُرُ لكَ أهمَّها فيما يلي:

١ ـ **العلم بعظَمَةِ اللّٰهِ تعالى وكمالِ قدرته**، حينَما يعلم أَنَّ اللّٰهَ خَلَقَ من النُّور ملائكةً ذَوي أجنحةٍ، تحملُ قدرةً عجيبةً تصغرُ أمامها قدراتُ الخلائق مجتمعةً، ومع ذلك فَهُمْ خاضِعونَ لله، لا يسبِقونَهُ بالقول، وهم بأمره يعملون، فيزداد المؤمن تعظيماً لله وإجلالاً له سبحانه.

٢ ـ **الطمأنينة والأُنس بهم**، حين يشعر المؤمن أَنَّ الله سبحانه وكَّلَ به ملائكة يدعون له ويستغفرون، وحفَظَةً يحفظونه، وجُنداً يَحْمُونَه ويدافعون عنه.

(١) رواهُ مسلم (٢٦٩٩) في كتابِ الذِّكْرِ والدعاء، من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه.

٣ ـ **حرص المؤمن على طاعة ربه وامتثال أمره**، لمَّا يعلم أَنَّ الملائكة يسبِّحون الله في الليل والنهار ويعبدونه، فيحمله ذلك على التشبُّهِ بهم، وتقويةِ المعاني الرُّوحِيَّةِ، والتدَرُّجِ في مدارجِ الكَمال.

٤ ـ **بُعْدُ المؤمن عن معصية الله تعالى في السِّرِّ والعَلَن**، ودوام مراقبته لله سبحانه، لأنه يعلم حضورَ الملائكة معه وكتابتهم لأعماله وأقواله في صحيفةٍ سيقرؤها يوم القيامة.

٥ ـ **الاستعداد لليوم الآخر**، فالمؤمن يعلمُ أَنَّ هذه الدنيا فانية حين يتذكَّر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح، فيحرص على الاستعداد لليوم الآخر بالإيمان والعمل الصالح، والعمل للجنَّة ليكون ممن يسلِّم عليه الملائكة فيها، والبُعدِ عن أسباب دخول النار لئلا يكون ممن يوبِّخونه.

المناقشة

س١ ـ **ما وظيفة كلٍّ من الملائكة الآتية أسماؤهم؟ مع الدليل.**

١ ـ جبريل.

٢ ـ إسرافيل.

٣ ـ مَلَكُ الموت.

س٢ ـ **ما الدليل على أعمال كلٍّ من:**

١ ـ الملائكةِ الكِرامِ الكاتبين الذين يُسجِّلون أعمال بني آدم.

٢ ـ الملائكةِ الموكَّلين بحفظ العبد في جميع حالاته.

٣ ـ مالكٍ رئيس خزَنَة النار.

س٣ ـ أكمل الآيات الآتية ثُمَّ اذكر ما تدلُّ عليه؟

(أ) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ .... ﴾.

(ب) قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا .... ﴾.

(ج) قال تعالى: ﴿ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ .... ﴾.

س٤ ـ اذكر ثلاثاً من ثمار الإيمان بالملائكة.

❑❑❑

عالمُ الجِنِّ والشَّياطين

* عالَم الجن.

١ ـ التعريف بهم والدليل على وجودهم.

٢ ـ الفرقُ بين الإِنسِ والجن.

٣ ـ صِفاتٌ مشتركة بين الإِنس والجن.

٤ ـ عَجْزُ الجن عن معرفة الغيب.

٥ ـ عَجْزُ الجن عن النفع والضر.

* عالَم الشياطين.

٦ ـ التعريف بهم والدليل على وجودهم.

٧ ـ موقفُ الشيطان من الإِنسان.

٨ ـ التَّحصُّنُ من الشيطان.

الدرس الخامس عشر

عالَمُ الجنّ

١ ـ التعريف بهم والدليل على وجودهم

لقد أخبرنا الله سبحانه في القرآنِ الكريم أنه خلَقَ خلْقاً آخرَ غير الإنس، وغير الملائكة، تعجز العيونُ عن رؤية صورتهم الأصلية، وهذا الخلق هم (الجن).

معنى الجن لغةً وشرعاً:

الجنُّ في اللغةِ: مأخوذةٌ من جَنَّ، وإنما سُموا جِنّاً لاستتارِهم واختفائهم عن أبصارنا(١).

والجنُّ في الشرع: أرواحٌ قائمةٌ في أجسامٍ لطيفةٍ ناريَّةٍ، قادرةٌ على التشكُّلِ بصُوَرٍ مختلفة، يأكلونَ ويشربون، وفيهم الذَّكَرُ والأنثى، ويتناكحون ويتناسلون، ويموتون طائفةً بعد طائفة(٢).

---

(١) وهذه المادة (ج.ن.ن) تدلُّ على الاختفاء والاستتار، ومنها أخذ المجنون لاستتار عقله، والمجَنّ: الترس الَّذي يستجِنُّ به المقاتل ويستتر، والجنين: لاستتاره واختفائه في بطن أمِّه، والجنَّة ذات الشجر والنخل لسترها الأرض.

(٢) حول عالم الجن، للشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى ص ٢٤٣.

وجوبُ الاعتقاد بوجودهم، وحكمُ الكفر بهم:

من الأمور الغيبيَّةِ التي يجب الإيمان بها الاعتقادُ بوجود الجن، وقد أثبت وجودَ الجن الخبرُ الصادق من القرآن الكريم والسُّنَّةِ الثابتةِ في مواضع كثيرة.

ومن الأدِلَّةِ القرآنية الدَّالَّةِ على وجودهم أنَّ اللَّـهَ سبحانه خصَّصَ سورةً كاملةً باسمهم، وتحدَّث عن نفرٍ منهم استمعوا للقرآن من تلاوة الرسول ﷺ فآمنوا ثُمَّ ولَّوْا إلى قومهم مُنذرين.

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

فالاعتقاد بوجودِ الجنِّ من واجب الإيمان، وإنكارُ وجودِهم ردٌّ للقرآنِ والسُّنَّةِ المتواترة، وهذا هو الكفرُ والعِياذُ بالله تعالى.

٢ ـ الفرق بين الإنس والجن

الجنُّ عالَمٌ غَيْبِيٌّ كالملائكة، وقد ذَكَرْتُ الفرقَ بين الملائكةِ والجن فيما مضى، وأذكرُ لكَ الآنَ أهمَّ الفروق بين الإنس والجن:

١ ـ الإنسُ خُلِقوا من تراب، والجنُّ خُلِقوا من مارجٍ من نار.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾[1] [الرحمن: ١٤ ـ ١٥].

(١) **الصلصال**: الطين اليابس الَّذي لَمْ يُطبخ، إذ له صَلْصَلَةٌ إذا نُقِرَ، فإذا طُبِخَ فهو الفخار. **مارج من نار**: أي من لهيب مُختلط.

٢ ـ الجنُّ خُلِقوا قبل الإنس.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ[1]﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٧].

٣ ـ الجِـنُّ قـادِرونَ علـى التَّشَـكُّـلِ بصـورٍ مختلفـة ـ صـورة رجـال أو بعض الحيوانات ـ.

٤ ـ الجنُّ يرَوْنَ الإنس ويشاهدونهم، أما الإنس فإنهم لا يرون الجن ولا يشاهدونهم.

قـال تعـالـى عـن إبليـس وجنـوده: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ[2]﴾ [الأعراف: ٢٧]، فهذه الآية تدلُّ على عدم رؤيتهم على أشكالهم الحقيقية، ويجوز رؤيتهم على غير الصُّورة التي خُلِقوا عليها بعد أن يتطوروا ويأخذوا أشكالاً أخرى.

٥ ـ الجنُّ قادِرونَ على أعمالٍ عظيمةٍ خارقةٍ، وصِناعاتٍ بديعةٍ فائقةٍ، وأعمالٍ شاقَّةٍ يعجزُ عن القيام بمثلِها البشر.

ولقد أخبر اللَّـهُ سبحانه أنَّه سخَّرَ لسليمانَ عليه السلام الجن، فشيَّدوا لهُ الأبنيةَ الضَّخمةَ، وعملوا له الصناعاتِ الفنِّيَّة، وغاصُوا له البِحار، وجلبوا له الأحمالَ الثقيلةَ من مسافاتٍ بعيدةٍ بوقتٍ قليل، وغير ذلك من الأعمالِ التي يعجز عنها البشر.

(١) **الإنسان**: آدم عليه السلام، **حمأ**: الطين الأسود، **مسنون**: متغيِّر، **من قبلُ**: من قبل آدم عليه السلام، **نار السموم**: ريحٌ حارة تدخلُ مسامَّ الإنسان من قوَّةِ حرارتها.

(٢) **إنه**: يعني إبليس، **قَبِيلُهُ**: جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضاً.

٣ ـ صِفاتٌ مشتركةٌ بينَ الإنسِ والجِن

وإذا كانَتْ تلكَ الأمور هي أهم الفروق بين الإنس والجن، فهناكَ صفاتٌ مشتركةٌ، أذكر لكَ أهمَّها:

١ ـ أنَّهم يأكلون ويشربون، ويتناكحون ويتناسلون، وفيهم الذَّكَرُ والأنثى، كما هو حال الإنس.

٢ ـ أنهم مُكلَّفون بالشرائع الإلهيَّة، وتتناولُهم الأوامر والنواهي الشرعيَّة، كما هو حالُ الإنس، ومما يدلُّ على ذلك أَنَّ كثيراً من خطاباتِ التكليف في القرآن الكريم يجمع الله فيها بين الجن والإنس.

قال تعالى إخباراً عمَّا يقالُ لكُفَّارِ الجن والإنس يوم القيامة: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[١] [الأنعام: ١٣٠].

ومن الأدلَّةِ على أَنَّ الجِنَّ مُكلَّفونَ: الخطاباتُ والنداءاتُ الموجَّهَةُ في سورة الرحمن إلى كلٍّ من الجن والإنس: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾[٢] [الرحمن: ١٣].

(١) **معشر**: المعشر كل جماعة أمرُهُم واحدٌ، والجمع: معاشر، **رسلٌ منكم**: من أحدكم وهم الإنس، فالرسل من الإنس، والمنذرون من الجن، **يقصُّون**: يخبرونكم بما أوحي إليهم من آياتي.

(٢) تكرَّرَت هذه الآية في سورةِ الرحمن في واحدٍ وثلاثينَ موضعاً تقريراً لصفات اللّـه ونعمه وتذكيراً بها. عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «خرجَ رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخِرِها، فسَكَتوا، فقال: لقد قرأتُها على الجِن ليلةَ الجِن، فكانوا أحسنَ مردوداً منكم، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله: =

«فالجنُّ مُكَلَّفونَ كما أَنَّ الإنسَ مكلَّفون، وإنَّ تكاليف الجن هي تكاليف الإنس من حيث الإجمال، وأما من حيث التفصيل فقد يختصُّ الجنُّ بأحكامٍ فرعيَّةٍ جُزئيَّةٍ دونَ الإنس، لاختلافهما في الجنس»[١].

٣ ـ أنَّهُمْ مشمولونَ بالتَّحدِّي مع الإنسِ في العجزِ عن معارضةِ المعجزات، والخروج من أقطار الأرضِ والسموات.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾[٢] [الرحمن: ٣٣]، يعني: لا تقدِرونَ على النُّفوذِ إلَّا بقُوَّةٍ وقَهْرٍ وغَلَبَة، وأنَّى لكُمْ ذلك لأنكم حيثما توجَّهْتم كنتم في مُلكي وسُلطاني.

٤ ـ الجِنُّ أصنافٌ متنوعة؛ فمنهم المسلم، ومنهم الكافر، ومنهم الصالح، ومنهم الطالح. . كما هو في الإنس.

قال الله تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾[٣] [الجن: ١١].

= ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، قالوا: لا بشيءٍ من نِعَمِكَ ربَّنا نكذِّب، فلكَ الحمد»، أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، وقال: حديثٌ غريب.

(١) حولَ عالم الجن ص ٢٥٦.

(٢) **تنفذوا**: تخرجوا، **أقطار السمواتِ والأرض**: جوانبها وأطرافها. **والمعنى**: إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتُعجِزوا ربَّكم حَتَّى لا يقدر عليكم فاخرجوا.

(٣) **طرائق قدداً**: أي أصنافاً مختلفة، وشِيَعاً متفرقة، وآراء متعددة، والطرائق: جمعُ طريقة، والقدَّة: القطعة من الشيء.

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ(1)﴾ [الجن: ١٤].

٥ ـ **أنَّهم يُحشَرونَ يوم القيامة فيُحاسَبون على أعمالهم، فَيُثابون ويُعَاقَبون، وأنَّ مؤمني الجِنِّ في الجنة، وأنَّ كُفَّارَ الجنّ في النارِ يوم القيامةِ كالإنس.**

ومِمَّا يدلُّ على أَنَّ مُؤْمني الجن في الجنَّة:

قوله تعالى إخباراً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾(2)﴾ [الجن: ١٣]، فهوَ سبحانه لا ينقص من ثواب محسنهم، ولا يزيد في سيئاتِ مُسيئِهم.

وقال تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾(3)﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٤٧].

ومِمَّا يدلُّ على أَنَّ كفَّارَ الجِنِّ في النار:

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

---

(١) **القاسط**: هو الظالِمُ الجائر النَّاكب عن الحق، بخلاف المقسط، فهو العادل المستقيم على الحق.

(٢) **بخساً**: أي نُقصاناً من عملِه وثوابه. **رهقاً**: يعني ظُلماً.

(٣) **مقامَ ربِّهِ**: مقامه بين يدي ربِّه للحساب، أو قيام ربه عليه: يعني اطِّلاعه عليه.

س١ ـ ما معنى الجن لغةً وشرعاً؟

س٢ ـ ما حكم الاعتقاد بوجودِ الجن وحكم الكفر بهم؟

س٣ ـ اذكر أهم الفروق بين الإِنس والجن.

س٤ ـ اذكر أهم الصفات المشتركة بينَ الإِنس والجن.

س٥ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) وجوب الاعتقاد بوجود الجن.

(ب) الجن خُلقوا قبل الإِنس.

(ج) الجن مُكلَّفون بالشرائعِ الإِلهيّة.

(د) مؤمنو الجِن في الجنة

س٦ ـ أكمل الآيات الآتية، ثُمَّ اذكر ما تدلُّ عليه.

(أ) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ ....﴾.

(ب) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ....﴾.

(ج) قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ....﴾.

❑❑❑

الدرس السادس عشر

٤ ـ عَجْزُ الجنِّ عَن معرفةِ الغيب

الجنُّ كالإنسِ، لا يعلمونَ عن الغيب الَّذي استأثر الله بعلمه شيئاً.

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أَنَّ الجنَّ قادِرونَ على معرفة الغيب والاطِّلاعِ على الأسرار المخفيَّة، فقصدوهم في معرفة أمورٍ غيبيةٍ كالسرقات والجنايات وغيرهما.

وقد نفى الله سبحانه معرفة الجن للغيب، وكذَّبَ هذا الاعتقاد الفاسد.

قال تعالى في شأن جهل الجن بموتِ سليمانَ عليه السلام: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ [1]﴾ [سبأ: ١٤].

وقال تعالى حكايةً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فقولهم: «لا ندري» نصٌّ صريحٌ في كونهم لا يعلمون الغيب.

---

(١) **خرَّ**: سقط سليمان، **تبيَّنَتِ الجن**: علِمَت عِلماً بيِّناً بعد التباس الأمر على عامَّتِهم وضَعَفَتِهم.

وقدْ يُلقِي الجنُّ إلى الإِنسِ بعضاً من المُغيَّبات[1].

والمُغيَّبات قسمان:

١ ـ مُغيَّباتٌ استأثرَ اللَّهُ سبحانهُ بعِلمِها، فهذه لا يمكنُ لإنسٍ ولا لِجنٍّ معرفةُ شيءٍ منها، فالإِخبارُ عنها كذبٌ وافتراءٌ على الله تعالى، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يصدقَ شيئاً منها.

٢ ـ ومُغيَّباتٌ قضى اللَّهُ أمرَها في السماء، وأصبحت معلومةً لذَوي الاختصاص من الملائكة كما أصبحت مُعَدَّةً لتبليغها للملائكة الموظَّفين بتنفيذ أمرِ الله فيها، فهذه قد جاء فيها عن رسول الله ﷺ الحديث الصحيح: «**إنَّ الملائكة تنزل في العَنان ـ وهو السحاب ـ فتذكرُ الأمر قُضِيَ في السماء، فتسترق الشياطينُ السمعَ، فتسمعه فتوحيه إلى الكُهَّانِ فيكذِبونَ معها مِئَةَ كذبة من عندِ أنفسهم**»[2].

وهذا هو استراقُ الشياطين السمعَ من الملائكة بعد نزولها إلى جوِّ الأرض، وليس هو استراقها السمع من السماء، كما كان دأبُهم قبل بعثةِ النبي ﷺ الَّذي مُنعوا منه بالشُّهُبِ، كما أخبر اللَّهُ سبحانه عنهم في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ [3]﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

---

(١) العقيدة الإسلامية، للصف الأول الثانوي الشرعي (منهج سوريا) ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «بدء الخلق» (٣٢١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **حرَساً شديداً**: جمعاً أقوياءَ من الملائكة، **وشهباً**: جمعُ شهابٍ، أي كواكب مضيئة، **نقعُدُ منها**: أي من السماء، **مقاعدَ للسمع**: لاستماع أخبار السماء، **الآن**: أي بعد مبعث النبي ﷺ، **شِهاباً رصَدا**: أي أُرصد له ليُرمَى به.

وقد قال تعالى في تكذيب مَنْ يُلْقِي سَمعَهُ للشياطين، وإثمُه الكبيرُ في ذلك: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

فما يدَّعيهِ بعضهم من الاتِّصالِ بالجن، وينقلون عنهم كذباً يزعمونه من علمِ الغيب، ويتلاعبونَ بعقولِ السُّذَّجِ من النساء وصِغارِ العُقول، كلُّ ذلكَ افتراءٌ على الله سبحانه.

٥ ـ عجز الجن عن النفع والضّر

الجنُّ لا حولَ لهم ولا قدرة، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً إلاَّ أن يشاء الله، وقد بيَّنَ الله سبحانه أنَّ أهل الجاهلية الَّذينَ كانوا يعوذونَ برجالٍ من الجن، لم ينفعهم الجِنُّ بشيء، بل زادوهم غَيّاً وضلالاً وبُعْداً عن الأمن الَّذي يرجونه منهم.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾[1] ﴾ [الجن: ٦].

وقد نَدَّدَتِ الأحاديثُ الكثيرةُ بالذين يُصَدِّقُونَ الكَهَنَةَ والعَرَّافين والمُنَجِّمين، ويعتمدونَ عليهم، وَعَدَّت ذلك شِركاً بالله.

قال ﷺ: **«مَن أتى عَرَّافاً فسألَهُ عن شيءٍ لم تُقبَلْ له صلاة أربعين ليلة»**[2].

---

(١) معنى الآية: زادَ الإنسُ الجِنَّ باستعاذَتِهِمْ بِقادَتِهِمْ طغياناً وإثماً، أو: زاد الجِنُّ المستعيذين بهم من الإنس سفهاً وحماقة، وإثماً وطغياناً.

(٢) أخرجه مسلم في كتابِ السلام (٢٢٣٠). **والعرَّاف**: كالكاهِنِ، إلاَّ أنَّ العرَّاف يختصُّ بمن يُخبر بالأمور المستَقْبَلَة، والكاهن بمن يخبر بالأحوال الماضية.

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه موقوفاً: **«مَن أتى عرَّافاً أو ساحراً أو كاهناً، فسألَه فصدَّقَهُ بما يقول، فقد كفرَ بما أُنزلَ على محمد ﷺ»**[1]. وهو وعيدٌ مخيفٌ لِمَن يذهبُ إلى هؤلاء الدَّجَّالين، فإن كان يعتقدُ أنهم فعلاً يعلمون الغيب، ويخترقون حُجُبَهُ، فقد دخلَ في الكفر الأكبر الصريح، وإلاَّ فقد وقعَ في كبيرةٍ من الكبائر التي تجرُّ إلى الكفر والعياذُ بالله.

«فهؤلاءِ المنجِّمون والمشعوذون ـ الَّذِين ينسبون للجنِّ النَّفعَ والضُّرَّ، ويتحدثون عنهم بالمغيَّبات ـ كذَّابونَ دجَّالونَ عصاةٌ لله والرَّسول، يريدون أن يستولوا على المغفَّلين ضُعَفاء الإيمان والعقول.

فالاستعاذةُ لا تكون إلاَّ بالله، والاستعانة لا تكون إلاَّ بالله»[2].

المناقشة

س١ ـ ما مُعتقَدُ أهلِ الجاهلية في الجنِّ؟

س٢ ـ هل يستطيع الجن أن يعلموا الغيب؟

س٣ ـ هل يستطيع الجن أن يُلقوا بعض المعلومات إلى الإنس؟

س٤ ـ هل استراقُ الشياطين السمعَ من الملائكة اليوم يكون من السماء؟ بيِّن ذلك مع الأدِلَّة.

س٥ ـ ما حكم مَنْ صَدَّقَ الكَهَنَةَ والعرَّافين؟

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/١١٨: رواهُ البزَّارُ، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) العقيدة الإسلامية، للدكتور مصطفى الخن ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣.

س٦ ـ اذكر دليلاً لما يأتي:

(أ) عَجْزُ الجن عن معرفةِ الغيب.

(ب) مَنْعُ الجن من استراق السمع من السماء.

(ج) الاستعاذةُ بالجنِّ لا تنفع الإنس.

س٧ ـ أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما تُرشد إليه:

(أ) ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ.......................... ﴾.

(ب) ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ .... ﴾.

(ج) «مَن أتى عَرَّافاً فسَأله........................ ».

❑ ❑ ❑

الدرس السابع عشر

عَالَمُ الشَّيَاطين

عرَفْنا في الدرس السَّابق أَنَّ الجنَّ على طرائقَ مُتفرقةٍ، وآراءٍ متعدِّدة، منهم المسلم ومنهم الكافر. فالمسلمون منهم يقالُ لهم: الجنُّ المسلمون، والكفَّار منهم يُسَمَّونَ شياطين.

* * *

٦ ـ التعريف بهم والدليل على وجودهم

معنى الشياطين لغةً وشرعاً:

الشياطين: جمع شيطان، وهو مأخوذ من شَطَنَ بمعنى بَعُدَ.

والشيطان: كلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ من إنسٍ أو جِنٍّ، سُمِّيَ بذلك لبُعدِهِ عن رحمة الله تعالى.

والمرادُ بالشياطين: كُفَّار الجنِّ الَّذينَ خرجوا عن طاعةِ اللَّهِ وأمره.

إبليس:

وإبليس هو أولُ شيطان جنِّيٌّ كافرٍ، كما قال فيه سبحانه: ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فهو من الجن وليس من الملائكة.

والأدلة على ذلك ما يلي:

١ ـ أَنَّ إبليس مخلوقٌ من النار: قال تعالى إخباراً عنه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

والملائكةُ مخلوقونَ من النور، كما تقدَّمَ في حديث مسلم.

٢ ـ أَنَّ إبليس له ذُرِّيَّةٌ: قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠].

وأَمَّا الملائكةُ فلا ذُرِّيَّةَ لهم، لأنهم ليسوا ذُكوراً ولا إناثاً ولا شهوةَ لهم.

٣ ـ أَنَّ إبليس خالفَ أمرَ اللَّهِ تعالى بالسجودِ لآدمَ.

وأَمَّا الملائكةُ عليهم السلام فهُم معصومون عن المخالفةِ والمعصية(١).

* * *

٧ ـ موقفُ الشيطان من الإنسان

الشيطانُ عدوٌّ للإنسان، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

فينبغي للإنسان أن يقف منه موقف المعَادي الحَذِر من شَرِّه ومَكْرِه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

(١) وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فأجاب العلماء بأنه استثناءٌ من جنس المأمورين، لا مِن جنسِ الملائكة، فهو استثناءٌ منقطع.

ومن أنواع عداوته وأسلحته التي يهاجم بها الإنسان:

١ ـ تزيين الكفر والطغيان والفساد:

فالشيطانُ يبذلُ جميع طاقاتِهِ في تضليل الإنسانِ وتزيينِ الكُفرِ والفسادِ له.

قال تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ [النحل: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

فمِنْ شأنِ إبليس أنْ يُحَسِّنَ في عُيونِ أتباعه السَّيِّءَ حَتَّى يَرَوْهُ حَسَناً، ويُجَمِّلَ لهم القبيحَ فلا يُبصِروه قبيحاً.

٢ ـ الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء:

ومَن عداوتِهِ للإنسانِ: أنه يعِدُهُ بالفقرِ واليأسِ مما يؤمِلُهُ ويرجوه، ويأمره بالفشحاء..

قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وطريقته في إشاعةِ الفحشاء: «التكشُّفُ والتَّعَرِّي، ولبس القصير من الثياب، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فكانَ نَزْعُ الثيابِ، وإبداء العورات أوَّلَ مادَّةٍ في هذا القانونِ الشيطاني»(١).

(١) تعريف عام بدينِ الإسلام ص ١٥٤.

٣ ــ إلقاءُ العداوة وإثارة البغضاء بين بني آدم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٩١] .

وقال عزَّ وجَلّ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

وتقومُ الشياطين بإثارةِ البغضاء التي تفرق بين الأخِ وأخيه ، وبين الزوجِ وزَوْجه ، وبتأجيج نارِ الحرب التي تأكل الأخضرَ واليابس ، وتُهلكُ الحرثَ والنَّسل ، وما من فسادٍ اجتماعيٍّ أو سياسيٍّ أو خلُقيٍّ إلاّ وراءَهُ الشيطان .

٤ ــ الوسوسة في صدور الناس :

ومِن عداوة الشيطانِ للإنسان : أنه يقذفُ في القلوب الأباطيلَ والظنون السيئةَ ، ويوسوسُ في صدورهم .

وقد حذَّرَنا الله من خطرِ الوساوس الشيطانية ، وأمَرَنا أن نلجأ إليه سبحانه ، عائذين به من همزاتِ الشياطين .

قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ ــ ٩٨] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ (١) ﴾ [الناس] .

* * *

(١) **الوسواس** : الشيطان ، والوسوسة : الصوت الخفي ، **الخنَّاس** : الذي يخنس ، أي ينقبض إذا ذُكر اللّـهُ تعالى .

٨ ــ التَّحَصُّنُ من الشيطان

أرشدنا اللّـهُ سبحانه إلى الأسبابِ الواقِيَةِ من وساوس الشيطان ومضارِّه ومفاسدِه ومَداخله ، وأهمُّ هذه الأسباب التي يتحصَّنُ بها المؤمن :

١ ــ التعوُّذُ بالله عزَّ وجلّ :

أي : الالتجاءُ إلى الله ، والاحتماءُ به سبحانه من الشيطان . ومعنى أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم : أي أستجيرُ باللّـهِ من الشيطانِ الرجيم ، لا يضرُّني في ديني ودنياي ، أو يصدُّني عن فعلِ ما أُمِرتُ به ، أو يحثُّني على فعل ما نُهيتُ عنه .

قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ (١) ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصِّلَت : ٣٦] .

ومِن أعظمِ التعويذات : الإكثار من قراءةِ المُعوِّذات ، وهي (سورة الإخلاص والفلَقِ والنَّاس) .

٢ و٣ و٤ ــ التَّسْمية ، وقراءةُ آيةِ الكرسي ، وخاتمة سورة البقرة :

فإنَّها وقايةٌ من شَرّ الشيطان .

٥ ــ الإكثارُ من ذِكْرِ الله تعالى :

فَإنَّ ذِكْرَ الله تعالى حِصْنٌ حَصينٌ للذَّاكِر ، وكُلَّما كان الإنسانُ أكثر ذكراً لله تعالى ، كان في عياذٍ من الشيطان أمنع ، وصيانةٍ منهُ أتَمّ .

(١) **النزغ** : دخولٌ في أمرٍ لإفسادِه ، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر والإفساد ، **فاستعذ بالله** : فاستجر بالله والجأ إليه في دفعه عنك .

لا سلطانَ للشيطانِ على عبادِ الله الصَّالحين :

لَمْ يُعْطِ اللَّهُ الشيطانَ قُدرةً على التأثير على المؤمن المخلصِ الملتجىء إلى الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

وجاء في القرآن الكريم فيما وردَ على لسانِ إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾(١) [الحِجر: ٣٩ ـ ٤٠].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [صَ: ٨٢ ـ ٨٣].

فقدْ أقرَّ إبليس واعترف بأنَّهُ لا يقدر على إغواء المُخْلَصينَ من عبادِ اللَّهِ الصَّالحين.

وقال سبحانه مُخاطِباً إبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، أي ليس لَكَ تسلُّطٌ إلَّا على الَّذينَ اتَّبعوا غَوَايتك، واستجابوا لدعوتك.

وهذا ما يشهد به إبليس نفسُه يومَ القيامة: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ

(١) **بما أغويتني**: بما أضللتني، **المُخْلَصين**: يعني مَنْ أخْلَصْتَه واصْطَفَيْتَه لتوحيدك وعبادتك، وبكسر اللام: يعني المؤمنين الَّذينَ أخلصوا لكَ التوحيد والطاعة والعبادة.

أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾(١) [إبراهيم: ٢٢].

المناقشة

س١ ـ ما معنى الشياطين لغةً وشرعاً؟

س٢ ـ هل إبليس من الجن أم من الملائكة؟ اذكر الأدِلَّة على ما تقول.

س٣ ـ تكلَّمْ عن موقف الشيطان من الإنسان، واذكر ثلاثةً من أنواع عداوته التي يهاجم بها الإنسان.

س٤ ـ اذكر ثلاثة من الأسباب الواقية من مضارِّ الشيطان.

س٥ ـ هل للشيطان قدرةٌ في التأثير على عبادِ الله الصالحين؟

س٦ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) إبليس مخلوقٌ من نار.

(ب) إلقاؤه العداوةَ بين بني آدم وإثارةُ البغضاء.

(ج) عدم تأثيره على المؤمنين المخلصين.

س٧ ـ أكمل الآيات الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ....
..........................﴾.

(ب) ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ....
..........................﴾.

(١) **قُضِيَ الأمر**: يعني لَمَّا فرغ منه، وأُدخِلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، من **سلطان**: من ولاية وقهرٍ وحجة.

(ج) ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ . . . . ﴾ .

(د) ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ . . . . ﴾ .

❑❑❑

الفَصْل الثالث

الإيمان بالكتب السماوية

١ ــ التعريف بالكتب السماويَّة .

٢ ــ وجوبُ الإِيمانِ بها .

٣ ــ أثرُ الإِيمانِ بها .

٤ ــ تحـريـفُ الكُتُـب التـي سبقـت القـرآن (التـوراة ــ الزَّبور ــ الإِنجيل) .

٥ ــ القرآن العظيم (تنزيله ، تدوينه ، ضبط تلاوته) .

٦ ــ خصائص القرآن الكريم ، (الفرق بين القرآن الكريم وبين الكتبِ السماوية السابقة) .

٧ ــ واجبُنا نحو القرآن الكريم .

الدرس الثامن عشر

الإيمان بالكتب السَّماويَّة

١ ـ تعريفها

الكتبُ السَّماويَّة: هي الكتبُ التي أنزلها الله على رسُلِه لِيُبلِّغوها للناس، فيها الدعوة إلى توحيدِ اللَّهِ وعبادتِهِ، والإيمان باليوم الآخر، والحثِّ على العمل الصالح.

وقد ذَكَرَ القرآن الكريم منها:

١ ـ **صُحُف إبراهيم وموسى**: التي أُنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

٢ ـ **التوراة**: التي أُنزِلت على موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

٣ ــ **الزَّبور**: الذي أُنزِل على داود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

٤ ــ **الإنجيل**: الذي أُنزل على عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

٥ ــ **القرآن**: الذي أُنزل على محمَّد ﷺ، وهو أعظم هذه الكتب على الإطلاق، وآخرُ كتابٍ أُنزل على آخر نبيٍّ أُرسل.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

* * *

٢ ـ وجوبُ الإيمان بالكتب

يجبُ الإيمان بِأَنَّ الكتبَ السَّماويةَ هي كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى ووحيُهُ المُنَزَّل على هؤلاء الرسل المذكورين، كما يجبُ الإيمان إجمالاً بأَنَّ الله أنزل كتُباً أخرى على رُسُلٍ آخرين لا نعرف أسماءَها وهي حقٌّ وصدقٌ لأنها من عند الله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

ولا يُقبل إيمانُ مَنْ آمن ببعضِ هذه الكُتُب وكفر بجزءٍ منها، كما يقول تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

* * *

٣ ـ أثرُ الإيمانِ بالكُتُب

١ ــ كمالُ حكمة الله سبحانه:

الإيمان بالكتبِ تصديقٌ بوحْيِ اللّٰـهِ سبحانه، وإيمانٌ بكَمالِ حكمته، وأنه لا يترك عباده سُدًى دونَ أن يُبيِّنَ لهم طريق هدايتهم، وما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات، وما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

فمَن أنكرَ كتُبَ اللّٰـهِ وكذَّبَ بها فما عرفَ الله العليمَ الحكيمَ، ولا عرف قَدْرَ رَبِّ العالمين.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

٢ ــ الدلالةُ على وَحْدةِ الرسالات:

الإيمانُ بكتبِ الله كالإيمانِ برسُلِه، فيه دلالةٌ على وحدة الرسالات الإلهيَّة، والوحدة الجامعة بين المؤمنين.

فهذه الكُتُب جميعها مُنزلُها واحد، هو الله عزَّ وجَلّ، وهدفُها واحدٌ، هو الدعوة إلى توحيد الله عزَّ وجَلّ وعبادتِه، والإيمانِ باليومِ الآخرِ والعملَ الصالح.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[1] [البقرة: ٢١٣].

---

(١) **أمّةً واحدة**: أي جماعة واحدة على دينٍ واحدٍ فاختلفوا في عقائدهم وشرائعهم. **مبشِّرين**: بالثوابِ لمن آمنَ وأطاعَ، **ومنذرين**: بالعقاب لمن كفر وعصى، **وأنزلَ** =

٣ ــ الهدايةُ والرحمة:

من أهمِّ آثار الإيمان بالكتب: أَنَّ الإنسانَ ــ هذا المخلوق الضعيف ــ يرجع من خلالها إلى ما يُبدِّدُ حَيْرَتَهُ، ويعرف طريق هدايته وفلاحه، ويقرأ فيها ما يُنجِيه من عذابه وهلاكه.

بل ويسْتَشْعر بتلاوته إيَّاها رحمةَ مَنْ يناجيه في خلوته، وينصحه في زلَّته، ويحميه من شهوته، فهي البلاغ المبين لِما كان وما سيكون.

المناقشة

س١ ــ ما الكُتُب السماويَّة؟ وإلى أيِّ شيءٍ تدعو؟

س٢ ــ اذكر الكُتُب التي يجب الإيمان بها، وعلى مَنْ أُنزلت؟

س٣ ــ ما حكم الإيمان بالكتب؟

س٤ ــ هل يُقْبَلُ إيمانُ مَن آمنَ ببعضِ الكتبِ وكَفَرَ ببعضها الآخر؟

س٥ ــ اذكر دليلاً واحداً للكتب السماويَّة المذكورة في القرآن.

صحف إبراهيم وموسى ــ التوراة ــ الزَّبور ــ الإنجيل ــ القرآن.

س٦ ــ أكمل الآيات التالية ثُمَّ اذكر ما تَدُلُّ عليه:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ....﴾.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ....﴾.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ....﴾.

س٧ ــ ما أثرُ الإيمان بالكُتبِ الإلهيَّة؟

❑❑❑

= **معهم الكتاب**: أي الكتب، **بالحق**: بالعدل والصدق، **ليحكم بين الناس**: أي الكتاب.

الدرس التاسع عشر

٤ ـ تحريفُ الكُتبِ التي سَبقَت القرآن

الكتبُ السَّماويَّة التي نَزَلَتْ قبل القرآن أُنزلت لأقوامٍ مخصوصين، ولفترةٍ زمنيَّةٍ محدودة، ولم تنزل بشريعةٍ عامَّةٍ خالدة، فلذلك لم يتكفَّل اللّهُ عزَّ وجَلَّ بحفظها كما تكفَّل بحفظِ القرآن، فَضَاعَت أصولُها، وغُيِّرَت أحكامُها.

وأوَّل هذه الكُتُب تحريفاً: التوراة[١].

التَّـوْراة

التَّوراة: الكتابُ الذي أنزله الله على موسى نوراً وهدًى لبني إسرائيل.

فَقْدُها: هذه التوراةُ قد فُقِدَت منذ زمنٍ قديم، وضاعَتْ بسبب النكبات التي مرَّت ببني إسرائيل من قتل وتشريد، وتسليطِ الله عليهم مَنْ يَسُومُهم سوء العذاب[٢]، جزاء بغيهم وإفسادهم في الأرض.

تحريفُها: التَّوْراةُ الموجودة اليوم مُحرَّفة، وليست هي التوراة التي

(١) مقرَّر التوحيد والفقه، للصف الثاني الإعدادي في قطر ص ٢٠ ــ ٣٠ بتصرُّف واختصار.

(٢) **يسومهم**: يُورِدُهُمْ، ويذيقهم، ويُولِّيهم. **سوء العذاب**: أَشَدَّ العذاب.

أُنزلت على موسى عليه السَّلام، ولكنها مجموعة من الأسفار[1] كتبها اليهود بأيديهم، ثم قالوا: هي من عند الله، ليشتروا بها ثمناً قليلاً، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

الدليل على تحريف التوراة:

لا يحتاج الإنسانُ إلى جهدٍ لإثباتِ تحريفِ التوراة الموجودة وتزويرها، ويكفي لأيِّ عاقل أن يطَّلِعَ عليها ليحكم بكذبها وتزويرها.

والأدلةُ التي تُثبت تحريفَ التوراة كثيرةٌ منها ما تضمَّنته من: عقائدَ فاسدة، وحكاياتٍ كاذبة، وتناقضاتٍ واضحة، وإفسادٍ للأخلاق، وتزويرٍ للأحكام.

ونكتفي بشرح الدليل الأول وهو: **تحريف العقيدة**.

إنَّ الكُتُبَ التي أُنزلت على المرسلين كُلّها تدعو إلى توحيدِ الله والإيمان باليومِ الآخرِ، والحثِّ على العمل الصالح، فنجد التَّحريف في التوراة في أصل الإيمان الذي جاء به المُرسَلون.

أما الله سبحانه: فقد نَسَبَتْ إليه التوراة من صِفَاتِ النَّقْصِ ما يتنزَّهُ عنه سبحانه، فجعلته خاصّاً ببني إسرائيل ـ وهو سبحانه ربُّ العالمين ـ وصوَّرَتْهُ كالإنسان يتعب ويستريح، فتقول: إنه خلَقَ السَّموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع (يوم السبت).

وقد ردَّ الله سبحانه على كذبهم وضلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾[2]﴾ [ق: ٣٨].

(١) **الأسفارُ**: جمعُ سِفْر، وهو الكِتابُ الَّذي يُسْفِرُ عن الحقائق.

(٢) **لغوب**: أي إعياء وتعب.

كما وصفته بالبُخل والفقر، فَرَدَّ الله عليهم افتراءَهُم ولعَنَهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا[1]﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وأما **اليوم الآخر**: فلا وجود له في هذه التوراة المحرَّفة، فقد خَلَت من مُجرَّدِ ذِكْرِه فَضْلاً عن إثباته، وإقامةِ الأدلَّةِ على إمكانه، والدعوةِ للإيمانِ بِهِ، وَخَلَتْ من ذِكْرِ الجَنَّةِ والنار، وكُلُّ ذلك من أصولِ الإيمانِ التي جاءتْ بها الكُتُب السماوية.

وقد جَعلت الجَنَّة التي يُثيبُ اللَّـهُ بها على الطاعات هي الحياة على أرض فلسطين.

كما جَعَلَتِ النَّار التي يعاقب الله بها على السيئات هي: الطرد من أرض فلسطين.

ومن **تحريف العقيدة**: نسبةُ كبائر الإثم والفواحش إلى الرُّسُلِ الأخيار، فقد نسبت إلى نوحٍ وإبراهيمَ ولوطَ وإسحاقَ ويعقوبَ وداودَ وسليمانَ ما لا يليقُ أن يُنسَبَ لإنسانٍ عادي[2]، فضلاً عن أنبياءَ جعلهم اللَّـهُ قدوةً صالحةً للناس، ووصفهم بقوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(١) **مغلولةٌ**: أي محبوسةٌ مقبوضةٌ عن الرِّزقِ والعطاء، فنسبوا الله تعالى إلى البُخلِ، تعالى اللَّـهُ عمَّا يقولونَ عُلُوّاً كبيراً، **غُلَّتْ أيديهم**: أي أُمسِكَت أيديهم عن كلِّ خير، وطُرِدوا من رحمةِ الله.

(٢) ومن الإفكِ والبهتان ما نُسِبَ إلى سيِّدنا لوطٍ أنه زنا بابنتيه، وأنَّ داود زنا بزوجة أوريا، وأنَّ هارون دعا الإسرائيليِّين إلى عبادة العجل..!! تعالى اللَّـهُ عمَّا يزعمونَ، وتنزَّهَ الرُّسُلُ عمَّا يفتري هؤلاء الأفَّاكون.

وهذا كلُّهُ يدلُّ على أَنَّ اليهودَ حرَّفوا الكتابَ الَّذِي آتاهم الله إياه، وزوَّروا الحقائقَ الإيمانيَّةَ فيه، فحذفوا وأضافوا، وغيَّروا وبدَّلوا.

الزَّبُور

وهو الكتاب الذي أُنْزِلَ على داود كما أخبرنا القرآن الكريم: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقد فُقِدَ هذا الكتاب كما فُقِدَت التوراة، والكتبُ السابقة على القرآن الكريم.

والكتابُ الموجود الآن والذي يُنسَبُ إلى داود يُسمَّى: (المزامير) وهو: عبارة عن أدعية وتضرُّعات، كلُّها بكاءٌ على مَجْدِ إسرائيل، ومُلْكِ داود، وهيكل سليمان، وجبل صِهيون.

وقد كتبه اليهود بأيديهم لإثارةِ شعبهم وربطهم بأرض الميعاد في فلسطين.

وبعضُ الأدعية ليس فيها أدبٌ مع الله، بل فيها تَطَاولٌ على جلال الخالق، وحقدٌ على جميع الخَلقِ من غير بني إسرائيل، ولهذا ضُمَّت إلى أسفار التوراة المُحرَّفة، وجُعلت جُزْءاً منها.

المناقشة

س١ ــ لماذا لم يتكفَّلِ الله سبحانه بحفظِ الكُتُب السابقة التي نزلت قبل القرآن؟

س٢ ــ لماذا فُقدت التوراة وضاعت؟

س٣ ــ هل التوراة الموجودة اليوم هي التي أُنزلت على موسى؟

س٤ ــ ما الأدِلَّة على تحريف التوراة إجمالاً؟

س٥ ــ نَسبت التوراة إلى الله سبحانه كثيراً من صفاتِ النَّقْصِ. بيِّن ذلك.

س٦ ــ مِن الأدلة على تحريف التوراة: تحريف الإيمان باليومِ الآخر. وضِّح ذلك.

س٧ ــ مِن الأدلة على تحريف التوراة: ما نسبته للأنبياء الأطهار. وضِّح ذلك.

س٨ ــ ما هو الزَّبُورُ؟ وماذا يُطلَقُ عليه الآن؟ وماذا يتضمَّن؟

س٩ ــ المزامير سِفرٌ من التوراة وتبعٌ لها في أسلوبها ومضمونها. وضِّح ذلك.

❑ ❑ ❑

الدرس العشرون

الإنجيل

الإنجيل: هو الكتابُ الذي أنزله الله على عيسى ابن مريم عليهما السلام.

أسبابُ فَقْدِه واندثاره:

لقد فُقِدَ هذا الإنجيل واندثر لأمورٍ أهمها:

١ ـ الاضطهادات التي تعرَّض لها النصارى بعد المسيح، وكانت سبباً في اختفاء النسخة الحقيقية.

٢ ـ أَنَّ عيسى عليه السلام كان رسولاً إلى بني إسرائيل، فرسالتُهُ محدودةٌ لقومٍ مخصوصين.

الإنجيل. أناجيل:

الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه على عيسى ابن مريم كتابٌ واحدٌ، والإنجيل الموجود اليوم ليس إنجيلاً واحداً، بل هو أناجيلُ كثيرةٌ، وقد اتَّفَقَ النصارى على أربعةٍ منها، وهي:

إنجيل لوقا، وإنجيل متَّى، وإنجيلُ مُرْقُس، وإنجيلُ يوحَنَّا[١].

وهذه الأسفار كُلُّها مجموعة في كتاب يُسمَّى: «**العهد الجديد**».

الأدِلَّة على تحريفِ الأناجيل:

الأناجيل الموجودة اليوم عبارة عن قَصَصٍ وروايات في سيرة المسيح تُنْسَبُ إلى مُؤَلِّفيها، والأدِلَّةُ على تحريفها كثيرة، ونكتفي بما تضمَّنته الأناجيلُ من عقائد باطلة لا يُقِرُّهَا دين ولا يقبلها عقل، وهي:

(أ) نسبة الولد إلى الله سبحانه:

فقد اتَّفَقَتِ الأناجيل الأربعة على أَنَّ عيسى عليه السلام هو ابن الله.

واللَّـهُ تعالى يقول: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤].

(ب) نسبة الصَّلْب إلى عيسى عليه السلام:

فقَدْ قال النصارى بصَلْبِ عيسى تكفيراً عن خطيئةِ آدم وفداءً للبشَر.

واللَّـهُ تعالى يقول: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

(ج) تحميل خطيئة آدم في أكلِهِ من الشجرة لبنيه:

فقد نسب الإنجيل خطيئة آدم إلى ذرِّيَّته، وأنَّ عيسى صُلِبَ ليكون الفادي والمُخَلِّص للبشريَّة من تلك الخطيئة، وذلك مخالفٌ لمبدأ المسؤولية والجزاء.

---

(١) وقد اختِيرَت هذه الأناجيل الأربعة من سبعين إنجيلاً، ومع ذلكَ فبينها اختلافٌ كبيرٌ، وكثيراً ما تُطبعُ هذه الأناجيل طبعات منقَّحة مزيدة كأنها من تأليف البشر.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، ثم إنَّ آدم قد استغفر ربَّه من ذلك: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

(د) اعتماده في أحكامه وشرائعه على التوراة (العهد القديم):

والتوراةُ مُحرَّفَةٌ، فيكون (العهد الجديد) محرَّفاً قائماً على باطل.

المناقشة

س١ ــ ما الإنجيل؟ وعلى مَن أُنزل؟

س٢ ــ ما الأسباب التي أدَّتْ إلى فقده واندثاره؟

س٣ ــ ما الذي تعرفه من الأناجيل اليوم؟

س٤ ــ ما العقائد الباطلة التي تضمَّنَتْها الأناجيل المُحرَّفة؟

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) الرد على مَن نسب الولد إلى الله عزَّ وجَلّ.

(ب) الرد على مَن نسبَ الصَّلْب إلى عيسى عليه السلام.

(ج) عقيدة الفداء عند النصارى تُخالفُ مبدأ المسؤولية والجزاء.

❑ ❑ ❑

الدرس الحادي والعشرون

٥ ـ القُرآنُ الكَريم

تـعـريـفـه:

القرآنُ الكريم هو كلامُ اللّٰهِ تعالى المُنَزَّلُ على نبيِّنا محمد ﷺ.

وهو كتابُ الله الخالدُ الذي خَتَمَ به الكتب، كما خَتَمَ بمحمدٍ ﷺ الأنبياءَ والرُّسُل.

تـنـزيـلـه:

بدأ نزول القرآن على النبيِّ ﷺ بمكـة المكرَّمـة في أَوَّلِ بعثتـه ﷺ، وهو في غارِ حِرَاءٍ بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

واستمرَّ نزوله ثلاثاً وعشرين سنة، وهي مدَّة بعثته ﷺ، منها ثلاث عشرة سنة بمكة، وعشرُ سَنواتٍ بالمدينة.

وكان آخر الآيات نزولاً بالمدينة قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

المكّي والمدَني:

ومـا نـزلَ قبـل الهجـرةِ هـو المُسمَّـى بـالمكّـيِّ فـي أيَّـةِ أرضٍ نـزل، وما نزلَ بعد الهجرةِ هو المُسَمَّى بالمدَنيِّ في أيَّةِ أرضٍ نزل، فقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] هي آيةٌ مدنيَّةٌ، مع أنها نَزَلتْ على الرَّسول ﷺ في مكة يومَ عرفة في حَجَّةِ الوداع.

تـدويـنـه:

كان للنبـيِّ ﷺ كُتَّابٌ يكتبون الوحي(١)، وعندما تنزل الآية أو الآيات يقول لهم: ضَعُوهَا في السُّورةِ التي فيها كذا وكذا.

وقـد تُـوُفِّـيَ النبـيُّ ﷺ والقـرآنُ محفـوظٌ فـي الصُّـدور، مكتـوبٌ فـي السطور.

غير أنَّ الرسولَ ﷺ لَمْ يقم بجمعهِ في كتابٍ جامع، لأسبابٍ أهَمُّها:

١ ــ قِصَرُ المُدَّةِ بين آخرِ ما نَزَلَ عليه من القرآن وانتقاله ﷺ إلى الدارِ الآخِرةِ.

٢ ــ لاستمرارِ نزولِ الوحي، ولأنَّ ترتيبه ليس على نحوِ الطريقة التي أُنزِلَ بها، فهناكَ بعضُ السُّوَرِ نَزَلتْ متأخِّرة، وهي في ترتيبِ القرآن متقدِّمة، كالبقرةِ. وبعضُ السُّورِ نزلت متقدمةً، وهي متأخِّرَةٌ في ترتيب القرآنِ، كسورةِ (اقرأ).

(١) من أشهرهم: عليُّ بن أبـي طالب، وعثمان بن عفان، وزيدُ بن ثابت، وأُبَـيُّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

جَمْعُ أبـي بكرٍ للقرآنِ الكريم:

فلما خلَفَهُ أبو بكرٍ رضي الله عنه أمَرَ زيدَ بن ثابتٍ بجمعِ المصحف في مُجَلَّدٍ واحدٍ، وأُودِعَ عند أبـي بكرٍ حَتَّى توفَّاهُ الله، ثُمَّ عند عُمَرَ في حياته، ثُمَّ عند حفصة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها.

والسببُ المباشرُ لجمعِهِ: ما حدثَ في حروبِ الردَّةِ من استشهادِ كثيرٍ مـن القُـرَّاءِ، وأولُ مـن تنبَّـهَ لـذلـك هـو عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه. وتَمَّ الجمعُ ولم يمضِ على وفاةِ رسول الله ﷺ إلاَّ قُرابةُ سنتين.

تدوينُ القرآن في عهدِ عثمان واستنساخه:

فلمَّـا وُلِـيَ عثمـان رضـي الله عنـه كَلَّـف لجنـةً(١) نسخـت منـه نُسَخـاً وزَّعهـا علـى الأمصـار الإِسـلاميـة، لتكـونَ أصـلاً للقـرَّاء الحفـاظ، وللكتَّـابِ المُسْتَنْسِخيـن، وعـن هـذه النسـخ انتشـر القـرآن فـي جميـع أنحـاء العـالـم.

الفرقُ بين جَمْعِ أبـي بكرٍ وجَمعِ عثمان رضي الله عنهما:

هناكَ عدَّةُ فروقٍ بين الجمعِ الَّذي تَمَّ في عهدِ أبـي بكر رضي الله عنه، والجمـعِ الَّـذي تـمَّ فـي عـهـدِ عثمـان رضـي الله عنـه، وأذكـرُ لـك أهـمَّ هـذه الفروق:

١ ــ إنَّ الَّـذي حَمَـلَ أبـا بكـرٍ رضـي الله عنه علـى جمعِـهِ هـو خشيـةُ ضيـاع شـيءٍ منـه عنـدمـا استحَـرَّ القتـلُ فـي القُـرَّاء فـي اليمـامـة. والحـامـلُ

(١) وهُمْ: زيدُ بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. والأوَّلُ أنصاريٌّ، والثلاثةُ قُرَشِيُّون.

على الجمعِ في عهدِ عثمان رضي الله عنه هو الاختلافُ في قراءة القرآن، والخشيةُ من أن يُقرَأ على غيرِ ما سُمِعَ من رسولِ الله ﷺ بعدَ العَرْضةِ الأخيرة.

٢ ــ إنَّ الجمعَ الأول كان جمعاً للصُّحُفِ المتفرِّقةِ عند الصحابةِ في مصحفٍ واحد، أمَّا الجمعُ الثاني فكانَ نسخاً لِما جُمِعَ في عهدِ أبي بكر[١].

ضبط تلاوته:

كما حفظ المسلمون القرآن كتابةً، وتدويناً، فقد حفظوه في صدورهم، وقرأوه في صلاتهم، وقد نزلَ القرآن الكريم مُرتَّلاً، نَقَلَهُ جبريل عن الله تبارك وتعالى، وكان رسول الله ﷺ لشدَّةِ حرصِه على حفظِه يُرَدِّدُ ما ينزلُ عليه، ويُسابِقُ به جبريلَ عليه السلام حَتَّى نزلَ قولُ الله مُطَمْئِناً له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ــ ١٨].

وقد أمر اللّهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ بترتيله، فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمِّل: ٤].

ثُمَّ تناقله المسلمون كما سمعوه من الرسول ﷺ مُرتَّلاً، واستخرج القرَّاءُ قواعدَ التجويد وأحكامَهُ، ودوَّنوا ذلك في علم القراءات، وعلم التجويد، وهذا العلم لا يمكن إتقانُه إلَّا بالتَّلَقِّي مُشَافهةً وأداءً.

والمسلمون اليوم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلدانهم يقرؤون القرآن بأداءٍ واحد، بحيث لو أخطأ قارىءٌ من المشرق بأداء حرفٍ على غير

(١) كتاب العقيدة الإسلامية، للصف الثاني الثانوي الشرعي في سوريا ص ٣٧ ــ ٣٨.

وجهه الصحيح لـردَّهُ إلى الصواب مَن في المشرق أو المغرب على السواء[١].

ومن ذلك نعلم أَنَّ القرآن الكريم قُرِيءَ وكُتِبَ وحُفِظَ في عهد النبيِّ ﷺ وأصحابه، وأنه لم يتعرَّض للتحريف الذي أصاب الكُتُب قبله.

المناقشة

س١ ــ أين بدأ نزول القرآن على الرسول ﷺ؟ وكَم عاماً استمرَّ نزوله؟

س٢ ــ ما أول ما أُنزل على النبيِّ ﷺ؟ وما آخرُ ما أُنزل؟

س٣ ــ ما الفرقُ بين الآياتِ المكِّيةِ والآياتِ المدنية؟

س٤ ــ لماذا لم يُجمع القرآنُ في مصحفٍ واحدٍ في عهدِ الرسول ﷺ؟

س٥ ــ ما الفرقُ بينَ جمعِ أبي بكرٍ وجمعِ عثمان رضي الله عنهما للقرآنِ الكريم؟

س٦ ــ كيف اعتنى المسلمون بضبط تلاوة القرآنِ الكريم؟

❑❑❑

(١) الإسلام كما فهمت، للأستاذ محمد القاسمي ص ١٩٠ ــ ١٩٢ بتصرُّف واختصار.

الدرس الثاني والعشرون

٦ــ خصائصُ القرآن الكريم

يمتاز القرآن الكريم عن الكُتُبِ السماوية السابقة بعِدَّةِ خصائصَ أذكر أهمها:

١ ــ القرآن حَفِظَهُ الله من التغيير:

من خصائص القرآن العظيم أَنَّ الله سبحانه حفِظَهُ من التغيير والتبديل، لأنه الكتاب الأخير الذي تَضَمَّنَ هداية البشرية وسعادتها، فليست بحاجةٍ إلى كتابٍ بعده، ولا إلى نبيٍّ بعد نبيِّه محمد ﷺ، وقد تكفَّل الله عزَّ وجَلّ بحفظه، وأكَّدَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولقد هيَّأ الله سبحانه أسباباً وعواملَ لحفظِ كتابه الكريم، أذكر أهمَّها:

١ ــ مُدَارَسَةُ جبريل القرآنَ مع الرسول ﷺ.

٢ ــ حِفْظُ كثيرٍ من الصحابةِ للقرآنِ في عهدِ الرسولِ ﷺ.

٣ ــ كتابتُهُ في عهدِ الرسول ﷺ.

٤ ــ جمعه في مصحفٍ واحد في عهدِ أبي بكر رضي الله عنه.

٥ ــ جمعه ونسخُهُ في عهدِ عثمان رضي الله عنه.

٦ ــ نقلُ القرآنِ من جمعٍ عن جمعٍ إلى رسولِ الله ﷺ نقلاً متواتراً.

وقد صَدَقَ الله وَعْدَهُ، فَحَفِظَ هذا القرآن، فلم تمتد إليه يد التحريف، ودليل ذلك:

(أ) أَنَّ الكُتُب الماضية قد ضاعت أصولها، وليس لها سندٌ تاريخيٌّ يُعتمدُ عليه، واختلطت بكلام مَنْ كتبوها، ولم يبقَ بأيدي الناس منها إلَّا تراجمُ متناقضةٌ بلُغاتٍ مختلفة.

أما القرآن الكريم فقد بقي محفوظاً بنفس الكلمات والأحرفِ التي نَزَلَ بها أول مرة، وظلَّ خالصاً نَقِيّاً غير مَشُوبٍ بكلامِ أحد، ولم تمتد إليه يدُ التحريف والتبديل.

(ب) أنه الكتاب الوحيد المحفوظ في **الصُّدور** الذي تتناوله الأجيال بالتواتر[١] جيلاً بعد جيل.

(ج) أنه الكتاب الوحيد المحفوظ في **السطور**، لا تختلف نسخة منه عن الأخرى.

(د) أنه الكتاب الوحيد الذي سُخِّرَ له الأعاجم يحفظونه، وهم لا يعرفون من العربية شيئاً.

٢ ــ القرآنُ آخرُ الكُتُبِ المنزَّلةِ وناسخٌ لها:

من خصائص القرآنِ الكريمِ أنه آخرُ الكُتُبِ المنزَّلةِ، وأَنَّ الأحكامَ التي جاءت فيه ناسخةٌ لما وَرَدَ في غيره من الكُتُبِ السماوية.

إذ أَنَّ الكتبَ السماوية قبل دخولِ التحريفِ عليها تلتقي مع القرآنِ

(١) التواتر: أن ينقل الخبر جَمْعٌ عن جمع، لا يمكن تواطؤهم على الكذب، وهذا مُوجبٌ للعلمِ اليقين، كعلم الناس جميعاً بوجودِ بلدٍ اسمه (مكة) يستوي فيه مَن رآهُ ومن لم يرَه.

الكريم في **العقائد**، فلا يختلفُ كتابٌ عن كتابٍ فيها، لأنها من القضايا الثابتة التي لا تتغيَّر بتغيُّرِ الزمان والمكان.

وتلتقي أيضاً بأصولِ **العبـاداتِ والأخـلاق**، فمـا من كتابٍ إلاَّ ودعا إلى العبادة، وفعلِ الخير، واجتنابِ الشَّرِّ، والتزامِ الفضائـل، واجتنـابِ الرَّذائل.

وما جاء في الكُتُب السابقة من تشريعٍ وأحكام إنما كان لفترة موقوتةٍ من فتراتِ التاريخ، ولقومٍ مخصوصين، وقد استنفدت أغراضها وانتهت الحاجة إليها، أمّا القرآن الكريم، فهو خاتمُ الكتبِ السماوية، ولذا جاء بأحكامٍ وتشريعاتٍ صالحةٍ لكلِّ زمانٍ ومكان، ولِكُلِّ النَّاس على السَّواء، ولكلِّ الأحوال دون استثناء.

٣ ــ القرآن هو الحقُّ والصِّدق:

بمـا أنَّ الله سبحـانـه تعهَّـدَ بحفـظ القـرآن الكـريـم، ونسـخَ بـه الكتبَ السماويةَ السابقة، فكلُّ ما جاءَ فيه مِن عقائد وعباداتٍ وشرائعَ وأحكامٍ هو الحقُّ والصِّدق والعدل.

قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

وقـال تعـالـى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فهـو حـقٌّ وصـدقٌ فـي الإخبـار عـن رسـل الله وأنبيائـه المُصْطَفِيْنَ الأخيار.

وهو حقٌّ وصدقٌ في الإخبار عن السَّاعة والغيب كلِّه، ما وقع وما سيقع.

وهو عدلٌ في أحكامه، سامٍ في أخلاقه يدعو إلى خصالِ الخير، وينهى عن خصالِ الشرّ(١).

٤ ــ القرآنُ مُهَيْمِنٌ على الكُتُبِ قبله:

القرآن الكريم هو الحاكم على الكُتُب السابقة، يُرجع إليه في معرفة الحق والباطل من أخبارها وأحكامها، فهو المُؤْتَمَنُ والشاهد على ما قبله من الكتب.

قـال تعـالـى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فإذا اختلفت الأخبار عن الله وصفاتِه وأنبيائِه ورُسلِه، أو اختلفت الأحكام والأخلاق.. فبالقرآن العظيم يُعرَف الصِّدقُ من الكذب، والحقُّ من الباطل، وما يصلح للناس وما لا يصلح لهم.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

٥ ــ القرآنُ مُعْجِز:

من خصائصِ القرآن أنه مُعْجِزٌ في بيانِه، تحدَّى البلغاءَ والفصحاءَ من العرب قديماً فعجزوا، ولا يزال يتحدَّاهم أن يأتوا بمثل سورةٍ منه، ولن يأتوا، ولو كان بعضهم لبعض مُعيناً.

(١) مقرر التوحيد والفقه، للصف الثاني الإعدادي بقَطَر ص ٣٤ ـ ٤٠ بتصرف واختصار.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

* * *

٧ ـ واجبُنا نحو القرآن الكريم

إذا عرفنا بعض الخصائص العظيمة، والمزايا الفريدة لهذا القرآن الكريم، فما واجبنا نحو القرآن؟

١ ـ أن نُحِبَّ القرآن ونُعَظِّمَه ونحترمَهُ، لأنَّه كلامُ الخالق عزَّ وجَلّ، فهو أحسنُ الحديث، وأصدقُ الكلام وأفضلُه.

٢ ـ أن نُداوِمَ على تلاوته وقراءته وتَعاهُدِ ما حفِظْناهُ منه، ثُمَّ الاستزادةُ من هذا الحفظ.

٣ ـ أن نتدبَّرَ آياته، وأن نتفكَّرَ في مواعِظِه وقصصه وأمثاله.

٤ ـ أن نتَّبِـعَ أحكامَهُ، وأوامرَهُ، وآدابَهُ.

سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ النبـي ﷺ فقالت: «**كان خُلُقُهُ القرآن**»(١)، فسيرةُ الرسول ﷺ وهَديُهُ هو التطبيق العَمَلِي لأحكام القرآن وشرائعـه، فيجب علينـا الاقتداء برسـول الله ﷺ لأنـه القدوة الحسنـة لكل واحد مِنَّا.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد في «المسند» (٢٥٣٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨).

س١ ـ اذكر أهم الخصائص التي يمتاز بها القرآن الكريم؟

س٢ ـ لماذا حفظ الله القرآن من التَّغيير والتبديل؟

س٣ ـ ما أهمُّ العواملِ والأسبابِ التي هيَّأَها اللّـهُ سبحانه لحفظِ كتابهِ؟

س٤ ـ ما الدليلُ على حفظ القرآن من التغيير؟

س٥ ـ بماذا تلتقي الكُتُب السماوية قبل تحريفها مع القرآنِ الكريم؟

س٦ ـ القرآن هو الحقُّ والصِّدق، وضِّح ذلك.

س٧ ـ ما واجبنا نحو القرآن العظيم؟

س٨ ـ اذكرْ دليلاً لِما يلي:

(أ) القرآنُ مهيمنٌ على الكتبِ السابقة.

(ب) تحدَّى البُلَغَاءَ والفصَحاءَ أن يأْتوا بمثلِ هذا القرآن.

(ج) سيرةُ الرسول ﷺ وهَدْيُهُ هو التطبيق العمليُّ للقرآن.

❑❑❑

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل
عليهم الصلاة والسلام

١ ــ وجوبُ الإيمان بالرسل.

٢ ــ تعريف الرسول.

٣ ــ أهمُّ صِفاتِ الرسل.

٤ ــ مهمَّةُ الرُسُل.

٥ ــ لكلِّ أمَّةٍ رسول.

٦ ــ أصولُ الرسالاتِ واحدة.

٧ ــ المعجزة.

٨ ــ نُبُوَّة محمَّد ﷺ ودلائلها.

٩ ــ مميِّزاتُ الرسالة المحمديَّة.

١٠ ــ أفضلُ الأنبياء والمرسلين.

١١ ــ أمَّةُ الرسولِ ﷺ.

١٢ ــ حقوقُ الرَّسول ﷺ على أُمَّته.

الدرس الثالث والعشرون

١ ـ وجوبُ الإيمانُ بالرُّسُل عليهم الصلاة والسلام

الرُّسُلُ: هُمْ صَفْوَةُ الخَلْقِ، وهُداةُ البَشَرِ إلى الحق، والواسطةُ بين الله وعباده في تبليغِ رسالاتِهِ ودينِهِ.

الإيمانُ بالرُّسُل ركنٌ من أركان الإيمان:

الإيمانُ بالرسل جميعاً دون تفريقٍ بينهم ركنٌ من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأيُّما إنسانٍ فرَّق بينهم في الإيمان؛ فآمنَ ببعض الأنبياء، ولم يؤمن بالبعض الآخر، فقد كَفَرَ كُفراً صريحاً بنَصِّ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

وإنَّما كُلِّفَ المؤمنون بالإيمان بالرُّسُلِ جميعاً من غير تفريق بينهم، لأنَّ الدين الذي أَرسل الله به جميعَ الرسل واحِدٌ في أصوله، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر.

* * *

٢ ـ تعريفُ الرسول

الرسولُ هو رجلٌ اصْطَفَاهُ اللّـهُ من البشر، واختصَّه بالوحيِ، وأَمَرَهُ بتبليغِهِ.

وفي هذا التعريف أمورٌ خمسة:

١ ــ أنَّ الرسول من البشر.

٢ ــ أنَّ الرسول رجل.

٣ ــ أنَّ الرسالةَ اصْطِفَاءٌ من الله.

٤ ــ أنَّ الرسول يُوحَىٰ إليه.

٥ ــ أنَّ الرسول مأمورٌ بتبليغ كُلِّ ما أوحاه الله إليه.

ويَحسُنُ بنا أن نتكلَّمَ ــ بإيجاز ــ عن هذه الأمور الخمسة:

١ ــ الرَّسُولُ بَشَرٌ:

أرسل الله سبحانه رسلَه صلوات الله وسلامه عليهم إلى الناس بشَراً من جنسهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

وهم تجري عليهم الأعراضُ البشَرِيَّةُ التي لا تُنقِصُ من مراتبِهم العَلِيَّة، فهُم يأكلونَ ويشربون، وينامون، ويمرضون.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

والحكمةُ في بشَرِيَّتهم: ليكون الناسُ أقدرَ على الفهم عنهم، والأُنْسِ بهم، والاقتداء بسلوكهم.

ولو كانوا من غير جنسهم ــ كالملائكة ــ لشَعَروا بفاصلٍ بينهم، ولم يتمكَّنوا من اتِّباعهم والاقتداء بهم.

ولهذا ردَّ القرآن على المجادلين الذين طلبوا أن يكون الرسول مَلَكاً من الملائكة بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝﴾[1] [الأنعام: ٩].

وأخبر سبحانه أنَّهُ لو كان على ظهرِ الأرض ملائكة لأرسل إليهم ملكاً منهم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

٢ ــ الرَّسُولُ رَجُل:

لم تجْرِ سُنَّةُ الله في خلقه أن يرسل إلى الناس امرأة، لأنَّ الرسالة قيادة، وليس من المناسب أن تقودَ المرأةُ الرجالَ، ولأنَّ الرسالة عِبْءٌ ثقيلٌ يُعَرِّضُ صاحبه للأذى والاضطهاد، مما لا تحتمله ــ في العادة ــ المرأة التي ميَّزَها الله تعالى بالعاطفة والحنان[2].

(١) قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]: يعني لو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناهُ في صورةِ رجلٍ، وذلك أَنَّ البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خُلقوا عليها، وقوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم، حَتَّى يشكوا فلا يدروا: أَمَلَكٌ هو أم آدَمِيّ؟ «تفسير الخازن» ٢/ ٥.

(٢) ومَن ذَكَرَ في الأنبياء بعض النساء، مثل: أم موسى، وأم عيسى استناداً إلى أنه أوحيَ إليهما، وَهِمَ في ذلك. لأن ما أوحيَ إليهما إنما هو بشارةٌ ووعدٌ بخير، ومثل هذا يحصل للصالحين، كما صحَّ أَنَّ عمران بن حصين رضي الله عنهما كانت =

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

٣ ــ الرسالةُ اصطفاء:

الرسالـة مِنْحَـةٌ إلهيَّـةٌ يختـصُّ بهـا مـن يشـاء مـن عبـاده، فَضْـلاً منه ونعمة.

وليست الرسالة درجةً عِلْميَّةً يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبُّد أو التعلُّم.. وإنما هي اصْطِفَاءٌ واختيار للرُّسُل من بين سائر الناس.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

المناقشة

س١ ــ ما حكمُ الإيمانِ بالرُّسُل؟

س٢ ــ ما حكمُ مَنْ آمن ببعضِ الرُّسُلِ وكفر ببعضهم الآخر؟

س٣ ــ لماذا كُلِّفَ المؤمنون بالإيمان بجميع الرُّسل؟

س٤ ــ عرِّف الرسول، واذكر صِفاته المستفادة من التعريف.

س٥ ــ لِمَ اقتضَت حكمة الله أن يكون الرسولُ بشَراً؟

= الملائكة تُسلِّم عليه. وقد قال تعالى في مريم عليها السلام: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وهو نصٌّ في أنها غير نبيَّة. «خواطر دينية» للشيخ عبد الله بن الصدِّيق الغماري، رحمه الله تعالى، ص ٧ ــ ٨.

س٦ ــ كيـفَ ردَّ اللّـٰـهُ سبحـانـه علـى المجـادليـن الّـذيـنَ طلبـوا أن يكـونَ الرسولُ ملكاً؟

س٧ ــ لِمَ جرَت سُنَّةُ الله أن يكون الرسولُ رجلاً؟

س٨ ــ هل يمكن الوصول إلى النُّبُوَّةِ عن طريق الاجتهاد أو التعبُّد؟

س٩ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ ممَّا يلي:

(أ) الرسولُ بشَر.

(ب) الرسول رجل.

(ج) الرسالة اصطفاء.

❑ ❑ ❑

الدرس الرابع والعشرون

الوحيُ وأنواعُه

الرسولُ هو رجلٌ اصطفاهُ اللّـهُ من البشر، واختصَّهُ بالوحي، وأمرهُ بتبليغه.

وقد سبقَ الكلامُ عن الأمورِ الثلاثةِ الأولى في التعريف، وهي:

١ ــ الرسول بشرٌ، ٢ ــ الرسولُ رجلٌ، ٣ ــ الرسالةُ اصطفاء.

وأتحدَّثُ الآن عن الأمر الرابعِ، وهو:

٤ ــ الرسولُ يُوحَىٰ إليه:

إنَّ أخصَّ ما يُميِّزُ الرسولَ عن سائرِ البشر: أنه يُوحىٰ إليه من الله عزَّ وجَلّ.

فالرسولُ لا يصدر فيما يُبلِّغه إلى الناس عن نفسه ورأيه، وإنما يتلقَّى ذلك بوحيٍ من الله عزَّ وجَلّ.

قال اللّـهُ تعالى مخاطباً رسولَهُ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

معنى الوحي:

لغةً: الإعلام في سرعةٍ وخَفَاء.

وشرعاً: إعلامٌ من اللّـهِ لنبيِّهِ بطريقة غير معتادة لدى البَشَر تفيدُ الرسولَ العلمَ اليقينيَّ القاطع بما أعلمهُ الله به.

طُرُقُ الوَحي:

إنَّ البشرَ يُحَصِّلون علمهم بطريق الحواسِّ أو العقل، أما عِلمُ الأنبياء فهو وحيٌ من الله إليهم، وطرُقُ الوحي الإلهي إلى الأنبياء ينقسمُ إلى ثلاثةِ أنواع:

النوع الأول:

أن يُلقيَ اللّـهُ سبحانه المعنى في قلب النبيِّ مباشرةً. وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

ويكونُ ذلك في اليقظةِ والمنام:

(أ) إلقاءُ الله معنًى يُفيضه على قلب رسوله في حالة اليقظة، يستيقنُ معه أنه من عند الله عزَّ وجَلّ بحيث لا يجد فيه شَكّاً، ولا يستطيع له دفعاً، ويُسمَّى هذا النوع من الوحي: «**النَّفْثُ في الرُّوع**»، والرُّوع: القلب.

وفي الحديث[1]: «**إنَّ روحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعِي أنَّه لن تموتَ نفسٌ حتَّى تستوفيَ رِزقَها وأجلَها، فاتَّقوا الله وأجمِلوا في الطلب**...»[2].

---

(١) رواه الحاكم ٢/٤ (٢١٣٦) من حديثِ ابن مسعودٍ، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١/٢٢ (٢): أخرجه ابن أبي الدنيا في «القناعة»، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود.

(٢) **روح القُدُس**: جبريل عليه السلام، سُمِّيَ به لأنه يأتي بما فيه حياةُ القلوبِ =

(ب) ومنها ما يكون **رؤيا صادقة** في النوم: ومن ذلك رؤيا إبراهيم عليه السلام، وأمرُ اللّـهِ إيّاهُ بذَبْحِ وَلَدِه.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وفي صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: **«أَوَّلُ ما بُدِىء به رسولُ الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يَرَى رُؤْيا إلاَّ جاءت مثلَ فلَقِ الصبح»**(١).

النوعُ الثاني:

ما يكون **مكالمةً** بين الله تعالى وبين رُسُلِه، وهو المرادُ من قوله تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]، كما قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

النوعُ الثالث:

ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو المرادُ من قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى: ٥١]، وذلك أشهر أنواع الوحي، ويُسَمّيه العلماء: **الوحيَ الجَلِيّ**، ووحيُ القرآن كُلُّهُ من هذا النوع.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧].

= والأرواح، وأضيف إلى القُدُس لأنه مجبولٌ على الطهارةِ والنزاهةِ من العيوب، نَفَثَ في رُوعي: أي ألقى الوحي في قلبي.

(١) رواه البخاري (٦٩٨٢) في كتاب «التعبير».

قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

ويجمع هذه الأنواع الثلاثة قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

٥ ـ الرسولُ مأمورٌ بالتبليغ:

الرسول ﷺ يبلِّغ كل ما أوحاه الله تعالى إليه، ولو كان عتاباً لشخصه، شاقّاً ثقيلاً على نفسه أو غيره، ويستحيل عليه أن يكتم شيئاً مما أمره الله بتبليغه.

قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى عن رُسُلِه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

المناقشة

س١ ـ ما أخصُّ ما يُميِّزُ الرسول عن سائر البَشَر؟ مع الدليل.

س٢ ـ ما معنى الوحي لغةً وشرعاً؟

س٣ ـ ما أنواعُ الوحي إلى الأنبياء؟ واذكر الآية التي تدلُّ على تلك الأنواع؟

س٤ ـ ما أشهر أنواع الوحي؟ ومِن أيِّ نوعٍ وحيُ القرآن؟ واذكر الدليل على ما تقول.

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي :

(أ) النَّفْثُ في الرُّوع .

(ب) الرؤيا الصَّادقة .

(ج) الرسولُ مأمورٌ بالتبليغ .

❑ ❑ ❑

الدرس الخامس والعشرون

٣ ـ أهمُّ صفات الرُّسُل عليهم السلام

الرُّسُل هم سفراء الله تعالى إلى الخلق لهدايتهم إلى الحق، ودعوتهم إلى الخير، وهدايةُ البَشَرِ مُهِمَّةٌ عظيمة لا يصلح لها إلاَّ مَن توفَّرَت فيهم صفاتٌ رفيعةٌ من الكمالات الإنسانيَّة .

وقد سبق أن ذكَرتُ في تعريف الرسول أنه : «**رَجُلٌ اصطفاه الله من البشَر، واختصَّه بالوحي، وَأَمَرَهُ بتبليغِه**» .

وشرحتُ هذا التعريف، وبيَّنتُ أنه يشتمل على خمسة أوصاف أساسية للرُّسُل، وهي :

١ ــ أَنَّ الرسولَ من البشر وليس من الملائكة .

٢ ــ وأنَّه رجلٌ وليس امرأة .

٣ ــ أنَّ الرسالةَ اصْطِفَاءٌ من الله وليست أمراً يكتسبه الإنسان .

٤ ــ أنَّ الرسول يُوحَى إليه .

٥ ــ وأنَّه يبلِّغ كُلَّ ما أوحاه الله إليه .

ويُضافُ إلى هذه الأوصاف الرئيسة، الصفات التالية :

١ ـ الصِّدق:

فالرُّسُل صادقون في أقوالهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

والرسالة لا يصلح لها كَذَّاب، والرُّسُلُ مُبلِّغون عن الله تعالى، وداعون إلى الحق والهدى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

فيستحيل على النبيِّ الكذب، ذلك أنه ينقل وحيَ اللّـه تعالى إلى الناس، فلو صدرَ منه الكذب لَتَسَرَّبَ شكُّ الناس إلى الوحي الَّذي ينقله إليهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾[(١)]﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

وقد كان رسولنا محمد ﷺ معروفاً بين قومه بالصدق والأمانة، شهد بذلك أنصاره وأعداؤه على السواء، فلم يستطع أحدٌ منهم أن يخدشه في شيء من ذلك أبداً، بل إنهم أَقَرُّوا له بالصدق في موقف من أشدِّ مواقف خصومتهم له، فقد سأل هِرَقْلُ أبا سفيان مجموعةً من الأسئلة عن النبيِّ ﷺ، فقال هرقل بعد أن استمع إلى جواب أبي سفيان: «... وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت: أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليدَعَ الكذب على الناس ويكذب على الله»[(٢)].

(١) **بعض الأقاويل**: يعني أتى بشيءٍ من عند نفسه لم نَقُلْهُ ولم نوحِهِ إليه، **باليمين**: بالقوة والقدرة، **الوتين**: الشريان الرئيسي الَّذِي يُغَذِّي جسمَ الإنسانِ بالدم النقي الخارج من القلب.

(٢) رواه البخاري (٢٩٤١) في كتاب الجهاد.

وفي موقفٍ آخر حين وقف ﷺ على جبل الصَّفَا يناديهم ليدعوَهم إلى الإسلام، وقال لهم: «**أرأيتكم لو أخبرتُكم أَنَّ خيلاً بالوادي تُريد أن تُغِيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**»، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلاَّ صدقاً[(١)].

٢ ـ الفَطَانَة:

وهي أن يكون الرسول ذَكِيّاً، عميقَ الفَهم، حاضرَ البديهة، قويَّ الحجَّة، سديد الرأي، ليس غبيّاً ولا بليداً، لأنَّ الرسولَ يُرَبِّي أُمَّتَهُ، ويُجادِلُ خُصومَه، ويُقيمُ البراهين على صحَّة ما جاء به، فإن لم يكن الرسول فَطِناً لَما قامَ بأعباءِ الرسالة، وتربيةِ الأمَّة، ولألزمه خصومه الحُجَّة.

وإذا نظرنا في قَصَص الرُّسُل ومناظراتهم لأُمَمِهم وجدنا الكثير الَّذي لا يُحصى من مظاهر فطنتهم، وكمالِ عقْلِهِمْ صلوات الله وسلامُه عليهم.

٣ ـ العِصْمَة:

وهي حفظ الله تعالى رسُلَه من المعاصي والذُّنوب ليكونوا أسوةً حسنةً للناس.

ومعنى العصمة: أنهم لا يتركون واجباً ولا يفعلون مُحَرَّماً، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم.

٤ ـ الكمالُ في الخِلْقَةِ الظاهرةِ والسَّلامةُ من الأمراض المُنَفِّرة:

وكما يجب الإيمان بصِدقِ الرُّسُل، وأمانتهم، وتبليغهم، وفطانتهم، وعصمتهم، فكذلك يجب الإيمان بكمالهم الإنساني، فهم يتميَّزون بسلامة أبدانهم مما تنفر منه الطِّباع السليمة، فلا يمرضون مرضاً منَفِّراً، أو مُقْعِداً عن

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠) في كتاب تفسير القرآن.

تبليغ رسالاتِهم، كالجدَري والجُذام والبرَص والصَّرَع، ونحوِ ذلك، أمَّا الأمراض التي لا تُنفِّر الناس منهم كالصداع والحُمَّى؛ فإنها قد تصيبهم، لأنها لا تمنعهم من أداءِ رسالتهم.

وما يُحكَى عن سيدنا أيوب عليه السلام من أنه اشتدَّ به المرض، وصارَ الدود يخرج من بدنه، كذبٌ وافتراء، وتشويهاتٌ إسرائيلية يتنزَّهُ منصبُ النبوَّةِ عنها[1].

٥ ــ مكارمُ الأخلاق:

الرُّسُلُ يتَّصِفونَ بأرفع الكمالات الإنسانية، ويتحَلَّوْن بأسمى الأخلاقِ الفاضلة: كالكرم، والعدل، والشجاعة، والصبر، والعِفَّة، والأمانة، والحِلم، والحياء، وسائر مكارم الأخلاق، ولِذا فقد وصف اللّـهُ تعالى نبيَّنا الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فالرسالـةُ لا يصلـحُ لها بخيـلٌ، ولا جَبَـانٌ، ولا عـاصٍ، ولا خائـنٌ، ولا حَقُودٌ، ولا حسودٌ.. وإنما يصلح لها مَن اتَّصَفَ بكرم النفس وطهارتها، وتحَلَّى بالأخلاق الفاضلة.

وإنَّما خصَّ الله رُسُلَهُ بهذه الصِّفات ليصِـحَّ الاقتداءُ بهم، ولو لم يكونوا مُتميِّزين بهذه الفضائل، معصومين من النقائص، لَما كانوا أهلاً لاختصاص الله إيَّاهُم بوَحيِهِ، ولَضَعُفَتْ ثقةُ الناسِ بهم، ولَضاعتِ الحكمة من إرسالهم.

---

(١) قال الحافظُ ابن حجر معلِّقاً على اتهام بني إسرائيل لسيدنا موسى بعيبٍ خِلْقيّ في جسده ٦/٤٣٨ (٣٤٠٤): «وفيه أنَّ الأنبياء في خُلُقِهم وخَلقِهم على غايةِ الكمال، وأنَّ من نسبَ نبياً من الأنبياء إلى نقصٍ في خلقته فقد آذاه، ويُخشى على فاعله الكفر».

س١ ــ ما أهمُّ الصِّفاتِ التي يجب أن يتَّصِفَ بها الرُّسُل؟

س٢ ــ شهد الأعداءُ لرسولنا محمدٍ ﷺ بالصدق، اذكر دليلاً على ذلك.

س٣ ــ ما معنى العِصْمة؟

س٤ ــ ما معنى الفَطَانَة؟

س٥ ــ تميَّزَ الرُّسُلُ بالكمالِ الإنساني، اذكر أهم الفضائل الخُلُقِيَّة التي اتَّصف بها الرُّسُل.

س٦ ــ لماذا خصَّ الله رسله بتلك الصِّفات؟

❑ ❑ ❑

الدرس السادس والعشرون

٤ ـ مُهِمَّةُ الرُّسُل

إنَّ مُهِمَّةَ الرُّسُلِ تتَلَخَّصُ في كلمةٍ واحدةٍ هي: **هداية الخَلْق إلى الحق**، وتتحقق تلك الهداية بأمور[1]:

١ ـ تعريفُ النَّاس بالله:

فهُم يُعَرِّفونَهم باللَّـهِ وَجَلالِهِ، ويُذَكِّرونَهم بعظَمَتِهِ، وصفاتِ كمالِهِ، وحَقِّهِ على عباده، ليعبدوه وحده، ويتحرَّروا من كل عبوديَّة لغيره.

٢ ـ التعريفُ بِعَالَمِ الغَيْب:

وهو ما غابَ عن الحِسِّ ممَّا لا يُعرف إلاَّ عن طريق الخبرِ الصَّادق.

ومن الغيب: الملائكة والجن، وما يكونُ بعد الموت من فِتْنَةِ القبرِ، والبعث والحساب والجنة والنار...

ولا يمكن التعرُّفُ على الغيب إلَّا عن طريق الرُّسُل عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

---

(١) التوحيد والفقه، للصف الثالث الإعدادي بقطَر ص ٢٣ ـ ٢٨ بتصرُّف.

٣ ـ تبليغُ الأحكامِ الإلهيَّة:

مِن رحمة الله بعباده أن شَرَعَ لهم أحكاماً تُصلحهم وتُسعدهم، وتحفظ دماءَهُم، وتَصُونُ أموالهم وأعراضهم، وهو سبحانه العليم بما يصلحهم.

وقد جعل تبليغ هذه الأحكام مِن مهمَّة الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم، فهُم الذين يُبيِّنون لهم الحلال والحرام، والطيِّبَ والخبيث، والحسَن والقبيح.. حَتَّى لا يكونوا ضحيَّةً لعقولهم التي قد يزل بها الهوى، وتضل بعجزها عن سواء السبيل.

قال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

٤ ـ الأُسْوَةُ الحَسَنة:

إنَّ مهمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هي الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتديَ الناسُ بِهِمْ.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

* * *

هذه أهم المهمَّات التي يقوم بها الرُّسُلُ عليهم السلام في هداية الناس إلى الخير وتحذيرهم من الشر، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾ [الكهف: ٥٦].

فما وراء ذلك ليس من أعمالهم، ومِنْ ذلك:

١ ـ التَّحَكُّمُ في سُنَنِ الكَوْن:

ليس من وظائف الرُّسُل التَّصَرُّفُ في أمور الكون وتغيير سُننه وقوانينه، إلَّا ما أيَّدهم الله به من المعجزات.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨].

ولما طلب المشركون من الرسول ﷺ أن يَأْتيَهم بالآيات والخوارق ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

وليس من وظائفهم معرفةُ الغيب والإنْباءُ عنه إلَّا بما أعلمهم الله سبحانه، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٢ ـ تحقيقُ الهِدايةِ في قلوبِ النَّاس:

ليس مِن مهمَّة الرُّسُل إجبارُ أحدٍ على الإيمان، وتحقيقُ الهداية في قلوبهم، وإلزامُ الناسِ بها، وإنما مُهمتهم البلاغ والدلالة على طريق الهداية فحسب؛ فمَن آمَنَ بِهِمْ فقد فازَ وربحَ. ومَن كفرَ فقد خاب وخَسِر، وذلك هو الخسرانُ المبينُ.

قال اللَّـهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

المناقشة

س١ ـ ما مهمَّةُ الرُّسُلِ باختصار؟

س٢ ـ كيف يُعَرِّفُ الرسلُ الناسَ بالله تعالى؟ ولِماذا؟

س٣ ـ ما الغيب؟ وهل يمكن لنا أن نتعرَّفَ عليه بأنفسِنا؟

س٤ ـ لماذا شرعَ اللَّـهُ سبحانه لنا الأحكام؟ ومَن الذي يُبيِّنها لنا؟

س٥ ـ كيف يُحَقِّقُ الرُّسُلُ الأُسوةَ الحسنة بهم؟ وضِّح ذلك مع الدليل؟

س٦ ـ هَل من مهمَّة الرُّسُلِ التحكُّم في سُنن الكون؟ وما دليلك على ذلك؟

س٧ ـ هل يعرف الرُّسُلُ الغيبَ من تلقاء أنفسهم؟ وما دليلك على ما تقول؟

س٨ ـ هل يستطيع الرسلُ إجبار أحدٍ على الإيمان؟ وما دليلك على ذلك؟

الدرس السابع والعشرون

٥ ـ لكلِّ أُمَّةٍ رسول

مِن رحمة الله بعباده أنه لم يترك أُمَّةً من الأمم، ولا جيلاً من الأجيال إلاَّ وأرسل إليهم رسولاً يدعوهم إلى الله ويبشِّرهم وينذرهم، حَتَّى تقومَ الحُجَّة على العباد، وتنقطعَ أعذارهم.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

عَدَدُ الرُّسُل:

أرسَلَ الله سبحانه وتعالى رُسُلاً إلى جميع الأمم، لا يعلم عددهم إلاَّ الله سبحانه، وقَدْ قَصَّ القرآنُ الكريم علينا بعضاً منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وذَكَرَ اللّٰهُ سبحانه في القرآنِ الكريمِ **خمسةً وعشرين** رسولاً، وهم:

آدم أبو البشر ـ نوح شيخ المرسلين ـ إدريس ـ هود ـ صالح ـ إبراهيم ـ لوط ـ إسماعيل بن إبراهيم ـ إسحاق بن إبراهيم ـ يعقوب بن إسحاق ـ يوسف بن يعقوب ـ شعيب ـ موسى ـ هارون ـ داود ـ

سليمان بن داود ـ أيوب ـ يونس ـ اليَسَع ـ ذو الكفل ـ إلياس ـ زكريا ـ يحيى بن زكريَّا ـ عيسى ـ محمدٌ. . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أُولو العَزْم منَ الرُّسُل:

العزم: القوَّة في الدِّين، والإمامة في الصَّبر والتقوى. قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وأولو العزم خمسةٌ هم: نَبِيُّنا محمد ﷺ، وإبراهيم، ونوحٌ، وموسى، وعيسى، عليهم السلام. وقد خَصَّهُمُ اللّٰهُ بالذِّكْر في كتابه في بعض المواضع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ(١)﴾ [الأحزاب: ٧].

وخاطَبَ الله تعالى نبيَّه محمداً بقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

التفاضل بينهم:

وقد أخبر القرآنُ الكريم أَنَّ الله فضَّل بعضَ الرُّسُل على بعض، فقال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والتفضيل راجع إلى اختيار الله تعالى، بمزايا وهَبَها للرسول، أو لأمَّته، أو لرسالته. .

وأفضلُ الرُّسُلِ على الإِطْلاق هم أولو العزم، وأفضلُ أولي العزم هو رسُولُنا محمدٌ ﷺ، إذ أنه جمَعَ كُلَّ ما تَفَرَّقَ في الرُّسُلِ السابقين ورسالاتهم

(١) ميثاقهم: عهدهم المؤكَّد على الوفاء بما حُمِّلوا، وأن يبلِّغوا أممهم ما أمرهم بتبليغه، وأن يُصدِّق بعضهم بعضاً، ويبشِّر بعضهم ببعض.

من مزايا، ومحاسنَ وكمالاتٍ، فهوَ ﷺ أفضَلُ المرسَلين، وسيدُهُم، ورسالَتُهُ أكملُ الرسالاتِ وأعَمُّها وأَشْمَلُهَا، وأمَّتُه خيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس، ودِينُهُ هو الدينُ الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة.

وليس معنى التفضيل بين الرُّسُل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ تنقيصَ أحدٍ منهم، أو الغَضَّ من شأنه، أو أن تحدُثَ خصومة أو عداوة بسبب ذلك.

المناقشة

س١ ـ هل أرسلَ اللّـهُ سبحانه لكلِّ أمَّةٍ رسولاً؟ ولماذا؟

س٢ ـ ما عدد الرُّسُل الذين أرسلهم الله؟ وهل ذكَرَهم الله سبحانه جميعاً في كتابه؟

س٣ ـ ما عدد الرُّسُل الذين ذكَرَهم الله في كتابه؟ وما أسماؤهم؟

س٤ ـ ما المراد بالعَزْم؟ ومَنْ أُولو العزم من الرُّسُل؟

س٥ ـ هل يجوز التفضيل بين الرُّسُل؟ وما معناه؟

س٦ ـ مَن أفضل الرُّسُل؟ ولماذا؟

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) لَم يترك الله أمَّةً إلاَّ وأرسلَ إليهم رسولاً.

(ب) لَم يقُصَّ الله علينا قَصَصَ جميع الرُّسل.

(ج) فضَّلَ اللّـهُ بعض الرُّسُلِ على بعض.

❑❑❑

الدرس الثامن والعشرون

٦ ـ أصولُ الرسالاتِ واحدة

لقد تتَابَعَتْ رسالاتُ الله إلى الأمم في مختلف الأمصار وشتَّى الأعصار، ومع تباعد المكان وطول الزمان، فَإِنَّ أصول هذه الرسالات واحدة، يُصَدِّقُ بعضها بعضاً، ويشهدُ بعضها لبعض، مما يدل على وحدةِ مصدرها، وصدقِ أصحابها.

وكلُّها تقوم على الدعوة إلى:

١ ـ الإيمانِ باللّـهِ وحده، وما يَجِبُ له سبحانه من الاتِّصَافِ بكلِّ كمالٍ، والتَّنزُّهِ عن كل نَقْص.

٢ ـ الإيمانِ باليوم الآخر وما فيه من بعثٍ وحسابٍ وثوابٍ وعقابٍ وجنَّةٍ ونار.

٣ ـ العمل الصَّالح والأخلاق الفاضلة.

وكلُّها تحذِّرُ من:

١ ـ الشِّركِ بالله.

٢ ـ الشَّكِ في الآخرة.

٣ ـ سوءِ العملِ وفسادِ الأخلاق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾(1) ﴾ [البقرة: ٦٢].

وأعظمُ الأصول الثلاثة هو: الإيمان بالله تعالى؛ إذ هو الأساس الذي يترتَّبُ عليه سائر الأركان، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والإيمان باليوم الآخر هو الأصل الثاني، وبه يكمل الإيمان بالله تعالى.

والإيمانُ باللّٰـهِ واليومِ الآخرِ يستلزمُ الإيمانَ بالرُّسُلِ، وببَقِيَّةِ الأركان، لأننا لم نعرفْها إلَّا عن طريق الرُّسُل عليهم السلام.

والأصل الثالث للرسالات هو: العمل الصَّالح، وهو أثرٌ لازمٌ للإيمان بالله واليومِ الآخر، وثمرةٌ طبيعية له، فإيمانٌ بلا عمل، كشجرٍ بلا ثمر، وسحابٍ بلا مطر، ولهذا نرى آياتِ القرآن إذا ذكرت الإيمان ذكَرَت العملَ الصالح معه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧].

---

(١) **الذين هادوا**: يعني اليهود، الذين كانوا على دين موسى ولم يُبَدِّلُوا، **والنصارى**: الذين كانوا على دينِ عيسى ولم يغيِّروا، **والصَّابئين**: وهم قومٌ حنفاء مُوحِّدون باقون على فطرتهم، وليست لهم شريعة يعملون بها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البيِّنة: ٧].

* * *

فهذه الأمورُ الثلاثة هي أصولُ الرسالات السَّماوية وإنِ اختلفت المناهج باختلاف الأقوام، واختلاف المكان والزمان.

قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا(1) ﴾ [المائدة: ٤٨].

والرسالاتُ السابقة كانت موقوتةً بزمن مُعيَّن، ومحدودةً بمكانٍ مُعيَّن، حَتَّى تأذَّنَ الله للبشريَّةِ بالرسالة الشاملةِ العامةِ الخالدة الصَّالحة لكل زمانٍ ومكان، فأرسَلَ بها محمداً ﷺ فكانت رسالتُهُ خاتمةَ الرسالاتِ وأكملَها.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وما نراه اليوم من البَوْنِ الشاسع في المعتقدات بين أتباع ديانات رَبَّانيَّةٍ صحيحة الأصل، فذلك بسبب التحريف والتبديل الذي دخل إلى هذه الديانات، ولو أَنَّ هذه الديانات السابقة بقيت على أصولها من غير تحريف لالتقى مُتَّبِعوها مع المسلمين التقاءً تامًّا، ولَكانَ أتباع الديانات كلهم أتباع دين الإسلام الذي خَتَمَ الله به الرسالات وأنزله على محمد عليه الصلاة والسلام.

فالإسلامُ هو دينُ اللّٰـهِ عزَّ وجَلَّ في الأرضِ، ولا دينَ لله سواه، ومعتنق غيره من الأديانِ كافرٌ.

---

(١) **شِرْعَةً**: أي شريعة، (وهي المبادىء والأسس الاعتقادية التي يستقون منها مفاهيمهم وعقائدهم)، وأصلُ الشريعة: من الشرعِ وهو البيانُ والإظهار، فمعنى شَرَعَ: بيَّنَ وأوضح، **ومنهاجاً**: طريقاً واضِحاً (وهي الأحكام التفصيلية المستندة إلى المبادىء والأسس الاعتقادية).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾[1]﴾ [آل عمران: ٨٥].

المناقشة

س١ ــ الرسالات السماوية كلها تدعو إلى أصولٍ ثلاثة، وتحذِّرُ من أمورٍ ثلاثة، فما هي؟

س٢ ــ ما أعظم الأصول الثلاثة؟ ولماذا؟

س٣ ــ نرى آياتِ القرآن إذا ذَكَرَت الإيمان بالله ذَكَرَتِ العمل الصالح معه، وضِّح ذلك.

س٤ ــ هل تتفق المناهج في الرسالات السماوية؟ ولماذا؟

س٥ ــ ما سببُ الاختلاف في المعتقَداتِ بين أتباعِ الدياناتِ الرَّبَّانِيَّةِ؟

س٦ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) أصول الرسالات السماوية واحدة.

(ب) اختلاف المناهج في الرسالات السماوية.

(ج) رسالة الإسلام أكمل الرسالات.

(د) الإسلامُ هوَ دينُ اللَّهِ، ومُعْتَنِقُ غيرِهِ من الأديانِ كافر.

❑❑❑

(١) وقد سمَّى اللَّهُ سبحانه أهل الكتابِ ــ وهم اليهود والنصارى ــ كُفَّاراً في سورة البقرة، والنساء، والحشر، والبينة، وغيرها. وكفرهم واضحٌ لا خفاءَ فيه.

الدرس التاسع والعشرون

٧ ـ المعجزة

تعريفها:

هي أمرٌ خارق للعادة، يُظهِرُهُ اللَّهُ على يدِ النبي، تصديقاً له في دعواه على جِهَةِ التَّحَدي.

شرح التعريف:

١ ــ معنى قولنا: «**أمرٌ خارق للعادة**»[1]، أن يكون خارجاً عن نطاق الأسباب المقدورة للبشر، وفوق طاقتهم، بحيث يعجزون مجتمعين أو متفرقين عن معارضته والإتيان بمثله.

٢ ــ وخرج بقولنا: «**أمرٌ خارق للعادة**»، السِّحرُ والشَّعوذةُ ونحوهما، فذلك أمرٌ ممكن لكثير من البشر بالتعلُّم.

٣ ــ وخرج بقولنا: «**يُظهِرُهُ الله على يد النبي**»، ما يظهره الله على أيدي الصَّالحين من أتباع الأنبياء تكريماً لهم، فهذا ما يُسمِّيه العلماء «كرامة».

(١) والأمرُ الخارقُ للعادةِ غير الخارق للعقل، فليس في المعجزاتِ ما هو خارقٌ للعقل، كما أنه ليس في أحكام الدينِ ولا في أخبارِهِ ما هو خارقٌ للعقل.

فالكرامة: أمرٌ خارق للعادة يجريه الله على أيدي الصَّالحين من المؤمنين تكريماً لهم ولا يكونُ فيها تحدٍّ لأحد.

٤ ــ ومعنى قولنا: «**تصديقاً له في دعواه**»، أي أنها تأتي موافقة لمطلوبه، لتكون دليلاً على صدقه، فكأنَّ الله تعالى يقول: صَدَقَ عبدي فيما يُبلِّغ عني.

٥ ــ ومعنى قولنا: «**على جهةِ التحدِّي**»، أي تتعَذَّرُ معارضتها، ولا يقدر أحدٌ عليها، ولا على ما يُقَاربها.

ولذلكَ: فَإنَّ كُلَّ معجزةٍ يكونُ لسان حالِها مقروناً بالتحدِّي، وإن لم يُصرِّح النبـيُّ بهذا التحدِّي، كَما هو الحال في نبعِ الماء من بين أصابعِ الرسول ﷺ، وتكثيرِ الطعام، وغيرِ ذلكَ من المعجزات.

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول:

وإنما كانت المعجزة دليلاً على صدق الرسول، لأنه لا يستطيعُ أن يأتيَ بها من عندِ نفسه، وإنما هِيَ من عند الخالق العظيم الذي أرسله، فَإنَّ إظهار الله لهذا الخارق على يده عند تحدِّيه لقومه يُعَدُّ تأييداً من الله له، وإثباتاً لرسالته، وتأكيداً لصِدقِه.

الفرقُ بينَ المعجزةِ والكرامة:

ولَمَّا كانَ التشابُهُ قائماً بين المعجزةِ والكرامة، لأنَّ كلاًّ من النبـيِّ والوَلِي يتشابهانِ في الاستقامة والصَّلاح، فأذكرُ لكَ أهمَّ الفروق بين المعجزة والكرامة:

١ ــ صاحبُ المعجزةِ نبـيٌّ مؤيَّدٌ بالوحي، وأمَّا صاحبُ الكرامةِ فهو مُتَّبِعٌ للنبـيِّ مُصَدِّقٌ به.

٢ ــ المعجزةُ هي دلالةٌ على النبوَّةِ، وأما الكرامة فهي نوع من معجزات النبـي، لأن هؤلاء الصُّلَحاء ما كانت لتجريَ لهم تلك الخوارقُ لولا اتِّباعهم الكامل لنبيهم.

٣ ــ صاحبُ المعجزةِ لا يكتمُ معجزته بل يتحدَّى بها، وأمَّا صاحبُ الكرامة فهو يجتهد في كِتمانِ ما أكرمه اللَّـهُ تعالى به، وقد لا يُشعر بِهِ.

٤ ــ صاحبُ المعجزةِ معصومٌ عن الكفرِ والمعصية، وأمَّا صاحبُ الكرامة فهو غير معصومٍ عن الكفر والمعصية[1].

وجوبُ الإيمانِ بالمعجزات:

١ ــ يجبُ على المؤمنِ الإيمانُ بالمعجزاتِ للأنبياءِ عموماً، لأنَّ القرآن الكريم أخبرَنا بوقوعِ كثيرٍ من المعجزاتِ على يدِ الأنبياء عليهم السلام.

٢ ــ وعلينا أن نؤمنَ بِأَنَّ الأنبياءَ لا يأتونَ بالمعجزاتِ من عندِ أنفسهم، ولكنَّ اللَّـهَ تعالى يُكرمُهُمْ ويجريها على أيديهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨].

٣ ــ مَن أنكرَ وقوعَ المعجزاتِ للأنبياء فهو كافرٌ، لأنه أنكر ما ثبتَ بنصِّ القرآن الكريم.

الحكمةُ من المعجزات:

١ ــ **إثباتُ قدرةِ الله سبحانه**: المعجزةُ لا تعتمدُ على الأسباب المعتادة، ولا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلِها مهما تقدَّموا في العلم والمعرفة، فالمؤمن يَقْوىٰ إيمانه بالله سبحانه، ويعلمُ أنه سبحانه على كل شيءٍ

(١) العقيدة الإسلامية، للصف الثاني الثانوي الشرعي في سوريا ص ٩٩.

قدير، وأنَّ قدرته لا تحدُّ بحدود، ولا تخضع للأسباب المعتادةِ عند البشر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].

٢ ـ **إثباتُ صِدْقِ الرسول**: فالمعجزةُ قائمةٌ مقامَ قولِ اللّٰهِ تعالى: صدَقَ عبدي في كلِّ ما يُبلِّغُهُ عنِّي، وبذلك تقومُ الحُجَّة على الناس، ولا يبقى لأحدٍ عذرٌ في عدمِ تصديق الرسول.

٣ ـ **تكريمُ الرسولِ وإظهارُ منزلته**: ومن المعجزاتِ ما يهدف إلى تكريم الرسولِ وإظهارِ مقامه عند ربِّهِ، إلى جانبِ كونها دليلاً على صدقه، كما هو الحال في معجزةِ الإسراء والمعراج.

٤ ـ **إنذارُ الكافرين وتنبيهُ الغافلين**: ومن المعجزاتِ ما هو نذيرٌ للكافِرين المعانِدين، وتنبيهٌ للغافلين، فآياتُ الأنبياءِ ومعجزاتهم تُنَبِّهُ أقوامَهُم من غَفْلَتِهِمْ، ليتَّبعوا الحقَّ الَّذي جاءَ به الرُّسُلُ صلوات الله وسلامه عليهم.

٥ ـ **هداية الخلائق**: ومن المعجزاتِ ما هو لهدايةِ الخلائق، إلى جانب كونها إثباتاً لنبوَّةِ الرسول ﷺ، ومن هذا النوع: القرآنُ الكريم، فإنه إلى جانبِ كونه يثبتُ نُبُوَّةَ محمد ﷺ فهو كتابُ هدايةٍ وإرشاد.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

المناقشة

س١ ـ عرِّف المعجزة وبيِّنْ وجهَ دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ.

س٢ ـ ما معنى: «أمرٌ خارقٌ للعادة»؟

س٣ ـ ماذا يخرج من تعريف المعجزة في قولنا: «أمرٌ خارقٌ للعادة، يظهرُهُ الله على يدِ النبـي»؟

س٤ ـ ما معنى قولنا في تعريف المعجزة: «على جهةِ التحدِّي»؟

س٥ ـ ما وجهُ دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ؟

س٦ ـ ما الفرقُ بين المعجزةِ والكرامة؟

س٧ ـ ما حكمُ الإيمانِ بالمعجزات؟ وما حكمُ مَن أنكر وقوعها؟

س٨ ـ ما الحكمة من المعجزات؟

❑ ❑ ❑

الدرس الثلاثون

مِن معجزاتِ الرُّسُلِ عليهم السلام

أيَّدَ اللّٰهُ تعالى رُسُلَهُ بالمعجزات، ونصَرَهُم بآياتٍ بيِّناتٍ، وبراهين واضِحات، تدلُّ على صِدْقِهِمْ، وقد نوَّعَ اللّٰهُ سبحانه تلك المعجزاتِ بينَ الاستجابة لِما يطلبه الأقوامُ من أنبيائهم، وما يمنحهُ اللّٰهُ عزَّ وجلَّ بلا طلبٍ منهم، ومن تلك المعجزات:

١ ــ ناقةُ صالح عليه السلام:

لقد أيَّدَ اللّٰهُ تعالى رسولَه صالحاً عليه السلام المرسل إلى ثمودَ بالناقة. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾(1) [الإسراء: ٥٩].

ذلكَ أَنَّ ثمودَ طلبوا من رسولهم صالح عليه السلام: أن يُخرج لهم ناقةً من الصخرة، لتكونَ دليلاً على صِدْقِ نُبوَّتِهِ ورسَالَتِه، فأخرجها لهم، ولكنهم لم يؤمنوا فأهلكهم الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾(2) [الشمس: ١٤ ــ ١٥].

(١) **مُبْصِرةً**: بيِّنةً. **فظلموا بها**: جَحَدوا أنها من عند الله.

(٢) **فعقروها**: يعني الناقة، والعقر: النَّحر، **فدمدم عليهم ربُّهُمْ**: أي فدَمَّرَ عليهم ربهم =

٢ ــ تحوُّلُ النارِ إلى بردٍ وسلامٍ عَلَى إبراهيم عليه السلام:

بَعَثَ الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوم يعبدونَ الأصنام، فدَعاهم إلى عبادةِ اللّٰهِ وحده، فلم يستجيبوا له، فأرادَ إبراهيمُ أن يقيمَ عليهم الحُجَّةَ، ويبيِّنَ لهم أَنَّ هذه الأصنام لا تستحقُّ العبادة، وأنها لا تستطيع دفعَ الأذى عن نفسها، فضلاً عن غيرها، فعمدَ إلى تكسير الأصنام جميعها إلَّا الصَّنَمَ الأكبر، وعلَّقَ الفأس في رقبته..

ولَمَّا عادوا وجدوا أصنامهم كلها مُحَطَّمةً إلَّا الصنم الأكبر، فتوجَّهوا إلى إبراهيم عليه السلام، وسألوه: أأنت حطَّمتَ هذه الأصنام؟ فقال لهم: بل حطمها الصنمُ الأكبر، فاسألوهم إن كانوا ينطقون، ولكن كيف يسألون أصناماً من حَجَرٍ، وهُم يعلمون أَنَّ الحجارةَ لا تنطق، فخجلوا من أنفسهم، وقرَّروا أن يُحرِّقوا سيدنا إبراهيم، فجمعوا له حطباً كثيراً، وأشعلوا النار فيه، وحين ألقوهُ في النار التي أوقدوها جَعَلها الله برداً وسلاماً عليه، فلم تمسه النار بشيءٍ من الأذى، وخرج من النار بعدما خَمَدَتْ، والكفَّار ينظرون إليه، ويتعجَّبون ممَّا يَرَوْن.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ ــ ٧٠].

٣ ــ معجزاتُ عَصَا موسى عليه السلام:

لقد ذَكَرَ اللّٰهُ سبحانه ثلاث معجزاتٍ لموسى عليه السلام أجراها الله على يديه بواسطة عَصَاه.

= وأهلكهم، والدمدمة: هلاكُ استئصال، **فسَوَّاها**: أي فسوَّى الدمدمة عليهم جميعاً وعمَّهم بها، **عُقْباها**: أي لا يخافُ اللّٰهُ تَبِعَةً في هلاكهم.

الأولى: عندما اجتمع السَّحَرَةُ، وألقوا حِبالَهم وعِصِيَّهُم، وخُيِّلَ للناسِ أنها أفاعي تتحرَّك، ولَمَّا ألقى موسى عصاهُ انقلبت حيَّةً حقيقية والتهمت جميعَ أشكالِ الأفاعي التي صنعها السَّحَرَة بسِحرِهِم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1] [الأعراف: ١١٦ ــ ١١٧]، عند ذلك آمنَ سحرة فرعون، ولم يبالوا بتهديد فرعونَ ووعيده.

الثانية: حينَ أحسَّ موسى بالخطر يتهدَّدُ قَوْمَه، أمَرَهُمْ بالخروج من مصر ليلاً، ولكنَّ فرعونَ وجنودَه اتَّبعوهم، ولَمَّا وصل موسى إلى حافَّةِ البحر، أمرَهُ الله أن يضربَ بعصَاهُ البحر، فضَرَبَهُ بها، فانشقَّ له من البحر اثنا عشر طريقاً يَبَساً، فسلكَهُ موسى وقومُهُ، ولحقه فرعونُ، ولَمَّا خرج موسى ومَن آمنَ معه من البحر أطبقت المياه على فرعونَ وجنودِه، فغرِقوا وأهلكَ اللّٰهُ فرعون، ثُمَّ ألقاه البحرُ إلى الشاطىء ليكون عبرةً للناس.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

(١) **سَحروا أعين الناس**: يعني صَرَفوا أعين الناس عن إدراكِ حقيقةِ ما فعلوه من التمويه والتخييل، وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو من فِعل البشر، وبين معجزةِ الأنبياء عليهم السلام التي هي من فعل اللّٰهِ تعالى، وذلك لأن السحر: قلبُ الأعين وصرفها عن إدراك ذلك الشيء، والمعجزةُ: قلب نفس الشيء عن حقيقته، كقلبِ عصا موسى حَيَّةً تسعى، **واسترهبوهم**: أفزعوهم بما فعلوه من السحر، **تلقف**: تبتلع، **ما يأفكون**: ما يكذب فيه السحرة، لأنَّ الإفك قلب الشيءِ عن وجهه.

ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] [الشعراء: ٦٣ ــ ٦٧].

الثالثة: أنَّ موسى عندمَا كانَ مع بني إسرائيل في التِّيه، احتاجوا إلى الماء، فأمَرَهُ الله سبحانه أن يضرب بعصاهُ الحجر، فانفجرت منه المياه.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[2] [الأعراف: ١٦٠].

وغير ذلك من المعجزاتِ التي وقعت لسيدنا موسى عليه السلام، وكان الغالبُ على قُدماءِ المصريين براعَتَهُمْ بالسِّحر، فأيَّدَهُ الله سبحانه بمعجزاتٍ من جنسِ ما بَرَعُوا فيه، تدلُّ على صدقه وصِحَّةِ نبوَّته لتكونَ الحجَّةُ أبلغَ، والإعجازُ أتَمّ.

٤ ــ معجزاتُ عيسى عليه السلام:

أيَّدَ اللّٰهُ سيدَنا عيسى عليه السلام بكثيرٍ من المعجزاتِ العظيمة، منها:

(أ) كلامُه عليه السلام وهو طفلٌ في المهد، قال تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] [آل عمران: ٤٦]، وقال تعالى:

(١) **فانفلق**: فانشق البحر، **فرقٍ**: أي قطعة من الماء، **كالطود**: أي الجبل، **وأزلفنا ثَمَّ الآخرين**: قَرَّبْنا فرعونَ وجنودَه إلى البحر وقدَّمناهم إلى الهلاك.

(٢) **فانبجست**: فانفجرت، منه: من الحجر.

(٣) **في المهد**: يكلِّمُ الناسَ طِفلاً وهو في المهدِ قبل أوانِ الكلام، **وكهلاً**: يعني ويكلِّمُ الناس في حالِ الكهولة، والكهل في اللغة هو الَّذي اجتمعت قوَّتُه وكَمُلَ شبابه، =

﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٢٩ ـ ٣١].

(ب) خَلْقُهُ من الطينِ طيراً بإذنِ الله. قال تعالى: ﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠]، وإنَّما كَرَّرَ قوله: (بإذني) تأكيداً لكون ذلك الخلق واقعاً بقُدرةِ الله تعالى.

(ج) إبْراءُ الأكمهِ والأبرص بإذن الله. قال تعالى: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾(1) [المائدة: ١١٠].

(د) إحياءُ الموتى بإذنِ اللّـهِ عزَّ وجلّ:

قال تعالى: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

وغير ذلكَ من المعجزاتِ التي وقعت لسيِّدنا عيسى عليه السلام، وكان الغالبُ على زمانِ عيسى عليه السلام الطب، فكانت معجزته من جنسِ ذلك ليكونَ دليلاً على صدقِهِ وصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ.

= والكهل عند العرب هو الَّذي جاوز الثلاثين، وفي هذه الآية إشارةٌ على أنه سينزل من السماء إلى الأرض ويقتل الدجّال.

(1) **تبرىء الأكمهَ**: تشفي الأكمه، وهو الَّذي وُلِدَ أعمى البصر، **والأبرص**: البَرَصُ بياضٌ يقع في الجلد بسببِ مرض.

س١ ـ ما معجزةُ صالحٍ عليه السلام؟

س٢ ـ ما معجزةُ إبراهيم عليه السلام؟

س٣ ـ ذَكرَ اللّـهُ سبحانه ثلاثَ معجزاتٍ لموسى عليه السلام أجراها على يديه بواسطةِ عصاه، اذكر تلكَ المعجزات.

س٤ ـ أيَّدَ اللّـهُ سبحانه عيسى عليه السلام بمعجزاتٍ عظيمة، اذكر ثلاثاً منها.

س٥ ـ لِماذا كانتِ العَصَا أعظمَ معجزةٍ لموسى، وإحياءُ الموتى أعظمَ معجزةٍ لعيسى عليهما السلام؟

س٦ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) موقف قوم صالحٍ من معجزةِ الناقة.

(ب) عدمُ إحراقِ النار إبراهيمَ عليه السلام.

(ج) خلقُ عيسى عليه السلام من الطينِ طيراً بإذنِ الله.

س٧ ـ أكمل الأدلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ .... ﴾.

(ب) ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ .... ﴾.

□ □ □

الدرس الحادي والثلاثون

من مُعْجزَاتِ نَبينا محمدٍ ﷺ

أيَّدَ اللّـهُ نبيَّهُ محمداً ﷺ بالمعجزاتِ الماديَّةِ، وفضَّلَهُ بمعجزةٍ مَعنويَّةٍ كُبرى باقيةٍ إلى يوم القيامة، وهي (القرآن الكريم) الَّذِي أعجزَ الأوَّلين والآخرين.

كَما أظهر اللّـهُ تعالى على يدِ رسوله ﷺ الكثيرَ من المعجزاتِ الحِسِّيَّةِ التي يحسُّها الناس بأدواتِ الحس.

منها: معجزاتٌ **سماويَّة** تتعلَّق بالسماء، كانشقاق القمر، والإسراءِ والمعراج، وإمْطَارِ المَطَر، والإمداد بالملائكة في حروبه.

ومنها: معجزاتٌ **أرضيَّة** تتعلَّق بالأرض في مجال الإنسان والحيوان والنبات والجماد من حجر وطعامٍ وماء.

ومنها: إجابةُ دعائه ﷺ، وإخبارُه بالمغيبات، وحمايتُه ﷺ من الأعداء.

وأَذْكُرُ بإيجازٍ بعض تلك المعجزات:

١ ــ انشقاقُ القمر:

ثبتت هذه المعجزة الحِسيَّة في القرآنِ الكريم والسُّنَّةِ النبويَّةِ الصَّحيحة التي بَلَغَتْ حدَّ التَّواتُر؛ فيجبُ الإيمانُ بها واعتقادُ وقوعها، قال اللّـهُ تعالى:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[١] [القمر: ١ ــ ٢].

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: انشقَّ القمرُ ونحن مع النبيِّ ﷺ فصار فرقَتين، فقال لنا: «**اشهدوا، اشهدوا**»[٢].

٢ ــ الإسراء والمعراج:

الإسراءُ: هو الذَّهابُ ليلاً برسولِ الله ﷺ من المسجد الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى.

والمعراجُ: هو الصُّعودُ برَسولِ اللّـه ﷺ إلى السمواتِ السبع، إلى سِدْرةِ المُنتهى.

وقد ثبتَ الإسراءُ في قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وثَبَتَ المعراجُ في مَطْلعِ سورةِ النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[٣] [النجم: ١٣ ــ ١٨].

---

(١) **آيةً**: أي انشقاق القمر. **يُعرضوا**: عن التصديق بها، **سحرٌ مستمر**: دائمٌ مطَّرِد.

(٢) أخرجه البخاريُّ في التفسير (٤٨٦٥)، ومسلم في كتاب صفة المنافقين (٢٨٠٠).

(٣) **ولقد رآهُ**: أي رأى محمَّدٌ ﷺ جبريلَ عليه السلام على صورتِهِ الحقيقية التي خَلَقَهُ الله تعالى عليها، له ستمائة جناحٍ، قد سدَّ الأُفق عند بطحاءِ مكة. **نزلةً أخرى**: أي مرَّةً أخرى فوقَ السَّمواتِ السبع، وكانَت هذه الرؤيا ليلةَ الإسراءِ والمعراج، **سدْرة المنتهى**: السِّدرةُ شجرةُ النبق في السماء السابعة عن يمينِ =

كما ثبتَ المِعراجُ بالأحاديثِ التي بلغَتْ مبلغَ التواتر، وكانَ الإسراءُ والمعراجُ بجَسَدِهِ وروحِهِ ﷺ.

ومنَ الأدلَّةِ على أَنَّ الإسراءَ والمعراج بالجسمِ والروحِ:

(أ) قولُه تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، أي: بجسمه وروحه، إذ أَنَّ اسمَ العبدِ لا يُطلقُ على الروحِ بدونِ جسمٍ.

(ب) كما أَنَّ قولَهُ تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، يدلُّ على أَنَّ الإسراءَ بالجسم، لأَنَّ تحديد المسافاتِ الحِسِّيَّةِ الأرضيَّةِ هو شأنُ الأجسام، أما الأرواح فلا تحدُّها المسافاتُ ولا تُقيِّدُها الأماكن.

(ج) ولو كانَ الإسراءُ والمعراجُ مناماً لَما كانت فيه آيةٌ ولا معجزة، ولا استبْعدهُ الكفَّار ولا كذَّبوه، ولا ارتدَّ الضُّعفاءُ مِمَّنْ أسلم، ولَما افْتُتِنوا به، لأَنَّ مثل هذا في المنامِ لا يُنكَر.

٣ ـ نَبْعُ الماءِ من بينِ أصابعه ﷺ:

إِنَّ معجزةَ نبعِ الماءِ قد تعدَّد وقوعُها منه ﷺ في الحضَرِ والسَّفَرِ وفي مشاهدَ عظيمة، ورُوِيَت من طرقٍ صحيحة، فتارةً يكونُ نبعُ الماء: بوضعِ يده ﷺ في ركوةِ الماء، وتارةً تكونُ بِمَجِّ الماءِ في البئر.

= العرش، ينتهي إليها علمُ الملائكةِ وغيرهم، ولا يعلم أحدٌ ما وراءها، **جنة المأوى**: أي الجنة التي يصير إليها المتَّقون، وتأوي إليها أرواحُ الشهداء، **ما زاغَ البصر**: أي ما مالَ في ذلك المقام بصرُ رسولِ الله ﷺ يميناً ولا شِمالاً، **وما طغى**: ما جاوزَ ما أُمرَ برؤيَتِه.

٤ ـ تكثيرُ الطعامِ القليل:

بحيثُ يأكلُ منه العدد الوَفيرُ من الناس فيكفيهم، وقد تكرَّرت هذه المعجزة في مناسباتٍ كثيرةٍ ومواطنَ مختلفة.

٥ ـ حنينُ الجذْعِ إليه ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانَ المسجدُ مسقوفاً على جذوعٍ من نخلٍ، فكانَ النبي ﷺ إذا خطبَ يقوم إلى جذعٍ منها، فلَمَّا صُنِعَ له المنبر فكان عليه، فسمِعْنا لذلك الجِذْعِ صوتاً كصوتِ العِشَارِ، حَتَّى جاءَ النبي ﷺ فوضَعَ يدَهُ عليها، فسكنت»[١].

المناقشة

س١ ـ بماذا تختلفُ معجزةُ القرآنِ عن غيرها من المعجزات؟

س٢ ـ اذكر ثلاثاً من المعجزاتِ السَّماوية التي وقعت لنبينا ﷺ.

س٣ ـ اذكر ثلاثاً من المعجزات الأرضيَّة التي وقعت لنبينا ﷺ.

س٤ ـ ما معنى الإسراء والمعراج؟

س٥ ـ هل كانَ الإسراءُ والمعراجُ بروحِ الرسولِ أو بجسدِهِ ﷺ أو بهما معاً؟ بيِّنْ ذلكَ مع الأدلَّة.

س٦ ـ اذكر دليلاً لِما يأتي:

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٨٥)، والعِشَارُ: جمع عُشَراء، وهي الناقة التي انتهت في حملِها إلى عشرة أشهر.

(أ) انشقاقُ القمر.

(ب) الإسراءُ ليلاً من المسجد الحرامِ إلى المسجد الأقصى.

(ج) المعراجُ إلى السمواتِ السبع، إلى سِدرةِ المنتهى.

(د) حنينُ الجذْعِ إليه ﷺ.

❑ ❑ ❑

الدرس الثاني والثلاثون

٨ ـ نبُوَّةُ محمد ﷺ

دلائل نبُوَّته وصدق رسالته ﷺ:

توافرت الأدلَّةُ على نبوَّة محمد ﷺ، فقد أيَّدهُ الله بكثيرٍ من البيِّنات والمُعجزات التي تُثبت نبوته بأدلةٍ يقينية قاطعة، ومن هذه الأدلة:

١ ـ **البشارات بالكتب السماوية** السابقة به ﷺ قبل تحريفها.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦].

٢ ـ **كمالُ شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ** ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه(١)، فقد حَبَاهُ اللَّـهُ أخلاقَ القرآن، فكان ﷺ صادقاً، زاهداً، حليماً، صَفوحاً، عابداً لله، متوكِّلاً عليه، مجاهداً في سبيله.

(١) اقرأ ما كتبه أستاذنا العلامة الأديب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى في كتابه «تعريف عام بدينِ الإسلام» تحت عنوان: «ترجمة حياته ﷺ كانت في ذاتها معجزة» ص ١٦٨ ـ ١٨٠.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

٣ ـ **تأييدُ الله له بالمعجزات وخوارق العادات**: كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج، ونبع الماء من بين أصابعه حَتى شربَ القوم جميعاً، وتكثير الطعام القليل حَتى كفى الجيشَ الكبير، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة التي تدلُّ دلالةً قاطعةً على أنه رسولُ الله إلى الناسِ حقّاً وصِدْقاً.

٤ ـ **تَحَقُّقُ صِدْقِ أَخْبَارِهِ** التي يُخْبِرُ بها عن الغيب ممَّا سيحدث في المستقبل، كبشارته لأصحابه بأنهم سيفتحون ممالك كِسرى وقيصر، ومِن ذلك إخبارُهُ بِأَنَّ الإسلام سيعلُو، وأنَّ رقعتَهُ ستمتَدُّ، وأنَّ الأمنَ سينتشر، فوقعَ كلُّ ما أخبر به ﷺ.

٥ ـ **حمايتُه من الأعداءِ وتأييدُ الله له بالنصر**، وتحقيق وعد الله له بالفتح المبين.

٦ ـ **إجابةُ الله لدعائه**، فما دَعَا الله في شيء إلَّا أجابَ اللّهُ دعاءه وحَقَّقَه.

٧ ـ **أصحابه الَّذينَ تخرَّجوا على يديه**، وكيف كانوا قبله، وكيف صاروا بعد بعثته فيهم، تدلُّ أقوى دلالةٍ على نبوَّةِ الرسول ﷺ[١].

كلُّ هذه الدلائل اجتمعت لخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وكانت معجزة القرآن أعظم الآيات الخالدة الباقية مدى الدهر.

* * *

(١) قال الإمام القرافي في كتابه «الفروق» ٤/ ١٧٠ في آخر الفرق ٢٤٢: «لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزةٌ إلَّا أصحابه، لَكَفَوْهُ لإثبات نبوَّته». نقلاً من «الرسول المعلم» ص ١٤، للأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمهُ الله تعالى.

القرآنُ هو المعجزة التي خَصَّ اللّهُ بها نبيَّهُ محمداً ﷺ ولم يؤتَ نبيٌّ مثلَها.

قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مثله آمَنَ عليه البشر، وإنَّما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهُم تابعاً يوم القيامة**»[١].

التحدي بالقرآن:

والقرآنُ هو المعجزة الكبرى الخالدة للرَّسولِ ﷺ التي تُصَدِّقُ نُبُوَّتَهُ، وتُؤيِّد دعوَتَه، وتَتَحَدَّى مَنْ كان في شكٍّ منه أن يأتي بسورةٍ مثله.

مراحل التَّحدِّي بالقرآن:

١ ـ لقد تحدَّى الله سبحانه الإِنسَ والجنَّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢ ـ ثُمَّ إنَّ الله سبحانه تَحَدَّى قريشاً عندما ادَّعوا أَنَّ القرآن ليس من عند الله، فطلب منهم الإتيان بعشر سُوَرٍ مفترياتٍ إن كان مُفْتَرًى كما يزعمون، بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

(١) رواه البخاري (٤٩٨١) في كتاب فضائل القرآن واللفظ له، و (٧٢٧٤) في كتاب الاعتصام، ومسلم (١٥٢) في كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة.

٣ ــ وكَرَّرَ سبحانه تَحَدِّي مَنْ كان في رَيْبٍ من هذا القرآن بالإتيان بسورةٍ واحدة، وأكَّدَ عدم استطاعتهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ ــ ٢٤].

فسجَّلَ الله سبحانه عليهم العجزَ المؤبَّد، فقال: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، وهذه معجزةٌ أخرى، وهو أنه سبحانه أخبر خبراً جازِماً قاطعاً أَنَّ هذا القرآن لا يُعارضُ بمثله، أبدَ الآبِدين، وكذلكَ كانَ الأمر كما أخبرَ سبحانه، فإنه لَم يُعارَضْ إلى زماننا هذا.

ولا يزال التحدِّي قائماً، ولا يزال الخَلْقُ عاجزين إلى أن تقوم الساعة.

المناقشة

س١ ــ أيَّدَ الله نبيَّهُ محمداً ﷺ بكثيرٍ من الدلائل التي تثبتُ نبوَّته. اذكر خمسةً منها.

س٢ ــ أيَّدَ اللَّهُ نبيَّهُ بالمعجزاتِ وخوارقِ العادات. اذكر أربعةً منها، وما أعظم تلك الآيات؟

س٣ ــ شخصيةُ الرسول ﷺ تدلُّ على نبوَّته، وضِّح ذلك.

س٤ ــ اذكر مراحل التحدِّي بالقرآن.

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) بشارة الكُتُب السماوية بالرسول ﷺ.

(ب) عَجْز الخلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

(ج) عَجْز الخلق عن أن يأتوا بسورةٍ واحدة.

س٦ ــ أكمل الأدِلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

(أ) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . . . .
. . . .﴾.

(ب) «ما من الأنبياء نبيٌّ إلاَّ أعطيَ . . . .
. . . .».

(ج) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا . . . .
. . . .﴾.

❑ ❑ ❑

الدرس الثالث والثلاثون

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

القرآن هو المعجزةُ الخالدة، وهو معجزٌ في كل ناحيةٍ من نواحيه، ومن وجوه إعجازه:

١ ـ نظْمُهُ وأسلوبه الفريد:

الذي أدهش العرب وهم أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة، فهو كلامٌ ليس كسائر الكلام، وأسلوبٌ لا كالأساليب، ونمطٌ فريد في قوّةِ البلاغة وإشراق البيان.

وقد لا نُدركُ نحنُ في هذا الزمان بلاغةَ القرآنِ وفصاحته كما كان يُدركها السابقون، لبُعدِنا عنِ اللغةِ الفصحى، ولكن مَن تعلَّمَ اللغةَ العربية وأجادَ فنونَها علِمَ أنَّ بلاغةَ القرآنِ فوقَ كلامِ البشر، وأنه لا يقدرُ على تلك البلاغةِ إلاَّ خالقُ القُوى والقدَر.

٢ ـ صِدْق أخباره بأنباء الغيب:

عن الماضين، كقَصَصِ الأوَّلين، ونبأ المرسَلين، وعن غيب الحاضر كإخباره عن المنافقين والمشركين، وعن الأمور المستقبلة كانتصار الروم

على الفرس بعد هزيمتهم[١]، وانهزام جمع المشركين يوم بدر[٢]، وتمكين الله للمؤمنين[٣] وقد تَحقَّقَتْ أخباره الغَيْبيَّةِ المستقبلة كما أخبر.

٣ ـ سلامتُه من التناقض والخلل والاضطراب:

فآياته يُكملُ بَعْضُهَا بعضاً، ويَشرحُ بعضُها بعضاً، فلا تناقض ولا اختلاف. وصدقَ الله العظيمُ القائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٤ ـ ما تضمَّنه من مبادىء وأحكام:

لإصلاح النفس البشريَّة، وإسعاد الأسرة، وتنظيم علاقات الأفراد والجماعات والأُمم على قواعد الحقِّ والعدل والإحسان.

وصدق الله العظيم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

٥ ـ سلطانه العجيبُ على قلوبِ الناس:

فَإِنَّ مَن يسمعه بتدَبُّرٍ يتأَثَّرُ به، ويخشعُ قلبه، وتذْرفُ دموعه. وهذا السلطانُ العجيبُ لا يقْتصرُ على مَن يُحْسِنُ العربية فقط، بل يظهر فيمن لا يُحسنُ كلمةً عربيةً واحدةً عند سماعه لآياتٍ من القرآنِ الكريم.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الروم: ١ ـ ٥].

(٢) قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

(٣) قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

٦ ـ جِدَّتُهُ مهما كرَّرَهُ الإنسان وردَّده:

فهذا القرآنُ الكريم لا يَخْلَقُ(١) عن كثرةِ الرَّد، ولا يسأمُ الإنسانُ منه مهما كرَّرَهُ.

«إنَّ أيَّ قطعةٍ شعريةٍ أو نثريَّةٍ من كلام البشر لا تلبثُ أن تَبْلى إذا كُرِّرَتْ على مَسْمَعِ الإنسان مَرَّتين أو ثلاثاً في اليوم، وتصبح مَمْجُوجةً مُمِلَّةً إذا كُرِّرَت عليه في كلِّ يومٍ ثلاثَ مرَّات لمدَّةِ شهرٍ مثلاً.

أمَّا كلام الله سبحانه الَّذي يتألَّفُ من نفس الأحرف التي يتكوَّنُ منها كلامُ الناس، ويتركَّبُ من نفسِ الكلمات، فَإِنَّ كلَّ مؤمنٍ يُرَدِّد فاتحةَ الكتابِ كلَّ يوم ـ إذا صلَّى الفروض فقط ـ سَبْعَ عشرةَ مرَّة، ليس لمدَّةِ شهر بل طوالَ العمرِ كلِّه، فما شعرَ أَنَّ فاتحةَ الكتابِ قد أبلاها التَّرديد، وأصبحت قديمةً كما هو الحالُ في كلامِ البشر. وكذلك ما يكرره المسلمونَ من قصارِ السُّوَر مرَّاتٍ ومرات، فلا نشعرُ أبداً أنها قد بُلِيَت، فلا يزالُ كلامُ الله غضًّا طرِيّاً»(٢).

٧ ـ إعجازُهُ فيما احتوى من علومٍ وحقائق:

كلَّما تقدَّم الزمان، وتوسَّعَتْ آفاقُ العلوم، وتطوَّرَت وسائله وأدواته كشف عن دقَّةِ وصدقِ ما قرره القرآن الحكيم، ومن أمثلةِ ذلكَ:

(أ) **الضغط الجوي**: لقد أشارَ القرآن الكريم إلى حقائق علمية كثيرة، لم يعرفها الناسُ من قبلُ، فمن ذلك ما جاءَ في قوله تعالى عن الضغطِ

(١) **لا يَخْلَقُ**: لا يبلى ويصبح قديماً.

(٢) كتابُ التوحيد، للصف الأول من المرحلة الإعدادية في اليمن ص ٦٠ ـ ٦١.

الجوي: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فقد ذكرتْ هذه الآيةُ ببيانٍ واضح أَنَّ ضيقَ التنفُّسِ يحصُلُ في طبقاتِ الجو العليا حَتَّى يصل إلى درجةِ الاختناقِ بسبب تناقص الأكسجين. وهذه الناحية العلمية كُشفت مؤخَّراً وقام العلماءُ بدراساتٍ واسعةٍ عن الغلافِ الجَويِّ ووزنه وارتفاعه.

(ب) **ظاهرةُ الزوجية**: ومن هذه الحقائق التي سجَّلها القرآنُ: ظاهرةُ الزوجية في الكونِ كلِّه، لا يقتصرُ ذلك على الذكورةِ والأُنوثةِ في الإنسانِ والحيوانِ، وبعضِ النباتِ كالنخيل، بل هو ظاهرةٌ كونية تشمل الإنسانَ والحيوانَ والنباتَ والجماد، وعالم النواة والذرة وغير ذلك، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يسٓ: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

(ج) **الحاجزُ بين البحرين**: اكتشفَ الباحثون مُؤخَّراً أَنَّ مياهَ البحار والأنهارِ لا يمتزجُ بعضُها ببعض، وهذا ما قرَّره القرآنُ الكريم في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾(١) [الرحمن: ١٩ ـ ٢٠]،

(١) **مرج البحرين يلتقيان**: أي: أرسلهما وأفاض أحدهما بالآخر أو خلطهما. وأحدهما هو الأنهار العَذْبة، والآخر: هو البحار المالحة. **بينهما برزخ لا يبغيان**: بينهما حاجز وبُعْد، لا يفسد أحدهما صاحبه، فيبغي بذلك عليه. ويرى بعض المعاصرين أن المراد بالبحرين ـ في آية الرَّحمن ـ بحران مالحان. أي أن البحرين مختلطان وهما في حالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، وهما مع هذه الحالة فإن حاجزاً يحجز بينهما يمنع كلاًّ منهما أن يطغى ويتجاوز حدَّه. وهذا ما شاهده الإنسان بعدما تقدَّم في علومه وأجهزته، فقد وجد ماءً ثالثاً يختلف في خصائصه =

فهناك التقاءٌ، ولكن هناك حاجزٌ بين اليابسة التي هي مصدر الماء العذب وبين البحر الذي هو مجمع الماء المالح. وقد أشار الله تعالى إلى هذا الحاجز بقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

(د) العظامُ واللحمُ في الجنين: ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى مراحلَ تكوينِ الجنين التي لَم يتوصَّلْ إليها العلمُ الحديث إلاَّ بعد اكتشافِ آلاتِ التصويرِ الدقيقة التي تُصَوِّر الجنين في رحم الأم، وبعد تقدُّم علم الأجِنَّةِ التشريحي، وتطوُّرِ وسائله، عرفَ الأطِبَّاءُ أَنَّ الأصولَ الأولى للعظام تسبق في تكوينها العضلات (اللحم)، وذلكَ ما ذكَرَهُ الله سبحانه في قوله: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

وغير ذلك مما ذكره الله سبحانه في أطوارِ تكوينِ الجنينِ، وهو تصويرٌ دقيقٌ لم يعرفه العلم والطبُّ إلاَّ منذ زمنٍ قريب.

فسبحانَ من أنزل القرآن، وجعله مُعجِزاً، ليكونَ دليلاً على أنه كلام الله حقّاً أنزله على قلبِ رسوله ﷺ.

فالقرآن الكريم هو المعجزةُ الباقيةُ الخالدةُ «حَتَّى قال بعضُ العلماء: لو أَنَّ هذا الكتابِ وُجِدَ مكتوباً في مصحفٍ في فلاةٍ من الأرض، ولم يُعلَمْ مَنْ وضعه لَشَهدت العقولُ السليمة أنه مُنزَّلٌ من عند الله، وأنَّ البشر لا قُدرةَ لهم على تأليفِ ذلك، فكيف إذا جاء على يَدَيْ أَصْدَقِ الخلق ﷺ وأَبَرِّهِم، وأتقاهم، وقال: إنه كلامُ الله، وتَحَدَّى الخلقَ كلهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله فعجزوا. فكيف يبقى مع هذا شكٌّ فيه، ولهذا قال الله تعالى:

= عن خصائص كل من البحرين المتمايزين في خصائصهما، من حيث الملوحة والحرارة والكثافة، والأحياء المائية، وقابلية ذوبان الأكسجين.

وينظر: منطقة المصب والحواجز بين البحار في القرآن. لعبد المجيد الزنداني.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فلَوْ لم يكن لمحمدٍ ﷺ من المعجزاتِ الدالَّةِ على صدقه غيرُ هذا الكتابِ لَكَفاه، فكيف وله من المعجزاتِ السماويَّةِ والأرضيَّةِ ما لا يُحصى»(١)؟

المناقشة

س١ ـ اذكر سبعةً من أوجُه الإعجاز في القرآن الكريم.

س٢ ـ من وجوه إعجازِ القرآن: نظمهُ وأسلوبه العجيب، بيِّن ذلك.

س٣ ـ من وجوه إعجاز القرآن: صِدْق إخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل، اذكر مثالاً واحداً لكلِّ نوع.

س٤ ـ من وجوهِ إعجازِ القرآن: جِدَّتُه مهما كرَّرَهُ الإنسان وردَّدَه، وضِّح ذلك.

س٥ ـ تكلَّم عن ظاهرة الزوجيَّةِ في الكون كما جاءت في كتاب الله عزَّ وجَلّ.

س٦ ـ من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن: مراحل تكوين الجنين، بيِّن ما تعرفه عن ذلك.

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلِّ مما يلي:

(أ) ضيق التنفس يحصل في طبقات الجو العليا.

(ب) وجود الحاجز بين مياه البحار والأنهار.

(ج) لو لم يكن لمحمد ﷺ من المعجزاتِ إلاَّ القرآن لكَفاه.

❏ ❏ ❏

(١) لطائف المعارف، للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

الدرس الرابع والثلاثون

٩ ـ مميِّزاتُ الرسالة المحمَّديّة

ميَّزَ اللّـهُ الرسالةَ التي بَعَثَ بها محمداً ﷺ عن الرسالات السابقة بجملةٍ من الخصائص والمزايا أذكرُ منها أمرَين:

١ ـ أنها رسالةٌ عالميةٌ عامَّة، فهي للناس جميعاً.

٢ ـ أنها رسالةٌ خالدةٌ، فليس بعدَها رسالة تنسخها.

١ ـ أمّا عالميتها:

فَإِنَّ الله تعالى كان يرسل إلى كلِّ قومٍ رسولاً يدعوهم إلى توحيده تعالى، وإلى إصلاح أمرهم، كما أرسل نوحاً إلى قومه، وهوداً إلى قومه عاد، وصالحاً إلى قومه ثمود، وإبراهيمَ إلى قومه، وموسى إلى فرعون وملإه، وإلى بني إسرائيل.. فكانت تلك الرسالات محدودة المكان موقوتة الزمان.

أمّا محمدٌ ﷺ فكانت رسالتُه عامّةً لِلْجنِّ والإنس حَتّى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقالَ سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: «كان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصّةً وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامّةً»(١).

٢ ـ وأمّا خُلودُها:

فلأنَّ الله تعالى ضمَّنَها كلَّ ما تحتاج إليه البشريَّة في مختلف الأزمِنة والأمكنةِ، من عقائدَ وعباداتٍ ومعاملاتٍ تفي بحاجاتها، وتُحقِّقُ إنسانيَّتها، وأوْدَعَ هذه المبادىء كتاباً تكفَّلَ بحفظه وخلوده.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فلا يحتاج الناس بعد محمد ﷺ إلى رسول، ولا بعد القرآنِ إلى كتاب.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

٣ ـ خاتمُ النَّبيين:

لقد كان طبيعيّاً بعدما أكمل الله هذا الدينَ وأتمَّ به النعمة على العالمين، أن يختِمَ النُّبُوَّةَ، وأن يكون محمدٌ ﷺ خاتَمَ النبيين، وذلك ما قامت عليه الأدِلَّةُ نقلاً، وعقلاً، وإجماعاً.

١ ـ أمّا النقل:

فقد صَرَّحَ الكتابُ والسُّنَّةُ بذلك:

(أ) **ففي القرآن**: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥) و(٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديثِ جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما.

(ب) **وأمَّا السُّنَّة**: فقد جاءت الأحاديث الصريحة في ذلك، ومنها قوله ﷺ: **«إنَّ مَثَلي ومثَلَ الأنبياءِ من قبلي كَمَثَلِ رجلٍ بنى بيتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلَّا موضعَ لبِنَةٍ من زاويةٍ، فجعل الناسُ يطوفُونَ به ويعجبون له ويقولون: هلَّا وُضِعَت هذه اللَّبِنَةُ»، قال: «فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتمُ النبيين»**[(١)].

«فلا ننتظر من بعده رسولاً، ولا نلتمس وراءه هَدْياً، لأنه خاتم النبيين، وهو اللَّبِنَةُ التي أكملَ اللَّـهُ بها بناءَ الشَّرائع، فلم يبقَ في بنيانها بعد وَضْع هذه اللبِنَةِ مَطْمَحٌ لمستزيد. ومَن التمسَ علاجاً لأمراض المجتمع في غير شريعته، أو طلبَ حاجةً من حوائج الإصلاح لأمر المعاش أو المعادِ على غير قواعد دينه فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً»[(٢)].

٢ ـ وأمَّا العقل:

فقد درَّج الله الشريعة لبَني البشر بدءاً بآدم والأنبياء والمرسلين من بعده إلى أن استكملت الشرائِعُ عِدَّتَها واسْتَوْفَت مناهجها في تربية بني البشر، واستوعبت تجاربهم في النُّصح لهم والتعليم، حَتَّى وصلت إلى خاتَمِ الأنبياء والمرسلين، فكان بذلك تمام الشريعة، وختام التنزيل والتشريع.

فلم تعد هناك حاجةٌ إلى رسالةٍ بعد رسالةِ سيدنا محمد ﷺ العامَّة الخالدة التي تضمَّنت هداية البشر، وكفلت لهم السعادَةَ في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧١) في كتاب المناقب واللفظ له، ومسلم (٢٢٨٦) في كتاب الفضائل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المختار من كنوز السُّنَّة، للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٢٦.

٣ ـ وأمَّا الإجماع:

فقد أجمع المسلمون على خَتْمِ النبوَّةِ، وأنه لا نَبِيَّ بعد محمد ﷺ، ولا رسالةَ بعد رسالةِ الإسلام، وأصبح ذلك معلوماً من الدين بالضرورة، فكلُّ مَن ادَّعى النبوة أو صدَّق دعواها ـ بعد سيدنا محمد ﷺ ـ فهو كافر كذَّاب.

تحذير من مُدَّعي النبوة[(١)]:

وقد حذَّرَنا النبي ﷺ من أدعياء النبوة الدجَّالين، ووصفهم بالكَذِبِ فقال: **«لا تقومُ الساعةُ حَتَّى يُبعثَ دجَّالونَ كذَّابون، قريبٌ من ثلاثين، كُلُّهم يزعُمُ أنه رسولُ الله»**[(٢)].

المناقشة

س١ ـ ميَّزَ الله الرسالة المُحمدِيَّةَ بعدد من المزايا، اذكر منها مَزِيَّتين.

س٢ ـ الرسالات السابقة كانت محدودة المكان موقوتة الزمان، وضِّح ذلك.

س٣ ـ ما سِرُّ خلود الرِّسالة المحمدية؟

---

(١) ظَهَرَ قديماً متنبئون كذَّابون مثل: مسيلِمة الكذاب، والأسود العَنَسي، وقد افتضح كذبهم، وبادَ ذِكْرُهُم، وانتهى أمرهم. وظهر حديثاً متنبئون كذَّابون، منهم غلام أحمد مُؤَسِّس طائفة «القاديانية» التي ظهرت في جزء من الهند، لخدمة الاستعمار البريطاني بالدعوة لإبطال الجهاد، وقد زعم مؤسس الطائفة أنه نبيٌّ مُجدِّد، وقد أفتى علماء المسلمين بكفرهم وارتدادهم.

(٢) رواه البخاري (٣٦٠٩/ م)، ومسلمٌ ٤/ ٢٢٣٩ (١٥٧)، كتاب الفِتَنِ وأشراط الساعة، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

س٤ ــ ما حكمُ مَن ادَّعى النبوَّة أو صدَّق مُدَّعيها بعد نبينا محمد ﷺ؟

س٥ ــ اذكر دليلاً من القرآن لكُلٍّ مما يلي؟

(أ) عموم الرسالة المحمديَّة.

(ب) حفْظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل.

(ج) محمد ﷺ خاتم النبيين.

س٦ ــ أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) «إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى ....
.............................».

(ب) «لا تقومُ الساعةُ حَتَّى يُبعث ....
.........................».

(ج) «كانَ النبـيُّ يُبْعَثُ إلى ....
.................».

❑❑❑

الدرس الخامس والثلاثون

١٠ ــ أفضلُ الأنبياءِ والمرسَلين (١)

اصْطَفى الله تعالى نبيَّهُ محمداً ﷺ وفضَّلَهُ على العالَمين، وأكرمه بخصائصَ لم يُعْطها غيرَه من الأنبياءِ والمرسلين، ممَّا يدُلُّ على عظيمِ قدرِهِ ورِفعةِ منزلته عند ربّه سبحانه.

وقد ذكرتُ في الدرس السابق بعضَ مميِّزاتِ رسالته ﷺ، فهي الرسالة العالمية العامة، والرسالة الباقيةُ الخالدة.

وأذكرُ لك الآن بعضَ ما أكرمَ اللَّهُ تعالى بِهِ سَيِّدَ الأوَّلين والآخرين في الدنيا:

(أ) رَفْعُ ذِكْرِهِ وعُلُوُّ قدرِهِ على جميع المخلوقات[1]:

قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]، أي: إذا ذُكِرَ اللَّهُ تعالى ذُكِرَ معه رسوله ﷺ[2].

(١) «شهادةُ لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله»، للشيخ عبد الله سراج الدين ص ٨٣ ــ ٨٤.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: إنَّ ربي وربَّكَ يقول: كيف رفعتُ ذِكْرَكَ»؟ قال: «الله أعلم»، قال: «إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي»، رواه أبو يعلى في =

ولقد قَرَنَ اللّٰهُ تعالى ذِكرَ حبيبه ﷺ بذِكرِه سبحانه في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن:

١ ـ **في الإيمان**. قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

٢ ـ **وفي الطاعة**. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

٣ ـ **وفي المَحبَّة**. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

٤ ـ **وفي الأدب**. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

٥ ـ **وفي الإرْضاء**. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

٦ ـ **وفي النُّصْرة**. قال تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨].

٧ ـ **وفي الهجرة**. قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

= مسنده (١٣٨٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ. وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٥٤: رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

٨ ـ **وفي القضاء والحُكم**. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٩ ـ **وفي تحريم المعصية**. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

١٠ ـ **وفي تحريم المُشاقَّة**. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٣ (١)﴾ [الأنفال: ١٣].

١١ ـ **وفي التَّحذيرِ من المُحادَّة**. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (٢)﴾ [المجادلة: ٥].

١٢ ـ **وفي التَّحذيرِ من الإيذاء**. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

١٣ ـ **وفي التهديد بالمحاربة**. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

١٤ ـ **وفي الشهادة**. الأذان، والإقامة، والتحيّات في الصلوات، وغير ذلك.

(١) **شاقُّوا**: خالَفوا، وهي مشتقَّةٌ من الشِّقِّ، لأن كِلا المتَعادِيَيْنِ في شِقٍّ خلافَ شِقِّ صاحبه.

(٢) **يحادُّون**: يعادون، **كبِتوا**: ذُلُّوا وأُخزُوا وأُهلِكوا.

(ب) أَخْذُ العَهْدِ له ﷺ على جميعِ الأنبياءِ والرُّسُل:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[1] [آل عمران: ٨١].

ومعنى ميثاقَ النبيِّين: ما وثَّقوا به على أنفسهم من الإيمانِ برسولِ الله ﷺ، والإقرارِ بفضله، والبشارةِ بمبعثِه ﷺ.

وهذا تكريمٌ كبيرٌ لنبيِّه ﷺ لأخذِ الميثاقِ على الأنبياءِ عليهم السلام أن يؤمنوا به وينصروهُ إن ظهرَ في زمنهم[2].

(ج) إمامتهُ ﷺ في الأنبياءِ ببيتِ المقدس:

وممَّا يدلُّ على تقديمه وفَضْله، وعُلوِّ مقامه، وعِظَم شأنه: صلاته بالأنبياء ليلةَ أُسرِيَ به، إذ لا يؤُمُّ القومَ إلَّا الأفضلُ والأعلمُ والأكمل.

(د) وهو إمامُ المرسَلينَ في الآخِرةِ أيضاً:

قال ﷺ: **«إذا كانَ يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النَّبيين وخَطِيبَهُمْ، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر»**[3].

---

(١) **الميثاق**: عَقْدٌ مُؤكَّدٌ بيمين، **لتؤمِنُنَّ**: اللام لام القسَم، وتقديره: واللّـهِ لتؤمِنُنَّ به.
إصري: عهدي، والإصرُ: العهد الثقيل.

(٢) وآيةُ الميثاقِ نصٌّ في نبيِّنا ﷺ لا تحتملُ غيرهُ. ويُنظرُ: «دلالةُ القرآن المبين على أنَّ النبيَّ ﷺ أفضلُ العالمين»، للشيخ عبد الله بن الصدِّيق الغماري رحمهُ الله تعالى ص ٢٥ ــ ٢٨.

(٣) رواهُ أحمد (٢١٢٤٥)، والترمذي في المناقب (٣٦١٣) وقال: حديث حسن.

فهُوَ ﷺ خيرةُ الخلقِ أجمعين، وأكرمُ الأوَّلين والآخرين على ربِّ العالمين كما قال ﷺ: **«أنا سَيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخر»**[1].

المناقشة

س١ ــ **اذكر ثلاث فضائل خصَّ الله تعالى بها رسوله ﷺ في الدنيا.**

س٢ ــ **أخذَ الله سبحانه الميثاقَ لرسوله ﷺ على جميعِ الأنبياء والمرسلين، فما معنى ميثاق النبيين، وما الدليل عليه؟**

س٣ ــ **قَرَنَ اللّـهُ تعالى ذِكْرَ رسوله ﷺ بِذِكْرِه في الشهادة: اذكر ثلاثة مواضع تدلُّ على ذلك.**

س٤ ــ **قَرَنَ اللّـهُ تعالى ذِكْرَ رسوله ﷺ بِذِكْرِه سبحانه في مواضعَ كثيرة، اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:**

١ ـ الإيمان، ٢ ـ الطاعة، ٣ ـ الأدب، ٤ ـ الإرضاء، ٥ ـ النصرة.

س٥ ــ **أكمل الأدلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟**

(أ) ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ....
..................﴾.

(ب) ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ....
..................﴾.

(ج) ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ....
..................﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٨٧)، والترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيدٍ الخدري، وأخرجه أحمد (٢٥٤٦) (٢٦٩٢) من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد (١٢٤٦٩) من حديثِ أنس بن مالك، وسنده صحيح، وآخر من حديث عبد الله بن سلام عند ابن حبان (٦٤٧٨)، وسنده صحيح.

الدرس السادس والثلاثون

١٠ـ أفضلُ الأنبياءِ والمُرسلين (٢)

ذكرتُ لكَ في الدرسِ السابقِ بعضَ ما أكرمَ اللّٰهُ تعالى به سَيِّدَ الأوَّلين والآخرين في الدنيا، وأذكرُ لك الآن بعضَ ما أكرمَ الله تعالى به نبيَّهُ محمداً ﷺ في الآخرةِ:

١ ـ الشَّـهَـادة:

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾[1] ﴾ [النساء: ٤١].

فأُمَّتُهُ ﷺ تشهَدُ للأنبياءِ السابقين على أُمَمِهِمْ، بأنهم أبلغوا رسالاتِ ربهم، وهو ﷺ يشهدُ لهذه الأُمَّةِ كذلك[2].

٢ ـ المَقامُ المحمود:

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

(١) **شهيداً**: أي شاهداً على مَنْ آمنَ بالإيمان، وعلى مَنْ كفر بالكفر، وعلى مَنْ نافقَ بالنفاق.

(٢) يعني أنه ﷺ يُزَكِّي أُمَّتَه المُتَّبِعين له، ويُعَدّلهم ويشهدُ لهم بالثقة والعدالة حَتَّى تُقبل شهادتهم.

وهذا هو مقامُ الشفاعةِ العُظمى العامَّة لجميعِ أهل الموقف، فإنَّهُ يُشفَّع بهم ﷺ، وينقذُهمْ من طُولِ الموقفِ وكُرُباتِه بعد أن طلبوا من الرُّسُلِ الشفاعةَ فلم يستجيبوا لهم، حَتَّى انتهوا إلى إمامِ المُرسَلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، فقال: «**أنا لها أنا لها**»؛ فيشفعُ ويُشَفَّع، وينفضُّ أمرُ الموقفِ وكلُّهم يحمدونه ﷺ ويُثْنونَ عليه بقِيامه هذا المقامَ المحمود.

٣ ـ لِواءُ الحمد:

إذا كانَ يومُ القيامةِ كانَ الناسُ بما فيهم الأنبياءُ صلواتُ اللّٰهِ عليه وعليهم أجمعين تحت لِوائه ﷺ.

قال ﷺ: «**أنا سَيِّدُ ولدِ آدمَ يوم القِيامة[1] ولا فخر، وبيَدي لواءُ الحمدِ ولا فخر، وما مِن نبيٍّ يومئذٍ آدمُ فمن سِواهُ إلَّا تحتَ لِوائي**»[2].

٤ ـ الوسيلـة:

الوسيلةُ في اللغةِ: هي التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تحصيلِ المقصودِ المحمود. وأما الوسيلةُ التي خَصَّ اللّٰهُ تعالى بها سيدَنا محمداً ﷺ فهي منزلةٌ في أعلى الجنة ليس فوقها منزِلة.

وقد أمرَ النَّبيُّ ﷺ أمَّتهُ أن يسألوا الله تعالى له الوسيلةَ لينالوا الأجرَ العظيم، والفضلَ الكبير، فقال: «**إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثل ما يقول، ثُمَّ**

(١) إنما خصَّ يومَ القِيامةِ بالذِّكر مع أنَّ له السيادةَ في الدُّنيا والآخرة، لأن الناسَ كلَّهُمْ على مختلفِ مِلَلِهِمْ يُقِرُّون له بالسيادة يومَ القيامة، ويشهدون له بذلك، وأما في الدنيا فمنهم ومنهم، ومعنى قوله: «ولا فخر»، أي أنه لَم يقُلْ ذلك فخراً وكِبْراً، وإنَّما قال ذلك تَحَدُّثاً بنعمةِ الله تعالى وشكراً له.

(٢) رواه أحمد (٢٥٤٦)، والترمذي في كتاب المناقب (٣٦١٥).

صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ بها عَشْراً، ثُمَّ سَلوا الله عزَّ وجلّ ليَ الوسيلة، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّةِ لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عبادِ الله تعالى، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سألَ اللَّـهَ ليَ الوسيلةَ: حَلَّتْ عليه الشفاعة»[١].

٥ ـ الكوثر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٢] [الكوثر].

قال ﷺ: **«بينما أنا أسيرُ في الجنَّةِ، إذا أنا بنهرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِ المُجَوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طينُهُ أو طيبُه مِسْكٌ أذفر»**[٣].

فذلك النهر العظيم في الجنة يُسمَّى كوثراً، ويصبُّ نهر الكوثرِ في حوضِ الموقف، وهو الَّذي تَرِدُ عليه أمَّةُ محمدٍ ﷺ.

(١) رواهُ مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣) كلاهما في الصلاة، والنسائي (٦٧٨) في الأذان، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. **حلَّت عليه**: أي نزلت عليه، **شفاعتي**: المراد بها شفاعة مخصوصة.

(٢) **الكوثرُ**: صيغةُ مبالغة على وزن فَوْعَل تدلُّ على الكثرة، مثل: نَوْفَل من النَّفل، وجَوْهرٌ من الجَهر، والعربُ تُسَمِّي كلَّ شيءٍ كثيرٍ في العدد والقدرِ كَوْثراً. **وانحر**: أي انحرِ الإبلَ وتصدَّق بها على المحتاجين. **شانئكَ**: الشانىء هو المبغض. **الأبتر**: المنقطع عن كل خير. وإذا كانَ مبغضُ رسول الله ﷺ منقطعاً عن كل خير، فمعنى ذلك أنَّ محبَّهُ ﷺ متَّصِلٌ بكلِّ خير.

(٣) رواه البخاري (٦٥٨١) في كتاب الرقاق من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقوله: **بينا أنا أسير في الجنة**: أي ليلةَ الإسراء، **ومسكٌ أذفر**: شديد الرائحة، جيدٌ إلى الغاية.

٦ ـ إكرامُ اللَّـهِ تعالى نَبيَّهُ محمداً ﷺ بأوَّليَّاتِ المعالي في الآخرة:

لقد اختصَّ اللَّـهُ تعالى نَبيَّهُ محمداً ﷺ بأوَّليَّاتِ المعالي والكمالاتِ في الآخرةِ، أذكرُ لك بعضها:

أولاً: فهو ﷺ أوَّلُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرض.

ثانياً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ له بالكلام فيُثْني على الله تعالى.

ثالثاً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ له بالسجود.

رابعاً: وهو ﷺ أوَّلُ شافعٍ وأوَّلُ مشفَّعٍ.

خامساً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يُقضى بينَ أمَّتِهِ قبل الخلائق.

سادساً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يجوزُ الصِّراط بِأُمَّتِهِ.

سابعاً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يأخذُ بحلقةِ بابِ الجنة.

ثامناً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يُفتحُ له بابُ الجنة.

تاسعاً: وهو ﷺ أوَّلُ مَنْ يدخل الجنة[١].

المناقشة

س١ ـ اذكر خَمْسَ فضائل مما أكرم اللَّـهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ في الآخرة.

س٢ ـ اذكر سبعة أوَّليَّات خصَّ اللَّـهُ تعالى بها نبيَّهُ ﷺ في الآخرة.

س٣ ـ ما الوسيلة في اللغة والشرع؟

(١) انظر أدِلَّة هذه الأوَّليَّات في كتاب «شهادةِ لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله»، للشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى. ص ١٤٤ ـ ١٤٨.

س٤ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) إعطاء الله تعالى الكوثر لنبيِّه ﷺ.

(ب) لواء الحمد.

(ج) شهادته ﷺ لأمَّته.

س٥ ــ أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ....

..............................﴾.

(ب) «إذا سمعتم المُؤَذِّن فقولوا مثلَ ما يقول ثُمَّ ....

..................».

(ج) «بينا أنا أسيرُ في الجنة، إذا أنا بنهر ....

..................».

❏ ❏ ❏

الدرس السابع والثلاثون

١١ ــ أمَّةُ الرسول ﷺ (١)

فضَّلَ اللّٰهُ الأُمَّةَ المحمَّدِيَّة على غيرها من الأُمَم، إكراماً لنبيِّها ﷺ، لأنَّ شرفَ التابِع إنما هو لشرفِ المتبوع ﷺ.

معنى الأُمَّـة:

«الأُمَّةُ: كلُّ جماعةٍ أُرسِلَ إليهم رسول، سواءٌ آمنوا أو كفروا»[١]، ومحمدٌ ﷺ بُعِثَ إلى الناس كافَّةً: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فالعالم كُلُّه ــ بِشَرْقِهِ وغَربِهِ وعَجَمِهِ وعَرَبه ــ أُمَّةُ الدعوةِ لمحمدٍ ﷺ.

وأمَّةُ محمدٍ ﷺ تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمة الدعوة: وتشملُ سائرَ العالم.

والثاني: أمة الإجابة: والمقصود بها كل من استجابَ لدعوةِ محمد ﷺ وآمنَ به ودخل في دينه.

---

(١) القاموسُ المحيط، مادة «أ م م»، وقال الراغب في «مفرداتِ القرآن» ص ٨٦: «الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمانٌ واحد، أو مكانٌ واحد».

وأمَّةُ الإجابة هي المقصودة إذا قيل: أُمَّةُ الإسلام، أو أمَّةُ محمد ﷺ، بل هي المقصودة بكلمة «الأمة» عند الإطلاق[1].

بناءُ الأمَّةِ الصَّالحة:

من أهدافِ بعثةِ الرسول ﷺ تكوينُ أمَّةٍ متميزةٍ، تحمل رسالَتَهُ إلى العالم كلِّه، فتحمل معها الرحمةَ والنُّورَ والخيرَ للبشرية، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولم يكن تكوين هذه الأمة بالأمر السهل، فقد نشأ رسولُ الله ﷺ في جزيرةِ العرب، وهي قائمةٌ على القَبَلِيَّة، والعصبيَّة، فالقَبَلِيَّة هي أساسُ الولاء، ومصدرُ الاعتزاز والانتماء.

فلَمَّا بُعِثَ رسولُ الله ﷺ نقلهم نقلةً كبيرةً من سجن القبَلِيَّة الضيِّقة، إلى ساحة الأُمَّةِ الواسعة، وبنى أُمَّةً على أساسِ الإيمان، فهي لا تقومُ على رابطةٍ عِرقيَّةٍ ولا لَوْنِيَّةٍ، ولا طبَقِيَّةٍ، بل هي أمَّةُ عقيدةٍ ورسالة قبل كل شيء[2].

فضائل الأُمَّةِ المسلمة:

أبرز ما يُمَيِّزُ هذه الأمة عن غيرها من الأمَم أوصافٌ أربعةٌ ذَكَرَها القرآن، وهذه الأوصاف هي خصائص وفضائل لهذه الأمَّة، وهي:

١ ــ الربَّانيَّة:

فهي أمَّةٌ أنشأها الله تعالى واجْتَباها، ولهذا يقولُ اللّـهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهذا التعبير «جعلناكم» يفيد أنَّ الله تعالى هو جاعلُ هذه الأمَّةِ وصانعُها.

---

(١) الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، للدكتور القرضاوي ص ٩.

(٢) مدخل لمعرفة الإسلام، للدكتور القرضاوي ص ٢٤٦ ــ ٢٤٨ باختصار.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فتعبير «أُخرجت» يدُلُّ على أنَّ هناكَ مُخْرِجاً أخرج هذه الأمة، وهيَّأها لرسالته، كما قال عزَّ وجَلّ: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨].

فهي أمَّةٌ مصدرها ربَّانيٌّ، ووجهتها ربَّانيَّة، لأنها تعيش لله، ولتحقيق منهج الله.

٢ ــ الوسَطيَّة:

فهي الأُمَّةُ التي تُمَثِّلُ «الصِّراطَ المستقيم» بين السُّبُلِ المنعرجة والمُلتوِيَة، صراط الذينَ أنعمَ اللّـهُ عليهم من النَّبيينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداء والصَّالحين، لا صراط المغضوب عليهم ــ وهمُ اليهود ــ ولا الضَّالين ــ وهمُ النَّصارى ــ.

وهذه الوسطيَّة هي التي تُؤهِّلُ الأمَّةَ للشهادةِ على الناس، وتُبَوِّئها مكانَ الأستاذِيَّةِ للبشريَّة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ[1]﴾ [البقرة: ١٤٣].

٣ ــ الدعوة:

فهي أُمَّةُ دعوةٍ ورسالةٍ، ليست أُمَّةً مُنكفِئَةً على نفسها، تحتكرُ الحقَّ والخير والهدايةَ لذَاتِها، ولا تعمل على نشرها في الناس، بل الدعوة فريضةٌ عليها، والأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله أساسُ تفضيلها على كل الأمم، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) **وسَطاً**: خِياراً عُدولاً. **لتكونوا**: إذا بلَّغتم ودعوتم إلى سبيل ربكم. **شهداءَ على الناس**: أي على الأُمَمِ السابقة يوم القيامة أنَّ رسلَهم بلَّغتهُمُ الدعوة.

فهيَ لَم تَرْجَحْ على سائر الأُمم لسببٍ ماديٍّ أو عُنصُريّ، إنما رَجَحَتْ في ميزان الحق لأنها تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله عزَّ وجلّ.

٤ ــ الوحــدة:

فهي أمَّةٌ واحدة، وإن تكوَّنَتْ من عروقٍ وألوانٍ ولُغاتٍ، فقد صَهَرَها الإسلامُ في بَوْتقةٍ واحدة، وأذابَ الفَوَارقَ بينها، ورَبَطها بالعُروة الوُثقى لا انْفِصَامَ لها.

يقـولُ اللَّـهُ تعـالـى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ويقـولُ سبحـانـه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أمَّةٌ ربُّها واحدٌ هو اللَّـهُ سبحانه، ونبيُّها واحدٌ هو محمَّدٌ ﷺ، وكتابها واحدٌ هو القرآن، وقِبلَتُها واحدةٌ هي الكعبة، وشريعَتُها واحدةٌ هي الإسلامُ، ووطنُها واحدٌ هو «دارُ الإسلام»[1].

المناقشة

س١ ــ ما معنى الأمة، وإلى كم قسم تنقسم أمَّةُ محمد ﷺ، وما المراد بأمته ﷺ؟

س٢ ــ من أهدافِ بعثة الرسول ﷺ تكوين أمة تحمل رسالةَ الإسلام، وضِّح ذلك.

(١) المصدر السابق ص ٢٤٨ ــ ٢٥٢ باختصار.

س٣ ــ من خصائص الأمة المسلمة: الرَّبَّانِيَّة، بيِّن ذلك، مع الأدلة.

س٤ ــ من خصائص الأمة المسلمة: الوسَطِيَّة، اشرح ذلك.

س٥ ــ بِمَ رجحت أُمَّةُ الرسول ﷺ على سائر الأمم؟

س٦ ــ الأُمَّة المسلمة أُمَّةٌ واحدة. وضِّح ذلك.

س٧ ــ اذكر دليلاً لما يلي:

(أ) وسطِيَّةُ الأمة المسلمة هي التي تؤهّلُها للشهادة على الناس.

(ب) الأُمَّة االمسلمة أخرجها اللَّـهُ واجْتَباها.

(ج) الأُمَّة المسلمة أمَّةُ دعوةٍ ورسالة.

❑ ❑ ❑

الدرس الثامن والثلاثون

١١ـ أمَّةُ الرسول ﷺ (٢)

ذكرتُ لك في الدرس السابق بعضَ الفضائل الكبرى والمزايا العُظمى لأمَّةِ الرسول ﷺ في القرآنِ الكريم.

وفي السُّنَّةِ النبويَّة أحاديثُ جَمَّةٌ تَتحدَّثُ عن الأُمَّةِ وفضائلها، وما أكرمَ اللَّـهُ تعالى نبيَّهُ في أُمَّتِهِ في الدنيا والآخِرَة، وأذكر لك بعضها:

قال ﷺ: «**إنكم تتِمّونَ سبعينَ أُمَّةً، أنتم خيرُها وأكرَمُها على الله**»[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّـهِ ﷺ: «**وجُعلت أمتي خير الأمم**»[٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه: «**فُضِّلت هذه الأمة على سائر الأمم**»[٣].

فهي الأُمَّةُ الوحيدة التي تؤمنُ بالله سبحانه الإيمانَ الصحيح، والتي وَرِثت رسالاتِ الأنبياء، وتؤمنُ بهم جميعاً صلواتُ الله وسلامه عليهم.

(١) رواه أحمد ٤/٤٤٦ (٢٠٠١١)، والترمذي في كتاب التفسير (٣٠٠١) من حديثِ معاوية بن حَيْدة البهزي رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) رواهُ أحمد ١/١٥٨ (١٣٦١).

(٣) رواهُ أحمد عن حذيفةَ موقوفاً ٥/٣٨٣ (٢٣٢٥١).

(أ) ومن مظاهر هذه الخيريَّة والتفضيل في الدنيا:

١ و٢ و٣ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فُضِّلنا على الناس بثلاث: جُعِلَتْ صفوفُنا كصفوفِ الملائكة، وجُعلت لنا الأرض كلُّها مسجداً، وجُعِلَتْ تُرْبَتُها لنا طَهوراً إذا لم نجد الماء**»[١].

٤ ـ يوم الجمعة:

عن حُذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هُدِينَا إلى الجمعة، وأضَلَّ الله عنها مَن كانَ قبلنا**»[٢].

٥ ـ لا تزالُ طائفةٌ منها على الحق:

وممَّا خصَّ اللَّـهُ به هذه الأُمَّةَ أن لا يجمعها على ضلالة، وأنه ستبقى منها طائفةٌ على الحقِّ ظاهرين حَتَّى قيام الساعة، قال ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهُم حَتَّى يأتيَ أمرُ الله**»[٣].

وقال ﷺ: «**إنَّ الله لا يجمعُ أُمَّتي على ضلالة**»[٤].

(١) رواه مسلم (٥٢٢) في كتاب المساجد.

(٢) رواه مسلم برقم (٨٥٦) في كتاب الجمعة.

(٣) رواهُ البخاري ومسلم عن عددٍ من الصحابة، والحديثُ متواتر، أما هذه الطائفة فقال البخاري في «صحيحه»: هم أهل العلم، وقال الإمام النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعةً متعددة من أنواعِ المؤمنين ما بين شجاعٍ وبصيرٍ بالحرب، وفقيهٍ ومحدِّثٍ ومفسرٍ وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهدٍ وعابدٍ. ينظر: «شرح مسلم» ١٣/٦٧.

(٤) رواه الترمذي (٢١٦٧) في أبوابِ الفتن، وقال: غريبٌ من هذا الوجه، ورواه الحاكم في «المستدرك» في كتاب العلم ١/١١٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه بنحوه ابن ماجه (٣٩٥٠) في كتاب الفتن، وابن أبـي عاصم في كتاب «السُّنَّة» ١/٤ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(ب) ومن مظاهر الخيريّة والتكريم في الآخرة:

١ ـ أنها شَاهِدةٌ للأنبياء عليهم السلام على أُممهم:

بأنهم قد بلَّغوا الرسالة عندما تَدَّعِي الأُمم أنهم ما جاءهم بشيرٌ ولا نذير، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ(١) ﴾ [الحج: ٧٨].

يعني أنه ﷺ يُزَكِّي أُمَّتَهُ المُتَّبِعين له، ويُعَدِّلُهُمْ، ويشهدُ لهم بالثِّقَة والعدالة حَتَّى تُقبل شهادتهم.

٢ ـ الآخِرون السَّابقون:

ومِمَّا خُصَّت به هذه الأمة أنها آخِرُ الأُمم في الوجود، وهي أوَّلُ الأمم في البعث والحساب ودخولِ الجنَّة.

قال ﷺ: «**نحنُ الآخِرونَ السابقونَ يومَ القيامة، بيدَ أنهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناهُ من بعدهم**...»(٢).

٣ ـ الغُرُّ المُحَجَّلون:

ومما خُصَّتْ به هذه الأمة: أنها تأتي يوم القيامة غُرّاً محجَّلين من آثارِ الوضوء.

---

(١) **اجْتَبَاكُم**: اختارَكم. **حرج**: ضيق. **من قبلُ**: أي من قبل هذا الكتاب في الكتبِ السابقة. **وفي هذا**: أي القرآن.

(٢) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم ٢١ ـ (٨٥٥) كلاهما في كتاب الجمعة.

قال ﷺ: «**إنَّ أُمَّتي يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين منْ أثرِ الوضوء، فمن اسْتطاعَ منكم أن يُطيلَ غُرَّتَهُ فَلْيفعل**»(١).

٤ ـ هُم أكثر أهلِ الجنَّة:

ومِمَّا خُصَّتْ به هذه الأمَّة أنها ستكونُ أكثر الأمم في الجنة.

قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة**..»(٢).

وقد وَرَدَ في الحديثِ ما يفيد أنهم أكثر من النصف: فهم ثلثا أهل الجنة، والثلث الباقي من سائر الأمم.

قال ﷺ: «**أهلُ الجنة عشرون ومائة صَفٍّ، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٣٦) في كتاب الوضوء، ومسلم ٣٥ ـ (٢٤٦) في كتاب الطهارة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. **الغُرُّ**: جمع الأغر، من الغُرَّة، وأصل الغُرَّة: البياض الَّذي يكون في وجه الفرس، والمرادُ به: بياضُ وجوههم بنورِ الوضوء يوم القيامة، **ومُحَجَّلون**: جمعُ مُحَجَّل، وهو الفرس الَّذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد، والمراد بالحديث: بيض مواضع الوضوء من الأوجهِ والأيدي والأقدام، استعارَ أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الَّذي يكون في وجه الفرس ويديه ورِجليه كما في «النهاية» ١/ ٣٤٦ و ٣/ ٣٥٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٣٠)، ومسلمٌ في كتابِ الإيمان (٢٢٢).

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٤٦)، وقال: حديث حسن.

س١ ــ اذكر خمساً من مظاهر الخَيْريَّة لهذه الأمة في الدنيا .

س٢ ــ اذكر أربعاً من مظاهر الخَيْريَّة لهذه الأمة في الآخرة .

س٣ ــ ما المراد بشهادةِ الأمة على الأمم يومَ القيامة؟

س٤ ــ ما معنى قوله ﷺ : «نحنُ الآخِرون السابقون»؟

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي :

(أ) أمَّةُ الرسول ﷺ خيرُ الأمم .

(ب) لا تزالُ طائفةٌ منها على الحق .

(ج) تأتي يومَ القيامةِ غُرّاً محجَّلين .

س٦ ــ أكمل الأدلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه :

(أ) ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ . . . . ﴾

(ب) «فُضِّلْنا على الناس بثلاث : . . . . » .

(ج) «أهلُ الجنة عشرونَ ومائة صفٍّ . . . . » .

❑❑❑

الدرس التاسع والثلاثون

١٢ ــ من حقوقِ الرسول ﷺ

لقد قامت الدلائل بإثباتِ نبوَّةِ سَيِّدنا محمد ﷺ وصِحَّةِ رسالته، وتميَّزت الرسالة المحمَّدِيَّةُ بأنَّها رسالةٌ عالميَّة لجميع البشريَّة، وأنها رسالةٌ خالدةٌ نسخَ الله بها جميعَ الرسائل السابقة، وخصَّ اللَّـهُ نبيَّهُ ﷺ وفضَّلَهُ على الخلقِ أجمَعين، كما خصَّ أُمَّةَ الإجابةِ وفضَّلَها على جميعِ الأُمم، ولذلك أوجبَ اللَّـهُ تعالى لنبيِّهِ ﷺ على أُمَّتهِ كثيراً من الحقوق، أهَمُّهَا :

مَحَبَّةُ رسولِ الله ﷺ

معنى مَحَبَّة رسولِ الله ﷺ :

أن يميل قلبُ المسلم إليه ﷺ مَيْلاً يتجلَّى فيه إيثارُه ﷺ على كلِّ محبوبٍ من نفسٍ ووالدٍ وولدٍ ومالٍ، ومن النَّاسِ أجمعين.

وجوبُ محبَّةِ الرسول ﷺ :

ومحبَّةُ الرسول من أصولِ الإيمان، فلا يتحقَّق الإيمان إلَّا بها، دلَّ على ذلك القرآنُ والسنَّة .

(أ) فمِن القرآن قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ

إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾(١)﴾ [التوبة: ٢٤].

(ب) ومن السُّنَّةِ قولُه ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكُمْ حَتَّى أكونَ أحبَّ إليه من وَالدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمعينَ**»(٢).

علاماتُ محبةِ الرسول ﷺ:

إنَّ محبة النبيِّ ﷺ لها علاماتٌ تدلُّ عليها، وهذه العلامات كثيرةٌ، سأذكر لك أهمَّها:

١ ــ التَّمَسُّكُ بشريعته واتِّباعُ سُنَّتِه:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل الله سبحانه متابعةَ الرسولِ علامةً على محبَّة العبد لربِّه، وجعل جزاءَ العبد على حُسْنِ متابعته لرسول الله ﷺ: محبَّةُ الله إيَّاهُ، وغفرانه سبحانه له.

٢ ــ تعظيمه ﷺ وتوقيرُه والأدبُ معه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ ــ ٩].

(١) **عشيرتكم**: العشيرةُ همُ الأدنَوْن من أهل الإنسان الَّذينَ يُعاشرونه دون غيرهم. **اقْترفتموها**: اكتسبتموها. **فتربَّصوا**: فانتظروا، وهذا تهديدٌ بسوء العواقب.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٥) واللفظ له، ومسلمٌ في كتاب الإيمان ٧٠ ــ (٤٤) من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه.

فالتَّسبيحُ لله عزَّ وجلّ، والتعزيرُ والتوقيرُ للنبيِّ ﷺ، والتعزيرُ: نصرٌ مع تعظيم، والتوقير: التبجيلُ والاحترام.

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾(١)﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣ ــ كَثْرَةُ تذكُّرِهِ ﷺ وتَمَنِّي رؤيته والشوق إلى لقائه:

ذلكَ أَنَّ من أحَبَّ شيئاً أكثرَ من ذِكْرِهِ، ولا يكونُ ذلك إلَّا إذا شغَلَت المحبَّةُ قلبَ المُحِبِّ وفِكرَه، ويدخل في هذا الشوق إلى لقائه ﷺ، إذ كُلُّ حبيبٍ يُحبُّ لقاءَ حبيبه، وفي الحديث: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتي لي حُبّاً، ناسٌ يكونون بعدي، يَوَدُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله**»(٢).

٤ ــ الإكثارُ من الصلاةِ والسلام عليه ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

والصَّلاةُ مِنَ اللَّـهِ تعالى: ثناءُ اللَّـهِ على نبيِّهِ ﷺ عند الملائكة، **والصَّلاةُ من الملائكةِ**: الدُّعاءُ لهُ ﷺ، **والصَّلاةُ من المؤمنين**: الطلبُ من الله تعالى أن يُعْليَ ذِكرَه، ويزيدَه تعظيماً وتشريفاً.

وقد رغَّبَ رسول الله ﷺ بالصلاةِ والسلام عليه في أحاديثَ كثيرة، منها قوله ﷺ: «**مَن صلَّى عليَّ واحدةً، صلَّى الله عليه عشراً**»(٣).

(١) **عَزَّرُوه**: أصل التعزير: المنع والنصرة، وتعزير النبي ﷺ: تعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه. **النُّور**: القرآن، وسُمِّيَ القرآنُ نوراً لأنه يُنير قلبَ المؤمن؛ فيخرج به من ظلماتِ الشك والجهالة إلى نورِ اليقينِ والعلم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٣٢)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواهُ مسلمٌ في صحيحه (٤٠٨) في كتاب الصلاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللَّهمَّ صلِّ على عبدِكَ ونبيِّكَ سيِّدنا محمدٍ وعلى أزواجه وذُرِّيَّتِه، وسَلِّمْ تسليماً كثيراً.

٥ ـ محبَّةُ آلِ بيته وقرابتِه وأزواجِه وأصحابِه ﷺ:

مِن مظاهر حُبِّه ﷺ: محبةُ أهلِ بيته، وتوقيرهم، ومعرفة فضلهم، وحفظُ حُرمتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقد أوصى صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم بآلِ بيته فقال: «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهلِ بيتي**»(١).

وقد جاءَ عن الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أنه قال: «**ارقُبوا محمداً ﷺ في أهلِ بيته**»(٢).

ومِن مظاهر حُبِّه ﷺ: حُبُّ أصحابه، ومعرفةُ فضلهم وقدرهم، والدفاعُ عنهم، وصَوْنُ حُرمتهم، فهُم خيرُ هذه الأمَّةِ بعد نَبيِّها، ويكفيهم شَرَفاً أنهم فازوا بشرفِ الصُّحبة التي لا تُعادلُها أيُّ منزلةٍ سواها.

وقد أعلن اللَّهُ تعالى شهادتَه بأَنَّ محمداً رسول الله، وأثنى سبحانه على أصحابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) في كتاب فضائل الصحابة، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) رواهُ البخاري في المناقب (٣٧١٣). **والمراقبة للشيء**: المحافظةُ عليه، ومعناه: احفظوهُ فيهم، فَلَا تُؤْذوهم، ولا تسيئوا إليهم.

يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾(١) [الفتح: ٢٩].

ثمرات المحبة:

١ ـ حلاوةُ الإيمان:

إنَّ أعظمَ ثمراتِ المحبَّة أن يجدَ المؤمنُ في قلبه حَلاوةَ الإيمان، كما في الحديث: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ اللَّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سِواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر كما يكره أن يُقْذَفَ في النار**»(٢). وكلَّما ازدادَ المؤمن محبةً لله ورسوله ﷺ، ازدادَ ذَوْقُهُ لحَلَاوةِ الإيمان.

٢ ـ المرءُ مع من أحب:

ومِن ثمراتِ المحبة: أن يكونَ المَرءُ مع مَنْ أحبَّ، فمن أحبَّ رسول الله ﷺ كان معه في الجنة، وسَعِدَ بمرافقته، وتنعَّمَ برؤيته. قال ﷺ: «**المرءُ مع من أحب**»(٣).

(١) **يبتغونَ فضلاً من الله ورضواناً**: أي يطلبونَ فضلاً من الله ويطلبونَ رضوانه سبحانه، وفي هذا شهادة لهم بكمالِ صدقهم وإخلاصهم. **سيماهم**: السِّيما هي العلامة، وهي النور الَّذي يبدو ظاهراً على وجوههم من كثرةِ السجودِ والصَّلاة. **شَطْأَهُ**: الشَّطْأ فراخ الزرع، وهو ما خرجَ منه وتفرَّع عنه. **فآزَرَهُ**: أي: قوَّاهُ وشدَّهُ. **فاستغلظ**: أي شبَّ وقويَ. **فاستوى على سُوقِهِ**: جمع ساق، أي: فاستقامَ على أصوله. **منهم**: «من» هنا للبيان لا للتبعيض.

(٢) رواهُ البخاري في كتابِ الإيمان (١٦)، ومسلمٌ في كتابِ الإيمان (٤٣).

(٣) رواهُ البخاري في كتابِ الأدب (٦١٦٨)، ومسلمٌ في كتابِ البرّ (٢٦٤٠).

س١ ــ ما معنى محبة رسول الله ﷺ؟

س٢ ــ ما الدليلُ على وجوبِ محبة الرسول ﷺ من القرآن والسنَّة؟

س٣ ــ اذكر علامات محبة الرسول ﷺ.

س٤ ــ ما هي ثمراتُ المحبة للرسول ﷺ؟ مع الدليل.

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) وجوبُ تعظيمه ﷺ وتوقيره.

(ب) الإكثار من الصَّلاةِ والسلام عليه ﷺ.

(ج) ثناءُ الله سبحانه على صحابةِ رسولِ الله ﷺ.

س٦ ــ أكمل الأدِلة التالية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ....

.................................﴾.

(ب) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ ....﴾.

(ج) «مِن أشدّ أمّتي لي حُبّاً ....».

❑❑❑

الدرس الأربعون

طاعةُ الرسولِ ﷺ

وجوب طاعته ﷺ واتِّباعه:

من حقـوقِ الرسول ﷺ عـلى أُمّتِهِ: امتثال أمرِه ﷺ والاقتداء به في أقواله وأفعاله، لأنه مرسَلٌ من ربـه، هادٍ إلى صراطـه، كما قـال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥٢ ــ ٥٣]. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ــ ٤].

ومَن كانَ شأنه كذلك كانت طاعتُه من طاعةِ الله تعالى، لأنَّ الآمرَ في الحقيقةِ هو اللّـهُ تعالى، والرَّسولُ مُبَلِّغٌ عنه.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد أفردَ اللّـهُ تعالى الأمرَ بطاعة محمد ﷺ في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله سبحـانـه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

كما قَرَنَ سبحانه طاعته بطاعة رسوله في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] [الأنفال: ٢٠].

من علاماتِ الطاعة والاتباع:

١ ـ تحكيمُ السنَّة والتَّحاكُمُ إليها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[2] [النساء: ٥٩].

فأمرَ الله تعالى المؤمنين بردّ ما تنازعوا فيه إلى كتابه وسنَّةِ نبيِّه ﷺ وجعل ذلك علامةَ الإيمان.

وأقسم سبحانه بِذَاتِهِ على أنه لا يثبت للمؤمنين الإيمان حَتَّى يحكِّموا رسول الله ﷺ في أنواعِ النِّزاع كَافَّةً مع الرِّضا بحكمه والتَّسليم لأمره ﷺ.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[3] [النساء: ٦٥].

---

(١) **لا تولَّوا عنه**: يعني عن رسوله، وإنما أفرد الضمير لأن الإعراض عن سنَّته وهديه ﷺ إعراضٌ عن طاعة الله سبحانه لتلازم الطاعَتين، وتَدَاوم الحالتين.

(٢) **فإن تنازعتم**: أي اختلفتم، والتنازع: اختلاف الآراء. **فرُدُّوهُ إلى الله والرسول**: أي ردُّوا ذلكَ الأمر الَّذِي تنازعتم فيه إلى كتابِ الله عزَّ وجَلّ، وإلى رسوله ﷺ ما دام حيّاً، وبعد وفاته فرُدُّوهُ إلى سُنَّتِهِ ﷺ.

(٣) **فلا ورَبِّكَ**: أي فوربّك، و (لا) لتأكيد معنى القسَم، أو (لا) رد لكلام سبق، كأنه قال: ليسَ الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهُمْ يخالفون حكمك. **شَجَرَ بينهم**: أي فيما اختلفوا فيه من الأمور، وأشكل عليهم حكمه، وأصله التداخل والاختلاط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه. **حَرَجاً**: ضِيقاً. **يُسلِّموا تسليماً**: ينقادوا لأمرك انقياداً. =

٢ ـ الرضَا بحكم رسول الله ﷺ وشرعه:

من علاماتِ طاعة الرسول ﷺ: الرِّضَا بحكمه وشَرعه، ولا يتحقَّق الرِّضَا إلَّا بالتسليم المطلق، والانقياد ظاهراً وباطناً لِما جاء به الرسول ﷺ، وكلُّ التفاتٍ عن الوحيِ أو اعتراضٍ عليه فهو مناقضٌ للرِّضا، ودليلٌ على النِّفاق.

٣ ـ الاقتداء بالنبيِّ ﷺ والتأسِّي به:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والتأسِّي بالنبيِّ ﷺ هو: أن نفعلَ مثلما فعلَ على الوجهِ الَّذي فعله من وجوبٍ أو ندبٍ، وأن نترك ما تركه أو نهى عنه من مُحرَّمٍ أو مكروه، كما يشمل التأسّي به: التأدُّبَ بآدابه والتخلُّقَ بأخلاقه ﷺ.

من ثمراتِ الطاعة والاتباع:

ثَمَّةَ ثِمَارٌ جليلة يَجْتني قطافها الَّذينَ يتحقَّقون بطاعة الرسول ﷺ واتِّباعه، ومن تلك الثمرات:

١ ـ الهِدَايَةُ إلى الحق:

قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور: ٥٤].

٢ ـ رحمة الله عزَّ وجلّ:

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

٣ ــ حبُّ الله ومغفرةُ الذنوب:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤ ــ دخولُ الجنَّة:

انَّ مَن نالَ هدايةَ اللّٰهِ ورحمته وحبه وغفرانه فقد سلكَ سبيلَ السعادة والنجاةِ، وفاز الفوزَ العظيم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**كلُّ أمَّتي يدخلونَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ أبى**»، قالوا: يا رسولَ الله، ومَنْ يأبى؟

قال: «**مَنْ أطاعني دخلَ الجنة، ومَنْ عَصَاني فقد أبى**»[١].

وبيَّن ﷺ أنَّ مثله: «**كمثل رجلٍ بنى داراً وجعل فيها مأدبةً، وبعثَ داعياً، فمَنْ أجابَ الداعيَ دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدُبَةِ، ومَنْ لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة... فالدار الجنة، والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاعَ الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدُ ﷺ فَرْقٌ بين الناس**»[١].

(١) رواهُ البخاري في كتابِ الاعتصام بالسنَّة (٧٢٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والمراد بالإباء هنا هو الامتناع عن التزام سنة الرسول ﷺ وعصيان أمره.

والموصوفُ بالإباء إن كان كافراً فلا يدخل الجنة أبداً، وإن كانَ مسلماً مُنِعَ من دخولها مع أول داخلٍ إلَّا مَن شاء الله تعالى. (فتح الباري ١٣/ ٢٥٤) بتصرُّف.

٥ ــ معيَّةُ الرسولِ ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩ ــ ٧٠].

وأيُّ شرفٍ أعظم من هذا الشَّرف، أن ينال المؤمن ذاكَ المقام الرفيع في صُحبةِ النَّبيّ ﷺ والأخيارِ في دار الخُلد والقَرار.

ومَنْ ذا الَّذي يزهَدُ في تلك الثمرات ويَعْزف عن هذه المكرمات؟!!

المناقشة

س١ ــ **لماذا أمرَنا الله سبحانه بطاعةِ الرسول ﷺ؟**

س٢ ــ **اذكر أهم علامات الطاعة والاتِّباع لرسول الله ﷺ.**

س٣ ــ **اذكر أهم ثمرات الطاعة والاتِّباع للرسولِ ﷺ.**

س٤ ــ **ما موقف المؤمنين عند التنازع واختلاف الآراء؟**

س٥ ــ **كيف يتحقَّق الرِّضا بحكم رسول الله ﷺ؟**

س٦ ــ **كيف يتحقَّق الاقتداء بالنبيِّ ﷺ والتأسِّي به؟**

(١) رواه البخاري في سياقٍ طويل في كتاب الاعتصام بالسنَّة (٧٢٨١).

وقوله ﷺ: «ومحمد فَرْقٌ بين الناس»: أي يفرِّقُ بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه، وقد جاء في صفته في الكُتُب السابقة: «فارق ليطا»: أي يفرِّقُ بين الحقّ والباطل.

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ ممّا يلي :

(أ) الرسول ﷺ هادٍ إلى صِراطِ اللّـهِ المستقيم .

(ب) طاعةُ الرسولِ ﷺ من طاعةِ الله .

(ج) مَعِيّةُ الرسولِ ﷺ .

س٨ ـ أكمل الأدلّة الآتية، ثُمّ اذكر ما ترشد إليه :

(أ) ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ .... ﴾.

(ب) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ .... ﴾.

(ج) «كلُّ أمّتي يدخلونَ الجنةَ إلّا مَن ....».

❑❑❑

الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر

١ ـ تعريفه وأسماؤه .

٢ ـ عنايةُ القرآنِ باليومِ الآخر .

٣ ـ أدِلّةُ إثباتِ اليومِ الآخر .

٤ ـ ثَمَراتُ الإيمان باليومِ الآخر .

٥ ـ أوّلُ منازلِ الآخرة .

٦ ـ أشراطُ الساعة .

٧ و٨ ـ البعثُ والحشر .

٩ و١٠ ـ الحَوْض والشفاعة .

١١و١٢ ـ الحساب والشُّهود .

١٣ ـ صُحفُ الأعمال .

١٤ ـ وَزْنُ الأعمال .

١٥ ـ الصِّراط .

١٦ ـ الجنّةُ والنّار .

الدرسُ الحادي والأربعون

١ ـ تعريف الإيمان باليومِ الآخر وأسماؤه

اليومُ الآخر:

هو اليومُ الذي يُحيي الله فيه الخَلْقَ بعد موتهم، ويبعثهم من قبورهم ثُمَّ يحاسبهم ويَجْزيهم على أعمالهم(١).

والإيمانُ باليوم الآخر وما فيه من بعثٍ وحسابٍ وثوابٍ وعقابٍ وجَنَّةٍ ونارٍ ركنٌ من أركان الإيمان، وأصْلٌ من أصول الدين.

أسمـاؤه:

وهو يُسمَّى بأسماء كثيرة(٢)، وهذه الأسماء تصف اليوم الآخر وتُبيّن

---

(١) قال ابن حجرٍ في سببِ تسميته باليوم الآخر في «الفتح» ١/١١٨ (٥٠): لأنه آخر أيّام الدنيا، أو آخرُ الأزمنةِ المحدودة».

(٢) اقتصرت على سبعة أسماء فقط، وذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/٣٩٦: أنَّ بعض العلماء جمعوا أسماء اليوم الآخر فبلغت ثمانين اسماً، ثم عَقَّبَ الحافظ بقوله: «ولو تتبع مثل هذا من القرآن زاد على ما ذُكِر». انتهى. ويقول القرطبي في «التذكرة» ص ٢٦٠: «كل ما عظُم شأنه تعدَّدت صِفاته، وكَثُرَت أسماؤه.. فالقيامة لَمَّا عَظُمَ أمرُها، وكثُرَت أهوالها سَمَّاها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة».

ما يقع فيه؛ لإيقاظِ القلوب النائمة، وتنبيهِ النفوس الغافلة، ومن أشهر تلك الأسماء:

١ ـ يوم القيامة:

ففيه يقوم الناسُ لرَب العالمين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

٢ ـ يوم الدين:

أي: يوم الجزاء، فيه تُجْزى كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أي: جزاءهم العادل.

٣ ـ يوم البعث:

حيث يخرجُ الناس من قبورهم سِراعاً ليُوَفَّوْا جزاء أعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

٤ ـ يوم الجَمْع:

حيث يَجْمَعُ الله فيه الأوَّلينَ والآخرين: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

٥ ـ يوم التَّغابن:

ذلك يومٌ يتبيَّنُ فيه الناس أنهم غَبَنوا أنفسَهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[1] [التغابن: ٩].

٦ ـ يوم الحَسْرة:

حيث تتقطع قلوب أهل النار من حسراتها بعد فصل القضاء، وحين يُنادي المنادي: يا أهلَ الجنة خلودٌ بلا موت، ويا أهلَ النار خلودٌ بلا موت.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

٧ ـ يوم التَّلاق:

حيث تتقابل تلك الحشود الهائلة من الخَلق، ويلتقي أهل الأرض وأهل السماء بخالقهم في موقف الحساب بلا سَتْر ولا خفاء، ليستقبل كلُّ عاملٍ عملَه، ويقرأ كتابَه.

قال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[2] [غافر: ١٥ ـ ١٦].

ومن أسمائه أيضاً:

الحاقَّة، والقارعة، والواقعة، والغاشية، والطامَّة الكبرى، والصَّاخَّة.

---

(١) التغابن: من الغبن وهو فوتُ الحظ، فيظهر غبن كل كافر بتركه الإيمان، ويظهرُ غبن كل مؤمنٍ بتقصيره في الإحسان.

(٢) **يُلقِي الروح**: يُنزل الوحي، وسمَّاه روحاً لأنَّ بِهِ تحيا الأرواح.

مِحوَرُ الإيمان :

الإيمانُ بالله واليوم الآخر هما محور الإيمان وأساسُ العمل الصالح، فالإيمانُ بالله : إيمانٌ بمصدرِ هذا الوجود، خالقِهِ ومدبِّرِهِ .

والإيمانُ باليوم الآخر : إيمانٌ بغايةِ هذا الوجود ونهايته، وأنَّ إلى ربِّك المنتهى، وإلى الله المصير .

المناقشة

س١ ــ ما اليوم الآخر؟ وما حكم الإيمان به؟

س٢ ــ لماذا سمَّى الله سبحانه اليوم الآخر بأسماء كثيرة؟

س٣ ــ اذكر خمسة من أسماء اليوم الآخر؟

س٤ ــ بيّن معاني الأسماء الآتية :

يوم الدين، يوم الجَمع، يوم التغابن .

س٥ ــ الإيمان بالله واليوم الآخر هما محوَر الإيمان، وأساس العمل الصالح . وضّح ذلك .

س٦ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ من الأسماء الآتية :

(أ) يوم البعث .

(ب) يوم الحسرة .

(ج) يوم التلاق .

❑ ❑ ❑

الدرسُ الثاني والأربعون

٢ ــ عنايةُ القرآن باليوم الآخر

الإيمانُ باليومِ الآخرِ ركنٌ من أركان الإيمان، وأصلٌ من أصول الدين، وقد عُنِيَ القرآنُ بتقريره، وتأكيد أهميَّته، كعنايته بتقرير الإيمان بالله وتوحيده .

وتبدو هذه العنايةُ والاهتمام من وجوهٍ كثيرةٍ أهمها :

أولاً : ربطُه بالإيمان باللّٰهِ تعالى :

فيأتي ذِكْرُ الإيمان باليومِ الآخر ــ غالباً ــ بعد الإيمان بالله تعالى، تأكيداً لأهميته، وبياناً لمنزلته، ولنقرأ هذه الآيات :

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٨] .

ثانياً : إكثارُ القرآن من ذِكْرِه :

ليقرِّبَه إلى الأذهان، ويُثبِّتَه في القلوب، كلُّ ذلك بشُمُوليّةٍ واسعةٍ، فقد ذَكَرَ القرآنُ : الموتَ، والبعثَ، والحشرَ، والصُّحفَ، والصراطَ، والميزانَ،

والجنَّةَ، والنارَ. . ولا تكاد تخلو سورةٌ من سوَرِ القرآن من ذِكرٍ لهذا اليومِ، وما فيه من ثوابٍ وعِقاب.

ثالثاً: تصويرُ القرآنِ الكريم هذا اليومَ بآياتِهِ تصويراً يَخْلَعُ القلوب:

وَلْنقرأ هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾[1] [القارعة: ٤ ــ ٥].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ ــ ٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ــ ٣٧].

رابعاً: تسمية كثير من السُّوَرِ القرآنية بأسماء اليوم الآخر مثل سُوَرِ:
(القيامة، الواقعة، الحَاقَّة، الغاشية، القارعة. .).

وتارةً تُسَمَّى السور بشيءٍ من المظاهر الكونيَّة الهائلة التي تقع في ذلك اليوم، مثل سُوَرِ: (الدخان، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة).

وتارةً تسَمّى السور ببعض مشاهد اليوم الآخر مثل سُوَرِ: (الأعراف، الزمر، الجاثية) حَتّى لا تغيب دلالتها وتذكرتها عن القلوب المؤمنة الواعية.

---

(١) **المبثوث**: المتفرّق. **كالعهن المنفوش**: أي الصوف المتطاير عند الندف.

خامساً: عنايةُ القرآنِ بتقرير وقوعه، وإقامةِ الأدِلَّةَ عليه ببراهين عقلية، وحُجَجٍ ملزِمة:

مثلما عُنِيَ القرآن العظيم بتقرير التوحيد وإثباته، كذلك عُنِيَ بالرد على المنكرين لهذا اليوم العظيم، وكشف شبهاتهم بما يدحضها.

سادساً: أنه اعتبر الإيمان باليومِ الآخر أساساً للإيمان بالقرآن، وأصلاً للانتفاع بهدايته واتِّباع أوامره:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وأخيراً: كان آخر ما خُتِمَ به الوحي من آياتِ الكتاب العزيز التذكير باليوم الآخر وما فيه من حسابٍ وجزاء:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

ويرجعُ اهتمام القرآنِ باليومِ الآخر لأسبابٍ، منها:

١ ــ أَنَّ مُشركي العرب كانوا ينكرونه، لأنَّ الإقرار باليوم الآخر يعني تحمُّلَ المسؤولية، ووجوبَ الاستعداد للحسابِ والجزاء، وهذا ما يتهرَّب منه الكافرون، لأنهم يريدون أن يطلِقوا لأهوائهم وشهواتهم العَنان.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقد أطال القرآنُ في الردّ على شُبَهِ المشركين المُسْتَبْعِدين للبعثِ بعد الموتِ، كما سنُبَيِّنُ ذلك.

٢ ــ أَنَّ أهل الكتاب ــ اليهود والنَّصارى ــ قد بلغوا منتهى الفساد في تصوُّرِهم لليومِ الآخر، وتحوَّل إلى وهمٍ من أوهامهم، وأمنيةٍ زائفةٍ من أمانيهم يخدعون بها أنفسهم.

فقالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وقالوا أيضاً: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ١١١].

ولهذا أهدروا تكاليف الشريعة، واستحَلُّوا محارمها، وَوَلَغُوا في الفُجور إلى أقصى الحدود، إذْ أوهموا أنفسهم أنهم بمُجرَّدِ انتسابهم إلى اليهودية أو النصرانية فإنَّهُم يضمنونَ «الخلاص» كما يسَمُّونه، واستحقاق الجنَّة.

ولهذا هدَّدَهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤ ــ ٩٥].

وكان نتيجةُ ذلك أن عبَدوا الحياةَ الدنيا بعد أن أسقطوا الآخرة من حسابهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

٣ ــ ومِن حكمةِ الاهتمام البالغ بالتذكير باليومِ الآخر: كثرةُ نسيان البشر له، وغفلتهم عنه، بسبب حُبّهم لمتاع الحياة الدنيا، فيكون الإيمان به

وبما فيه من عذابٍ ونعيم، وخلودٍ في الجنة أو خلودٍ في النار ــ والعياذ بالله ــ مُخَفِّفاً من الغُلوّ في حبّ الدنيا، ودافعاً إلى التنافس في فعل الطاعات.

وما أهونَ هذه الدنيا وأقصرَ عمرَها في جانبِ ذلك الخلود الذي ليس له نهاية.

المناقشة

س١ ــ صَوَّرَ القرآنُ اليومَ الآخر تصويراً يخلع القلوب، اذكر ثلاث آياتٍ تدلُّ على ذلك.

س٢ ــ ما أساس الانتفاع بهداية القرآن واتّباع أوامره؟ اذكر الدليل.

س٣ ــ لماذا أنكر مشركو العرب اليومَ الآخر؟

س٤ ــ كيف تصوَّرَ أهلُ الكتابِ اليومَ الآخر، وماذا نتج عن هذا التصوُّر؟

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) ربط القرآن بينَ الإيمانِ بالله تعالى واليوم الآخر.

(ب) آخر الآيات التي خُتم بها القرآن.

(ج) تهديد الله سبحانه لليهود بِتَمَنِّي الموت.

س٦ ــ اذكر ثلاثة أمثلةٍ لكلٍّ مما يلي:

(أ) تسمية بعضِ السور القرآنية بأسماء اليوم الآخر.

(ب) تسمية بعض السُّوَر بالمظاهر الكونية التي تقع في اليوم الآخر.

(ج) تسمية بعض السُّوَر ببعض مشاهد اليوم الآخر.

❑ ❑ ❑

الدرسُ الثالث والأربعون

٣ ـ أدِلّةُ إثباتِ اليومِ الآخر

الأدلة على ثبوت اليوم الآخر كثيرةٌ ينطق بها كلُّ ما في الوجود، وتقضي بها شهادة النقل والعقل.

١ ـ أمَّا النقل:

فقد ثَبَتَ بالكتابِ والسُّنَّةِ أَنَّ اليومَ الآخر حَقٌّ واقعٌ لا رَيْبَ فيه.

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

وأمَّا السُّنَّة، فمنها ما وَرَدَ في حديث جبريل: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ**».

٢ ـ وأمَّا العقل:

فإنَّهُ يقضي بِأَنَّ الله سُبْحَانَهُ بقدرتِهِ الفائقة وحكمته البالغة القائِم على تدبيرِ هذا الوجود بهذه الدقَّة التامَّةِ والعنايةِ الكاملة، لا يُمكن أن يُسَوّيَ بين المُحسنِ والمُسيء، وبين الظالم والمظلوم، وبين مَن عاش عُمُرَهُ لفعلِ

الخيرات وعملِ الصالحاتِ، ولم يلقَ إلَّا التنكُّرَ والاضطهاد، ومَن عاش عمره في ارتكابِ المُحرَّمَات، وإشاعة المنكرات، ومع هذا لم يلق جزاءه العادل في الدنيا.

إننا نرى في حياتنا هذه بأعيننا جُناةً طاغين؛ يعيشونَ ناعمين، ويموتونَ ظالمين، ونرى مؤمنين مظلومين؛ يعيشون بائسين، ويموتون مقهورين، فهل ينتهي الأمر بهذا؟

إنَّـه إذا لم يكـن هنـاك يـومٌ يُنْصَـفُ فيـه المظلومُ من ظالِمِه، ويُسْتَوفى له الحق منـه، كان خالقُ الكون ظالماً وعابثـاً، تعـالى الله عـن ذلـك عُلُـوّاً كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

فلا بُدَّ من يومٍ يظهرُ فيه الحق، ويتحقَّقُ فيه العدل.

إنَّ العدالة الإلٰهيَّة تقضي أن ينال الصَّالحون ثوابَ أعمالهم الذي حُرِموه في الدنيا، وأن لا يَفْلت الأشرار العُصاة من العقاب الذي يستحقُّونه جزاءَ ما ارتكبوه من جرائم وفساد ومنكرات في حياتهم.

قال اللّـهُ تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

* * *

٤ ـ ثمراتُ الإيمان باليوم الآخر

إنَّ للإيمانِ باليومِ الآخر ثمراتٍ طيّبَةً، وآثاراً حسنةً في حياة البشر، ومن أظهر آثارِه، وأطيَبِ ثماره:

١ ـ أَنَّ الإيمان باليوم الآخر يجعلُ لحياةِ الإنسان هدفاً، ولوجوده غاية، فالله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سُدًى، وإنما خلقه لهدفٍ وغاية.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [تبارك: ٢].

وأمّا إنكار هذا اليوم وجُحودُه، والاعتقاد بأَنَّ حياة الإنسان على الأرض لا يعقبها حياةٌ أخرى، فهو يجعل حياةَ الإنسان أشبهَ بحياة الأنعام؛ فيعيش بلا هدف، ولا يُدرك سرَّ وجوده.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

٢ ـ أنه يَحُدُّ كثيراً من شُرور الإنسان، ويمنعه من الاسترسال في ظُلْمِه، لأنه يعتقد أنه مُحَاسَبٌ على عمله، مَجْزِيٌّ عنه، ولن يُفْلتَ من عذاب الله وانتقامه، ولولاه لكانَ الإنسانُ أشبَه بالوحش المفترس.

٣ ـ أَنَّ الإيمانَ باليوم الآخر أكبرُ باعثٍ على فعل الخير والإكثار منه والمسابقةِ فيه، ولو كلَّفَهُ نفسَهُ وولدَهُ ومالَهُ، لأنه ينتظر الجزاءَ والمثوبةَ من الله سبحانه.

وإليكَ بعضَ الأمثلة التي تدلُّ على أَثَرِ الإيمانِ باليومِ الآخر في بذل المالِ والنفس في مرضاةِ الله عزَّ وجلَّ:

(أ) فهذا الصحابيُّ الجليل أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري يَقْدُمُ إلى رسول الله ﷺ فيقول له: يا رسولَ الله، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإنَّ أحَبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحَاءَ، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذُخْرَهَا عند الله، فضَعْهـا يـا رسـولَ الله حيثُ أراكَ الله، فقـال ﷺ: «**بَخٍ ذلك مالٌ رابح**»(١).

إنَّ الَّذي دفعَ أبا طلحة لأن يتنازلَ عن بستانه الجميل، وهو أحبُّ أمواله إليه: إيمانه باليومِ الآخر، ويقينه بثوابِ الله تعالى في ذلك اليوم.

(ب) وهذا عُمَيْرُ بن الحُمَام الأنصاري يَسْتعجلُ الموتَ طَلَباً لِما عندَ اللّه تعالى، لَمَّا سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول يوم بدر: «**قوموا إلى جنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأرض**»، قال: يا رسول الله، جنَّةٌ عرضها السموات والأرض! قال: «**نعم**»، قال: بَخٍ بَخٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يَحملكُ على قولِ بَخٍ بَخٍ؟**»، قال: لا واللّهِ يا رسولَ اللّه، إلاَّ رجاءَ أن أكونَ من أهلها، قال: «**فإنَّكَ من أهلها**»، فأخرج تمراتٍ من قَرَنِه، فجعل يأكلُ منهنَّ، ثُمَّ قال: لئن أنا حَيِيتُ حَتَّى آكلَ تمراتي هذه إنها لحَياةٌ طويلة، قال: فرَمى بما كان معه من التمر، ثُمَّ قاتلهم حَتَّى قُتِل»(٢).

٤ ـ أنَّ الإيمان باليوم الآخر أكبر مُعينٍ للإنسانِ على تخفيف الآلام، وتهوين المَصَائب التي تنزل بالمرء في حياته، وجَعْلِه قادراً على احتمالها، فلا ينهار تحت وَطْأتها، ولا يحطِّمه اليأس عند وقوعها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨)، كلاهما في كتاب الزكاة.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠١)، وكلمة: بَخٍ بَخٍ تقالُ للتعجُّبِ من الشيء لمدحِه واستعظامه، وتُكَرَّرُ للمبالغة، **قرنه**: أي جعبة تُتخذ من جلدٍ تخزنُ فيها السهام.

وهذهِ الخنساء التي ملأتِ الدنيا في جاهِلِيَّتِها بكاءً وعويلاً على أخيها صَخْر، تقول في إسلامها حين قُتِلَ أولادها جميعاً: «الحمد لله الَّذِي شرَّفَنِي بقتلهم، وأرجو مِنْ رَبِّي أن يجمعَني بهم[1] في مستقرِّ رحمته».

فما أطيبَ ثمراتِ الإيمان باليومِ الآخر، وما أعظمَ تأثيره في النفوس.

المناقشة

س١ ــ اذكر الدليل النقلي على ثبوت اليوم الآخر.

س٢ ــ اذكر الدليل العقلي على ثبوت اليوم الآخر.

س٣ ــ لماذا يحدُّ اليوم الآخر من شرّ الإنسانِ وظلمه؟

س٤ ــ الإيمانُ باليومِ الآخر يجعل للإنسان هدفاً، ولوجوده غايةً، وضّح ذلك.

س٥ ــ الإيمان باليوم الآخر أكبر باعثٍ على بذلِ المالِ والنفس في مرضاةِ الله، اذكر مثالين يدلّانِ على ذلك.

س٦ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ ممَّا يلي:

(أ) تنزُّه الله عن العبث في خلقه.

(ب) عدم المساواة بين المؤمنين والمفسدين.

(ج) خَلَقَ اللّـٰهُ الإنسانَ لهدفٍ وغاية.

❏ ❏ ❏

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١١٢ (١١١١٢).

الدرسُ الرابع والأربعون

٥ ــ أوَّلُ منازلِ الآخرة

المـوت:

يبدأ اليوم الآخر بالنسبة للإنسان بالموت، والموتُ هو مفارقةُ الروحِ للجسد، عند انتهاء الأجل، وهو أولُ منزلٍ من منازل الآخرة، والموتُ حقيقةٌ مُشَاهَدَةٌ محسُوسة، وكلُّ إنسانٍ يوقِن أنه سيموت، فهذا الإنسانُ الذي يَتَحَرَّكُ ويعمل، ويأكل ويشرب، ويكتب ويقرأ.. تأتي عليه لحظة ينقلب إلى جثَّةٍ هامدة لا حِراكَ فيها..

والإنسانُ ينسى الموت فيشقى ويَطْغى، لكنه إذا ذَكَرَ الموتَ اتَّعظَ واعتبر.

وفي الحديث أَنَّ عثمانَ بن عَفَّانٍ رضي الله عنه كانت تُذْكَرُ أمامه الجَنَّةُ والنار فلا يبكي، فإذا ذُكِرَ القبر بكى، ثُمَّ لا يكون لبكائه حدٌّ، فسُئِل في ذلك فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ القبرَ أَوَّلُ منزلٍ من منازل الآخرة، فإنْ نَجَا منه فما بعدَهُ أيسرُ منه، وإن لم يَنْجُ منه فما بعده أشَدُّ منه**»[1].

وكان يتمثَّل بقول الشاعر:

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ   وإلَّا فإني لا إخالُكَ ناجيا

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨) في كتاب الزهد، وقال: هَذَا حديثٌ غريب.

القبرُ والبَرْزَخ :

وهي المرحلة التي تأتي بعد الموت مباشرة، وفيها يُحْجَبُ جسَدُ الميت ويُحالُ بينه وبين الدنيا؛ فلا يرجع إليها، وهذا الحائل، هو الذي يُسمَّى (البرزخ).

قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وعالَم البرزخ هو المدَّة الواقعة بين موتِ الإنسان وخروجه من القبر.

فتنةُ القبر :

وعندما يُوضَعُ الإنسان في القبر يَجْري سؤالُه بعد دفنه عن ربّه ودينه ونَبِيِّه، فيثبّتُ الله الَّذِينَ آمنوا بالقولِ الثابت، فيقول المؤمن: ربـيَ الله، وديني الإسلام، ونَبِيـي محمَّد ﷺ.

ويُضِلُّ الله الكافرين والمنافقين، فيقول الكافر: هَاهْ هَاهْ لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب: لا أَدْرِي، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقُلتُه.

عذابُ القبر ونعيمُه :

فأمَّا عذاب القبر فيكون للكافرين والمنافقين والعاصين.

قال تعالى في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥﴾(١) [نوح: ٢٥].

وقال تعالى في آلِ فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

فالعرضُ على النار في عالم البرزخ قبل قيامِ الساعة.

وأمَّا نعيم القبر فللمؤمنين الصَّالحين.

(١) **أُغرقوا فأُدخِلوا**: عُطِفَ إدخالُ النار على الإغراق بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب بلا مهلة، وهذا يدل على أنَّ ذلك في القبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وعن البراء بن عازبٍ أَنَّ النبـيَّ ﷺ قال في المؤمن إذا أجابَ المَلَكَيْن في قبره: «**فينادِي مُنَادٍ من السَّماء: أَنْ صَدَقَ عبدي، فافرُشوهُ من الجنَّةِ، وألبِسوه من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحِها وطِيبِها، ويُفسَحُ له في قبره مَدَّ بصَرِه**»(١).

المناقشة

س١ ـ ما أول منزل من منازل الآخرة؟

س٢ ـ ما فائدة ذِكر الموت؟

س٣ ـ ما سرُّ بكاء عثمان رضي الله عنه إذا ذُكِرَ أمامه القبر؟

س٤ ـ ما المرحلة التي تأتي بعد الموت مباشرةً؟

س٥ ـ ماذا يجري على الإنسان بعد وضعه في القبر، وما حال المؤمنين والكافرين؟

س٦ ـ لمن يكون عذاب القبر ونعيمه؟

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) يُحَالُ بين الميِّت وبين خروجه من القبر بحاجزٍ يُسَمَّى البرزخ.

(ب) يُعرض الكفار على النار في عالم البرزخ قبل قيام الساعة.

(ج) يُنَعَّمُ المؤمنون الصَّالحون في قبورهم.

❑ ❑ ❑

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٨٧ و ٢٩٥ ـ ٢٩٦، وأبو داود (٤٧٥٣) في كتاب السنَّة من حديث البراء بن عازب. **والمدُّ**: القدرُ والغاية، أي يُفسَحُ له في قبره إلى منتهى مَد بصَرِه.

الدرسُ الخامس والأربعون

٦ـ أشراطُ السّاعة

ما معنى الساعة؟

«الساعةُ: في الأصل هي الجُزء من الليل أو النهار. ويُقالُ أيضاً: ساعةُ كلّ شيءٍ هي أوان زواله وبطلانه.

وهي بهذا المعنى نوعان:

ساعةٌ خاصة: لكلّ كائنٍ. فالنباتُ حينَ تذهبُ نَضارتُه، والإنسان إذا حانت مَنِيَّتُه، والأمَّةُ إذا جاءَ أجَلُها، كلُّ أولئك يُقالُ له: قد أتت ساعته.

وساعةٌ عامة: للدنيا كلِّها حين يُنفَخُ في الصُّورِ، فيُصْعَقُ مَن في السموات ومن في الأرض، ثُمَّ يُنفَخُ فيه أخرى فإذا هُم قيامٌ ينظرون، وتُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض، والسموات، وبَرَزُوا للّهِ الواحدِ القهار»[1].

متى تقوم السّاعة؟

إنَّ قيام الساعة من الأمور الغَيْبيَّةِ التي لا يعلمُها إلاَّ الله، ولم يُطْلِع عليها أحداً من خلقه، لا نَبيّاً مُرسَلاً ولا مَلَكاً مُقرَّباً.

(١) المختار من كنوز السُّنَّة ص ٢٩١.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

ولقد كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عنها، فأمره الله أن يرُدَّ عِلْمَها إليه وحدَه.

قال تعالى: ﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقد قال النبيُّ ﷺ لجبريلَ حين سأله عن الساعة: متى هي؟ «**ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل**».

ما أشراطُ السّاعة:

لقد أخفى الله علمَ الساعة عنِ الناس، وبيَّنَ أنها تقع فَجْأةً، وتأتي بَغْتةً فقال سبحانه: ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ومع هذا فَإنَّ الله تعالى برحمته قد جعل لها علاماتٍ تدُلُّ عليها وأماراتٍ تُرشد إليها.

قال سبحانه: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨].

فأشراط الساعة هي علاماتها التي تدلُّ عليها، وهذه الأشراطُ أو العلاماتُ نوعان: علاماتٌ صُغْرى، وعلاماتٌ كُبرى.

النوع الأول: علاماتٌ صُغْرى

مثل:

١ ـ بِعْثَةُ رسول الله ﷺ:

فعن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**»

ـ وأشار بالسَّبَّابةِ والوُسْطى[١]ـ .

والمعنى: أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبيٌّ آخر، فهي تليه وتأتي بعده.

٢ ـ أن تضيع الأمانة، فتكون ولاية أمور الناس بأيدٍ غير أمينة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجُلاً جاء يسأل النبيَّ ﷺ عن الساعة، فقال له: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة**»، قال: وكيف إضاعتُها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهله فانتظر الساعة**»[٢].

٣ ـ أن يُصبح رُعَاةُ الغنم من أصحاب الثروة والقصور العالية:

ففي حديث جبريل المشهور أنه سأل الرسولَ ﷺ عن الساعة؟ فقال: «**ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل**».

قال: فأخبرني عن أماراتها.

قال: «**أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وأن تَرَى الحُفَاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاء يَتَطَاوَلُونَ في البُنيان**»[٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥١) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم (٥٩)، وكتاب الرقاق (٦٤٩٦). **وُسِّدَ**: أي أُسنِدَ وجُعِلَ في غيرِ أهله، يعني إذا سُوِّدَ وشُرِّفَ غيرُ المُستحقِّ للسِّيادةِ والشرف. كما في «النهاية» ٥/ ١٨٣.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومعنى **ربَّتَها**: سيِّدَتَها ومالِكَتَها، وفي رواية: ربَّها، أي: سَيِّدها ومالكها، والمراد أن يكثرَ العقوقُ في الأولادِ، فيُعامِلَ الولدُ أُمَّهُ معاملةَ السيِّدِ أَمَتَهُ، من الإهانةِ بالسَّبِّ والضرب والاستخدام، **والعالة**: جمعُ عائلٍ، وهو الفقير كثيرُ العيال، **ورعاء**: جمع راعٍ، **والشاء**: جمع شاة.

«**وهذا كُلُّهُ من انقلاب الحقائق في آخرِ الزَّمانِ وانعكاسِ الأمور**»[١].

ومعنى هذا: «**انقلابٌ في القِيَم الاجتماعيَّة، حَتَّى إنَّ المرأة لا تلد أولاداً يَبَرُّونها، بل سادةً يَتَسَلَّطون ويَتَعالَوْن عليها.**

وانقلابٌ في القِيَمِ الاقتصاديَّة، حَتَّى يصبحَ أهل البداوةِ والجَفَاء والعُري من أصحاب القصور نتيجةَ الثرواتِ المُفاجئة التي تُصَبُّ عليهم صبّاً دون جُهْدٍ يُذْكَرُ منهم كما هو حادِثٌ في بعض الأقطار اليوم»[٢].

المناقشة

س١ ـ ما معنى الساعة؟ وما أنواعها؟

س٢ ـ متى تقوم الساعة؟

س٣ ـ كيف تقع الساعة؟

س٤ ـ ما معنى أشراط الساعة، وما أنواعها؟

س٥ ـ اذكر ثلاثاً من علامات الساعة الصغرى؟

س٦ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) لا يعلمُ أحدٌ بموعدِ الساعة.

(ب) للساعة علاماتٌ تدلُّ عليها.

(ج) بعثة الرسول ﷺ من أشراطِ الساعة.

(د) ضياعُ الأمانة من أشراطِ الساعة.

❑ ❑ ❑

---

(١) جامع العلوم والحِكَم: ١/ ١٤٠.

(٢) السُّنَّة مصدراً للمعرفة والحضارة، للدكتور القرضاوي ص ١٤٤.

الدرسُ السادس والأربعون

النوع الثاني: علاماتُ السَّاعةِ الكُبرى

حين يأذنُ الله بنهاية العالم وفناءِ الكون: تَحْدُثُ أحداثٌ عجيبةٌ خارجةٌ عن مألوفِ الناسِ تكون نذيراً لهم بقيام الساعة، ومن تلك العلاماتِ الكبرى:

١ ــ خروج المسيح الدَّجَّال:

وهو رَجُلٌ أعور مَمْسُوحُ العَين اليُمْنى، مكتوبٌ بين عينيه كافر، يدَّعي الإلـٰهيَّة، ويَفتِنُ الناسَ عن دينهم بما يظهر على يديه من خوارق العادات التي تُبْهَرُ العقول وتُحَيِّرُ الألباب، ويَتَمَكَّنُ من إضلال ضعافِ الإيمان، ويُثَبِّتُ الله الَّذينَ آمنوا، فلا يُخدَعون بأضاليله، ويزدادون بصيرةً بأمره.

وقد تكاثَرتِ الأحاديث في التَّحذير من فتنته وغَوايته.

٢ ــ نزول عيسى عليه السلام من السماء:

ينزل عيسى عليه السلام من السماء آخر الزمان أثناء وجود الدجَّال، ويكون على يديه هلاكه، ويحكم بين الناس بشريعة الإسلام، ويَكْسِرُ الصليبَ، ويَقْتُلُ الخنزير، فتمتلىء الأرض أمناً وعدلاً بعد أن مُلِئَت ظُلماً وجَوْراً، ويَعُمُّ الخير، وتُنزَعُ العداوة من قلوب الناس فلا يوجد بين اثنين عداوة.

قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾[١] [الزخرف: ٦١].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[٢] [النساء: ١٥٩].

وعن أبـي هريرة أَنَّ النبـي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لَيُوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم حَكَماً مُقسِطاً، فيكسِرُ الصليبَ، ويقتُلُ الخنزيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، ويَفيضُ المال، حَتَّى لا يقبلَهُ أحدٌ، وَحَتَّى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها**»[٣].

٣ ــ خروج يأجوج ومأجوج:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٤] [الأنبياء: ٩٦ ــ ٩٧].

والقرآن وصَفَ لنا هؤلاء القوم في قِصَّةِ ذي القرنين في سورة الكهف:

---

(١) يعني أَنَّ نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة، **فلا تمترُنَّ بها**: أي لا تشكُّون فيها.

(٢) أي ما من أحدٍ من أهل الكتاب إلَّا ليُؤمِنَنَّ بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان، وانظر: «تفسير الخازن» ١/ ٤١٤.

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٢) و (٢٤٧٦) و (٣٤٤٨) و (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥) عن أبـي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حَدَبٍ: نَشْز من الأرض، أي ارتفاع، **ينسِلون**: يسرعون النزول منَ الآكامِ والتِّلال، والمراد بهم يأجوج ومأجوج، **الوعدُ الحقُّ**: القيامة، **شاخِصَةٌ**: أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هولِ ذلك اليوم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ ﴾[١] [الكهف: ٩٣ ـ ٩٤].

فيأجوجُ ومأجوجُ أقوامٌ جاهلون مفسدون، وقد جعل ذو القرنين أمامهم سدّاً، وهذا السَّدُّ سيُدَكُّ، وسيموجُ الناسُ بعضهم في بعض إيذاناً بقرب الساعة: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩ ﴾[٢] [الكهف: ٩٨ ـ ٩٩].

ووجودهم الآن غيبٌ لا يعلمُهُ إلاَّ الله سبحانه.

٤ ـ خروجُ دابَّةٍ من الأرض تُكلِّمُ الناس:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢ ﴾[٣] [النَّمل: ٨٢].

وخروج تلك الدابَّةِ غيبٌ من الغُيوب، نُؤمنُ به، ليس لنا أن نبحثَ عمَّا وراءه من الغرائب والعجائب التي لَمْ تَرِدْ في القرآن أو السُّنَّة الصحيحة.

وخروجُ الدابَّةِ التي تُكلِّم الناس أولُ الآياتِ الأرضيَّة، كما أَنَّ طلوعَ الشمسِ من مغربِها على خلافِ عادتها المألوفة أولُ الآياتِ السماويَّة.

(١) **خَرجاً**: أي أجراً من المال.

(٢) **جعله دكَّاء**: أي أرضاً ملساء، **يموجُ في بعض**: أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم.

(٣) **وإذا وقعَ القولُ عليهم**: إذا وَجَب عليهم العذاب، **تُكَلِّمُهُمْ**: أي بكلام فصيح، وقُرِىء: تَكْلِمُهُم بتخفيف اللام، من الكَلْم وهو الجرح، فهي تكَلِّمُ المؤمنَ، وتَكْلِمُ الكافر.

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أولَ الآياتِ خروجاً: طلوعُ الشمسِ من مغربها، وخروجُ الدابَّةِ على الناسِ ضحًى، وأيُّهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثْرِها قريباً**»[١].

«أي أوّل الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجَّالُ، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ، كلُّ ذلك أمورٌ مألوفةٌ، لأنهم بشرٌ، مشاهدةُ مثلهم مألوفة، بخلافِ خروجِ الدابَّة، على شكلٍ غريبٍ غير مألوف، ثُمَّ مخاطبتها الناس، وَوَسْمها إيَّاهم بالإيمانِ أو الكفر، وكذلك طلوعُ الشمس من مغربها فأمرٌ خارجٌ عن مَجَاري العادات»[٢].

٥ ـ طلوعُ الشَّمسِ من المغرب:

فعندما تَقْتَرِبُ الساعةُ يتغيَّرُ نظامُ الكون، وتظهر فيه آياتٌ غير مألوفة للبشر على خلاف ما اعتادوه، فالشمسُ التي كانت تطلع من المشرق يراها الناس طالعةً من المغرب، فيبادرون إلى الإيمان ولكن بعد فوات الأوان. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ من مَغْرِبِهَا، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا يَنْفَعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمَنَتْ من قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً**»[٣].

وهناك **علاماتٌ أخرى** غير ما ذُكر، كظُهورِ المهدي، والدخان،

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وأبو داود (٤٣١٠)، وابن ماجه (٤٠٦٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٧٥٨.

(٣) رواه البخاري (٥٣٦٤) و (٤٦٣٦) و (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧) في كتابِ الإيمان من حديثِ أبي هريرة.

وثلاثةُ خسوف: خسفٌ بالمشرقِ، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرةِ العرب، وظهورُ نارٍ تحشر الناس[1]، وهي متقاربةٌ جدّاً يعقِبُها نهايةُ الدنيا، وموتُ جميعِ الخلائق.

المناقشة

س١ ـ اذكر خمساً من علامات الساعة الكبرى.

س٢ ـ ما صفات المسيح الدجال؟ وما أعماله؟

س٣ ـ متى يكون نزول عيسى عليه السلام؟ وما أهم أعماله؟

س٤ ـ مَن هم يأجوج ومأجوج؟ ومن الذي جعل أمامهم السَّدَّ؟ ومتى يُدَكُّ هذا السَّد؟

س٥ ـ ما أوَّلُ الآياتِ الأرضية؟ وأوّلُ الآياتِ السَّماوية؟

س٦ ـ هل ينفع الإيمان صاحبه عند طلوع الشمس من مغربها؟

س٧ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) نزول عيسى عليه السلام.

(ب) خروج يأجوج ومأجوج.

(ج) خروج دابةٍ من الأرض تكلم الناس.

□ □ □

(١) كما جاءَ في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) قال: اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذكرون»؟ قالوا: نذكرُ الساعة، فقال: «إنها لن تقومَ حَتَّى تَرَوْنَ قبلها عشرَ آياتٍ: الدخان، والدَّجّال، والدَّابّة، وطلوعُ الشمس من مَغْربها، ونزولُ عيسى ابن مريم، ويأجوجُ ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرةِ العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطردُ الناس إلى محشرهم».

الدرسُ السابعُ والأربعون

٧ ـ البعث

يبدأُ اليومُ الآخر بالبعث، وهو إخْراجُ اللّهِ تعالى الموتى من قبورهم بعد إعادة الحياة إليهم، حيث يُنشِئُهُمُ اللّهُ النَّشْأَةَ الأُخْرَى.

النَّفْخُ في الصُّور:

ويبدأُ البعث بالنَّفْخِ في الصُّور نَفْخَة البعث، فيخرج الناسُ من قبورهم لموقفِ الحساب وفَصْلِ القضاء.

يقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢[1]﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٢].

والصُّور: قرنٌ يَنفُخُ فيه إسرافيل النفخةَ الأولى فَتموتُ الخلائق جميعاً، ثُمَّ يَنفُخُ فيه مَرَّةً أخرى فيكون البعثُ وإحياءُ الخلائق من جديد.

يقول سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨[2]﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

(١) **ونُفِخَ في الصُّورِ**: هذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة البعث. **الأَجْدَاث**: القبور. **يَنْسِلُونَ**: يخرجون منها أحياء.

(٢) **فصعِقَ**: ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى.

اسْتِبْعَادُ المشركينَ للبعث:

وقد استبعد المشركون إعادةَ الحياةِ إلى الأجسادِ مرّةً أخرى، وأنكروا أن تُبعَثَ من جديدٍ بعد أن تحلَّلَتْ الأجسام، وبَلِيَتِ العِظامُ، وتحوَّلَتْ إلى تراب، كما أخبر اللّهُ تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩﴾[1] [الإسراء: ٤٩].

بل أقسموا على إنكارِ البعث: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: ٣٨].

وقد بلغ الاستبعاد والإنكار بأحدِهم أن ذهب إلى رسول الله ﷺ وبيده عَظْمٌ قد بليَ وتفتّتَ، وقال: يا محمد أترى أنَّ الله يُحيِي هذا بعد ما رُمّ؟ فقال له النبيُّ ﷺ: **«نعم ويبعثك ويُدخِلُكَ النار»**[2].

فنزل قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾[3] [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

وَرَدَّ الله سبحانه عليه بإحاطة علمه بهم، وقدرته على خلقهم: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق: ٤].

أدِلّةُ البعث:

١ ـ استدلَّ القرآن بالنَّشأةِ الأولى على النَّشأةِ الأُخْرى، وبخلق الإنسان من العَدَم أول مرة على إعادته مرّةً أخرى.

(١) **رُفاتاً**: أي تُراباً. وقيل: الرفات الأجزاء المتبقية من كل شيءٍ تكسَّر.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/٤٢٩، وصحَّحه عن ابن عباس، **رُمَّ الميْتُ**: إذا بَلِيَ، **والرِّمَّةُ**: العظمُ البالي.

(٣) **نَسِيَ خَلْقَه**: أي بَدْءَ أمرِه، **رميم**: بالية.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ﴾ [الروم: ٢٧].

٢ ـ واستدلَّ القرآن الكريم على البعث كذلك بخلق السموات والأرض ـ وهما أكبر من خلق الناس ـ كما قال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

وإنَّ كُلَّ عاقلٍ يعلمُ أنَّ مَن قدرَ على العظيم الكبير فهو على ما دونه بكثيرٍ أقدر، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أبدَعَ السموات والأرض على عِظَمِ شأنهما، وسَعَتِهما، وعجيبِ خلقِهما، ومن ثَمَّ فهو أقدر على أن يُحيي عظاماً قد صارت رميماً.

قال تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

٣ ـ واستدلَّ القرآن على البعث بإحياء الأرض الميتة الهامِدة، ينزل عليها المطر، فتهتز خضْراءَ حَيَّةً، فيها من كل زوجٍ بهيج، فالقادرُ على إحيائها بعد موتها قادرٌ على إحياءِ الموتى.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾[1] [الحج: ٥ ـ ٦].

اختلافُ أحوالِ النَّاسِ عند البعث:

والناسُ عند البعث يختلفون في أحوالِهِمْ حسب أعمالهم.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يُبعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه»**[2].

(١) **هامدة**: يابسة لا نباتَ فيها. **اهتزَّت**: تحرَّكَتْ بالنبات. **رَبَت**: ارتفعت. **زوجٍ بهيج**: صنف حسن نضير.

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

فالذين صَلَحت عقائدُهم، وحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ، وزكَتْ نفوسُهم يكونون على حال سارَّةٍ، والذين فسَدَتْ عقائدُهم، وَسَاءَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَخَبُثَتْ نُفُوسُهُمْ يكونون على حالٍ كريهة شنيعة.

المناقشة

س١ ـ متى يبدأ اليومُ الآخر؟

س٢ ـ ؟ما الصُّور؟ وماذا يحدُث في النفخة الأولى، وفي الثانية؟

س٣ ـ لماذا استبعد المشركون البعث، وبماذا ردَّ القرآن الكريم عليهم؟

س٤ ـ استدلَّ القرآن على البعث بأدِلَّةٍ كثيرة، اذكر ثلاثة منها.

س٥ ـ كيف يكون حال الناس عند البعث؟

س٦ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) نفخة الصُّور الأولى والثانية.

(ب) الاستدلال على البعث بالنَّشأة الأولى على النَّشأة الأخرى.

(ج) الاستدلال على البعث بخَلْقِ السموات والأرض.

(د) الاستدلال على البعث بإحياء الأرض الميتة.

❑❑❑

الدرسُ الثامن والأربعون

٨ ـ الحَشْر

بعد البعثِ من القبور تُحشَرُ الخلائق وتُجْمَعُ في مكانٍ واحدٍ لموقف الحساب وفَصْلِ القضاء وتنفيذ الجزاء.

والحَشْرُ حقٌّ ثابت لا شكَّ فيه، دلَّت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والدوابُّ والطيرُ وسائر العجماواتِ محشورةٌ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ليقتصَّ اللّهُ لِبَعضِها من بعض[1]، وليُقتصَّ لها من الإنسان الَّذي قسا عليها بضربٍ، أو حمَّلها ما لا تطيق،

(١) وفي الحديث الَّذي رواهُ مسلم (١٩٩٧): «لتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حَتَّى إنه ليُقادُ ـ أي يُقْتَصُّ ـ للشاةِ الجَمَّاء ـ التي لا قرونَ لها ـ من الشاةِ القرناء»، أي: تُعطى قروناً تنطحُها بها كما نطحتها القرناءُ في الدنيا.

أو قتلها ولم تكن ممَّا أُذِنَ في قتلها. وبعد انتهاء القصاص يُقال لها: كوني تراباً، فتكون. فهناك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

حالةُ النَّاسِ في مَوْقف الحَشْر:

يكون الناسُ في مَوْقفِ الحَشْرِ كما وَلَدَتْهُم أُمَّهاتُهم: حُفاةً، عُراةً، رجالاً ونساءً، لا يسترهُم شيء، والناس من هَوْل الموقف مشغولون ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«تُحشَرون حُفَاةً عُراةً غُرْلاً»**(١)، فقالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجالُ والنساءُ ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: **«الأمرُ أشدُّ من أن يُهِمَّهُمْ ذلك»**(٢).

حَشْرُ الكافرين:

ويُحشَرُ الكافر أعمى، لأنه عَميَ في الدُّنيا عن الإيمان، والجزاءُ من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾(٣) [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

---

(١) **غُرلاً**: جمع أَغرَل، والغُرلة: هي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذَّكَر، ومعنى غرلاً: أي غير مختونين كما ولدتهم أمَّهاتهم، والمقصود: أنهم يُحشَرون كما خُلِقوا لا شيءَ معهم ولا يفقد منهم شيء حَتَّى الغُرلة تكونُ معهم.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٩).

(٣) **عن ذِكري**: يعني القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه، **ضنكاً**: ضيقاً وشقاءً، =

ويحشر الكفار ـ إضافةً إلى العمى ـ بُكماً وصُمّاً، قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾(١) [الإسراء: ٩٧].

ويُسْحَبُ الكافرونَ على وُجوههم في المحشر، كَما جاءَ في الحديث عن أنس بن مالك أَنَّ رجلاً قال: يا نَبيَّ اللَّهِ؛ كيفَ يُحْشَرُ الكافرُ على وجهه؟ قال: **«أليسَ الَّذي أمْشَاهُ على رِجْلَيْهِ في الدُّنيا قادراً على أن يُمشِيَهُ على وَجْهه يومَ القيامة؟»**(٢). قال قتادة: بلى وعزَّةِ ربِّنا.

حَشْرُ المتكبرين:

ويُحشَرُ المتكَبّرون في أحقرِ صِفَةٍ وأهونِ حال، قال ﷺ: **«يُحشرُ المُتَكَبِّرُونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِ في صُوَرِ الرجال، يغشاهم الذُّلُّ من كُلّ مكان»**(٣).

= فنسيتها: فتركتها وأعرضتَ عنها، تُنسى: تُترك في النار. وينظر: «المعين» ص ٣٢١.

(١) **عمياً وبُكماً وصُمّاً**: أي لا يبصرونَ ولا ينطقون ولا يسمعون، **خَبَتْ**: سكنَ لهيبُها وهدأتْ من غير أن يوجد نقصانٌ في إيلام الكفار، لأن الله سبحانه قال: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾. **سعيراً**: وقوداً.

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٣) في كتاب الرِّقاق، ومسلم (٢٨٠٦) في كتاب صفات المنافقين.

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٤) في كتابِ صفةِ القِيامة، وقال: حسنٌ صحيح، **والذرُّ**: النمل الأحمرُ الصَّغير، واحدَتُها ذرَّة.

من أهوال الموقف(١)

إنَّ لِمَوقِفِ الحسابِ وفصل القضاء لأهوالاً وشدائدَ، ومن صُوَرِ الهول والكَرْبِ يوم القيامة:

١ ـ دُنُوُّ الشَّمْسِ من رؤوس الخلائق:

ويغوص الناس في عرَقِهِم حَتَّى يُلجِمَ العرقُ بعضهم إلجاماً.

عن المِقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ اللّـه ﷺ يقول: «**تُدْنَى الشَّمسُ يومَ القيامة من الخَلْق، حَتَّى تكونَ منهم كمقدارِ ميل**(٢)**، فيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالهم في العَرَقِ؛ فمنهم من يكون إلى كَعْبَيْهِ، ومنهم من يكون إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه**(٣)**، ومنهم من يُلْجِمُهُ**(٤) **العرقُ إلجاماً**»، وأشار رسول الله ﷺ بيَدِهِ إلى فيه(٥).

٢ ـ طولُ الموقف:

وممَّا يزيدُ الموقف هَوْلاً وَفَزَعاً، وضِيقاً وحَرَجاً: أنه يطولُ حَتَّى يتمنَّى الناس انصرافهم ولو إلى النار.

---

(١) **الموقف**: المكانُ الَّذِي يقفُ فيه الإنسان، **والمراد به**: المكان الخاصُّ الَّذِي أعدَّهُ اللّـهُ تباركَ وتعالى لحشْرِ الناسِ لحسابهم وفَصْلِ القضاءِ بينهم.

(٢) قال سُلَيْم بن عامِر الحِمصي راوي الحديث عن المقداد: فواللّـهِ ما أدري ما يعني بالميل؟ أَمَسافةَ الأرض أم الميل الَّذِي تكتحل به العين؟ ينظر: «شرح النووي على مسلم» ١٨/ ١٩٦.

(٣) **حَقويه**: تثنية حقو، وهو مَعقِدُ الإزارِ عند الخاصرة.

(٤) **يُلجمه العرق**: أي يَصِلُ إلى أفواههم، فَيَصيرُ لهم بمنزلةِ اللجام الَّذِي يوضعُ في فم الدابة، يمنعهم من الكلام.

(٥) رواه مسلم (٢٨٦٤) في كتاب الجنة وصفة نعيمها.

وفي هذا الكرب الشديد يتجلَّى اللّـهُ على عباده المؤمنين الصَّادقين، فيُخفِّف عليهم هول الموقف وشدَّته.

ولَمَّا ذَكَرَ النبـيُّ ﷺ طول الموقف «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، قالوا: يا رسول الله ما أَطْوَلَ هذا اليوم! فقال النبـيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده: إنه ليُخَفَّفُ على المؤمن، حَتَّى يكون أخفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبة يُصَلِّيها في الدنيا**»(١).

وكُلَّما طالَ قيامُ المؤمن لله عزَّ وجَلَّ قلَّ قيامه وتعبه في ذلك اليوم، وكلَّما قصر إقباله وقيامه في طاعة الله طالَ قيامه وتعبه في ذلك اليوم.

ويُنَجِّي اللّـهُ سبحانه من هَوْلِ ذلك الموقف أُناساً صَدَقُوا الله سبحانه، فيُظلُّهم في ظلِّ عرشِه.

قال ﷺ: «**سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللّـهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظلُّه: إمامٌ عادل، وشابٌ نشأ في عبادة الله عزَّ وجَلّ، ورجلٌ قلبُهُ مُعلَّقٌ في المساجد، ورَجُلانِ تَحَابّا في الله اجتمعا عليه، وتَفَرَّقَا عليه، وَرَجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فقال: إني أخاف اللّـه ربَّ العالمين، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخفاها حَتَّى لا تعلمَ شِمالُه ما تُنفقُ يمينُه، ورجلٌ ذَكَرَ الله خالياً ففاضَتْ عيناه**»(٢).

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٧٥، وأبو يعلى (١٣٩٠) من حديث أبـي سعيد الخدري، وقال الحافظ الهيثَمي ١٠/ ٣٣٧: رواهُ أحمد وأبو يعلى وإسناده حسنٌ على ضعفٍ في راويه.

(٢) رواهُ البخاري في كتاب الأذان (٦٦٠)، والزكاة (١٤٢٣)، والحدود (٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٣١) من حديثِ أبـي هريرة رضي الله عنه.

في ظِلِّه: الإضافةُ إضافةُ تشريفٍ كما قيل للكعبة: بيتُ الله، وقيلَ: المرادُ ظِلُّ عرشِهِ، **دعته**: أي إلى الفاحشة.

المناقشة

س١ ــ أين يُجمَعُ الناسُ بعد البعث؟ ولماذا؟

س٢ ــ ما حكم الإيمان بالحشر؟ وما الأدِلَّةُ عليه؟

س٣ ــ هل الحشرُ يقتصرُ على الإِنْسِ والجِنّ؟

س٤ ــ ما الحكمةُ من حَشْرِ الدَّوابِ والطيرِ والعَجْماوات؟ وما مصيرها بعد ذلك؟

س٥ ــ كيف تكونُ حالةُ الناسِ في موقفِ الحشر؟

س٦ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) حشر الكفار بُكماً وصُمّاً.

(ب) دُنُوُّ الشمس من رؤوس الخلائق.

(ج) حَشْرُ النَّاس حُفاةً عُراةً.

س٧ ــ أكمل الأدلة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه.

(أ) ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ....

....﴾.

(ب) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ....

....﴾.

(ج) «سبعةٌ يُظِلُّهُم اللَّـهُ في ظِلِّه ....

....».

❑ ❑ ❑

الدرسُ التاسعُ والأربعون

الحَوْض والشَّفاعةُ العُظمى

٩ ــ الحوض

الحوض في اللغةِ: مَجْمعُ الماء.

والمراد به: حوضُ نبينا محمد ﷺ.

وهو حقٌّ وثابت[١]؛ فقد أعطى اللَّـهُ نبيَّنا محمداً ﷺ نهراً في الجنة يُسمَّى (الكوثر)، ويَصُبُّ ميزابان منه على أرضٍ في الموقف فيسمَّى ذلك المكان الحوض.

والحوضُ هو أولُ ما يتَّجِهُ إليه الخلق بعد البعث، لأنهم خرجوا من قبورهم عِطَاشاً، فيَرِدونَ حياضَ الأنبياء، لأنَّ لكلِّ نبـيٍّ حوضاً كما قال ﷺ: «**إنَّ لكلِّ نبـيٍّ حَوْضاً، وإنَّهم يَتَباهَوْنَ أيُّهُم أكثرُ واردةً، وإني أرجو أن أكونَ** أكثرهم وَارِدَةً»[٢].

---

(١) وردَ من رواية بضعة وخمسين صحابياً منهم: الخلفاء الأربعة وحفَّاظ الصحابة، فأحاديث الحوض متواترة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان.

(٢) رواهُ الترمذيُّ (٢٤٤٥) من حديثِ سَمُرَةَ بنُ جُندب، وقال: هَذَا حديثٌ غريب. الواردةُ: القومُ يَرِدونَ الماء.

صِفَةُ الحوض:

ورد في وصفه أحاديثُ كثيرة منها قوله ﷺ: «**حَوْضي مسيرةُ شهر، ماؤُهُ أبيضُ من اللبن، وريحُهُ أَطْيَبُ من المِسْك، وكيزَانُهُ كَنُجُومِ السماء، مَن شَرِبَ منه لا يظمأ أبداً**»[1].

مَنْ يَرِدُ الحوض، ومَن يُحْرَمُ من وروده:

وَرَدَ أَنَّ الذين يَرِدُونَ الحوضَ هم المؤمنون الصادقون، السائرون على نهج رسول الله ﷺ، الذين لَم يُغيِّروا، ولم يُبدِّلوا، ولم يُحْدِثوا في دين الله ما ليس منه.

وأنَّ الذين يُحْرَمون من وُرود الحوض هم الذين أحدَثوا بعدَ رسول الله ﷺ واتَّبَعوا نهجاً غيرَ نهجه، وأبعدوا الدين عن واقع الحياة، كالمنافقين والمُرتَدين.

قال رسول الله ﷺ: «**إني فَرَطُكُمْ**[2] **على الحوض، مَنْ مرَّ عليَّ شَرِبَ، ومَنْ شَرِبَ لم يَظْمَأ أبداً، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرِفُهُمْ ويَعرِفُوني، ثُمَّ يُحَالُ بيني وبينهم، فأقول: إنَّهم أُمَّتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بَعْدَك، فأقول: سُحْقاً سُحْقاً**[3]**، لِمَن غيَّرَ بعدي**»[4].

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٠٩٣)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٢)، ومعنى كيزانه: جمع كوز، وهو إناء بعروة يُشرب به الماء.

(٢) **فَرَطُكُم**: الفَرَطُ هو الذي يَتَقَدَّم على الواردين ليُصلح لهم الحياض والدِّلاء ونحوها من آلات الاستقاء، والمعنى: أنا سابقكم إلى الحَوْض كالمُهيِّىء له.

(٣) قوله: **سُحقاً سُحقاً**: أي بُعْداً بُعداً. **ومكان سحيق**: بعيد.

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٨٣)، وفي كتاب الفتن (٧٠٥٠).

«فمن كان يرجُو أن يكونَ من الواردين على حوضِ النبي ﷺ فعَلَيه أن يتَّبع رسول الله ﷺ فيما جاءَ به، وليعمل بشريعَته ﷺ، وعلى قَدْرِ ورود الإنسان شريعةَ رسول الله ﷺ وتَحَقُّقِهِ بها، وعملِهِ بمقتضاها سوف يكونُ ورودُه على حوضه ﷺ يوم القيامة»[1].

* * *

١٠ ـ الشَّفاعة

معنى الشفاعة:

«الشفاعة في الأمرِ: هي أن تلتمسه ممَّن هو في يده، لا لنفسك، بل لشخصٍ ثالث، وهي مأخوذةٌ من الشَّفعِ[2] بمعنى الضَّم، لأنَّ الشفيعَ يضُمُّ صوتَهُ في الطلب إلى صوتِ صاحبِ الحاجة، مَعُونَةً له على تحصيل مرغوبه.

وليس كلُّ أحدٍ ينتهضُ لهذه المُطالَبة، بل لا ينتدب لهذا الموقفِ عادةً إلَّا مَن له عند المسؤول وسيلةٌ أو عهدٌ عنده، ليستطيعَ تغيير إرادته، وتبديل حكمه.

أما الشَّفاعة عند الله تعالى يوم القيامة فإنها وإن لم يقُم بها إلَّا المُقرَّبون إليه، لكنها لا تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئاً، وإنما هي مظهر تكريمٍ للشافعين بإجراء الإحسان على أيديهم لمن أراد الله الإحسان إليه، فلا يشفعون إلَّا لمن ارتضى، ولا يتكلَّمون إلَّا لمَنْ أَذِنَ له الرحمن، ورضي له قولاً»[3].

(١) الإيمانُ بعوالِمِ الآخرة، للعلامة الشيخ عبد الله سراج الدين ص ١٧٨.

(٢) وأمَّا طلبُهُ للنفس فيُسَمَّى شُفْعَة ـ بالضَّمِّ ـ.

(٣) المختار من كنوز السنة، للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٧٣.

ولكلِّ نبيٍّ شفاعةٌ في أمَّتِهِ، وللرسول الأكرم ﷺ نوعٌ من الشفاعة اختصَّهُ الله به من بين الرُّسُلِ إكراماً وإعلاءً لقدره، وهي:

الشَّفاعةُ العُظمى:

هي شفاعة النَّبيِّ ﷺ التي أكرمه الله بها لانصراف الناسِ جميعاً من زِحامِ المحشر وشدائده، وإراحتهم من هَوْلِ الموقف وطولِ الانتظار، حين يصيبُ الناسَ من الكرب والبلاء ما يُصيبهم، وتدنُو الشمسُ من رؤوسهم، ويُلْجمهم العرقُ حَتَّى يبلغَ أفواهَهُم، فيَتَمَنَّوْنَ الانصرافَ ولو إلى النار، حينذاك ينطلقُ الناس إلى الأنبياء، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله، ليُريحوهم من موقفهم ويفصلوا بينهم: فيتدافعونها، آدم عليه السلام وأُولو العزم من الرُّسُل، كلٌّ منهم يقول: «**لستُ هناكم**»[1] إلى أن يصلوا إلى نبيِّنا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها، أنا لها**»، وَيَخِرُّ ساجداً تحت العرش، فيقال له: «**يا محمد ارفعْ رَأْسَكَ، وقُل يُسْمَع لك، وسَلْ تُعْطَه، واشْفَعْ تُشَفَّع**»، فتلك هي الشفاعة العُظْمى[2]، والمقامُ المحمود[3] الذي يغبطه عليه الأوَّلُون والآخِرون. وهناك شَفَاعاتٌ أخرى سنتحدَّث عنها في الدرس القادم.

---

(١) كناية عن أَنَّ منزلته دون المنزلة المطلوبة، يقولون ذلك تواضُعاً وإكباراً لما يُسألونه.

(٢) تواتر حديث الشفاعة عن النبي ﷺ، فرواه عددٌ جَمٌّ كبير، وينظر: فتح الباري ١١/ ٤٣٣ ــ ٤٤١، و «شرح المواهب» للزرقاني ٨/ ٣٧٠ ــ ٣٨٢.

(٣) قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. والمقام المحمود: هو مقام الشفاعة العظمى، لأنه يحمده فيه الأوَّلونَ والآخرون.

المناقشة

س١ ــ ما المراد بالحوض؟ وما حكمُ الإيمان به؟

س٢ ــ أينَ مكانُ الحوض؟ ومتى يتَّجِهُ الناسُ إليه؟

س٣ ــ ما صفةُ الحَوْض؟

س٤ ــ مَن الذين يَردون الحوض؟ ومن الذين يُحرَمون من وروده؟

س٥ ــ ما المراد بالشفاعة؟ وما أعظم أنواعها؟

س٦ ــ أكمل الأدلة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشدُ إليه؟

(أ) «إِنَّ لكل نبيٍّ حوضاً، .... ».

(ب) «حوضي مسيرة شهر، .... ».

(ج) «إنِّي فرَطُكُمْ عَلَى الحَوض .... ».

❑ ❑ ❑

الدرس الخمسون

أنواعُ الشَّفاعة وشروطها

الشَّفاعة العظمى هي أُولى الشفاعات، وهي خاصَّة بنبيِّنا محمد ﷺ، وتكون لخلاصِ الناس مِمَّا هُم فيه من كربِ الموقف لفَصْل القضاء كما تقدَّم.

وهناك أنواع أخرى للشفاعاتِ الخاصَّة لرسول الله ﷺ، وكلُّها تكونُ لأُمَّتِهِ ﷺ، وهي:

١ ــ شفاعته ﷺ في إدخال قومٍ من المؤمنين الجنَّة بغير حساب.

٢ ــ شفاعته ﷺ في قومٍ اسْتوجَبوا دُخولَ النار فيشفعُ لهم عند الله فلا يدخلونها.

٣ ــ شفاعته ﷺ في إخراج عُصاة المؤمنين من النار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي»**(١).

(١) رواهُ الإمامُ أحمد ٣/ ٢١٣، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) من حديث أنس، والحديث صحيحٌ بطُرُقه وشواهده.

وعن عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه عن النبـي ﷺ قال: **«يَخْرُجُ أقوامٌ من النار بشفاعة محمدٍ ﷺ يُسَمَّون الجَهَنَّميين»**(١).

٤ ــ شفاعته ﷺ لقومٍ من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم.

أقسام الشُّفعاء:

لِغَيْـرِ رسـولِ الله ﷺ مـن النَّبيين والملائكـة والصِّـدِّيقين والشُّهـداء والصَّالحين شَفَاعاتٌ بقدر منزلتهم من ربِّهم سبحانه، وقد ثبتت هذه الشَّفاعات بما جاءَ في الحديث الصحيح، وفيه قوله ﷺ: **«فيقول الله عزَّ وجَلَّ: شَفَعَتِ المَلائكةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّون، وَشَفَعَ المؤمنون، ولم يبقَ إلَّا أرحمُ الراحمين، فيَقْبِضُ قَبْضَةً من النارِ، فَيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حِمَماً»**(٢) ــ أي: صاروا فحماً ــ.

وأذكر بعض الشفعاء المقبولة شفاعتهم عند الله سبحانه:

١ ــ شفاعة الأنبياء الآخرين غير نبينا محمد ﷺ، كما دلَّ عليه الحديث السابق.

٢ ــ شفاعة الملائكة، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

٣ ــ شفاعةُ الشُّهداء الَّذِينَ قُتِلوا في سبيلِ الله تعالى. قال ﷺ: **«يشفعُ الشهيدُ في سبعين من أهلِ بيته»**(٣).

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٦٦).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، وقوله: «لم يعملوا خيراً قط»، أي: سوى الشهادتين، ولولاهما لَما خرجوا من النار، كشأنِ غيرهم من الكفار.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٢) في الجهاد.

٤ ــ شفاعة الولدان في آبائهم وأُمَّهاتهم إذا احتسبوهم عند الله. قال ﷺ: «لا يموتُ لمسلمٍ ثلاثةٌ من الوَلَدِ فيَلِجَ النَّارَ إلاَّ تَحِلَّةَ القسَم»(١).

٥ ــ شفاعةُ القرآنِ العظيم، قال ﷺ: «القرآنُ شافعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جعَلَهُ أمامَهُ قادَهُ إلى الجنَّةِ، ومَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقه إلى النار»(٢).

شروط الشفاعة:

لا تتحقَّق الشفاعة إلاَّ بشرطين اثنين:

الأول : أن يأذنَ اللّـهُ للشافع في أن يشفع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني : أن يرضى الله عن المشفوعِ له، ولا يرضى إلاَّ لِمَن كان قد مات على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ولا يرتضي اللّـهُ الشفاعةَ لكافرٍ لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨].

وقد جمعَ اللّـهُ سبحانه بينَ الشرطين: الإذن والرضَا، فقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩].

---

(١) رواه البخاري (١٢٥١) في الجنائز، ومسلم (٢٦٣٢) في البر. وقوله ﷺ: «تَحِلَّةَ القسم»، أي ما ينحلُّ بِهِ القسم، إشارة إلى القسَمِ المُقدَّرِ في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١]، أي النار.

(٢) رواهُ ابن حِبَّان في صحيحه ١/ ٣٣١ (١٢٤) عن جابرِ رضي الله عنه، وقال المنذريُّ: إسنادُهُ جيِّد. ومعنى قوله: «ماحِلٌ»، أي: مدافعٌ ومجادلٌ.

المناقشة

س١ ــ اذكر ثلاثةً من أنواع الشفاعة الخاصَّة لرسول الله ﷺ.

س٢ ــ اذكر أربعةً من الشفعاء المقبولةِ شفاعتهم عند الله سبحانه.

س٣ ــ ما شروطُ الشفاعةِ مَعَ الدليل.

س٤ ــ أكمل الأدِلَّةَ الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) «يخرجُ أقوامٌ من النار .... ».

(ب) «القرآن شافعٌ .... ».

(ج) «لا يموتُ لمسلمٍ ثلاثة .... ».

س٥ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) شفاعة الأنبياء.

(ب) شفاعة الملائكة.

(ج) شفاعة الشهداء.

❑ ❑ ❑

الدرس الحادي والخمسون

الحسَاب والشهود

١١ـ الحسَاب

وهو: محاسبةُ العبادِ قبل انصرافهم من الموقف على ما كان منهم في الدنيا خيراً كانَ أو شرّاً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦ ﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦].

كيفية الحساب:

الله سبحانه وتعالى هو الذي يُحاسبُ ويحكمُ في هذا اليوم.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١].

فاللَّهُ تعالى هو الذي يُحاسب الناسَ جميعاً بنفسه وبدون واسطة.

قال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلَّا سَيُكلِّمُهُ ربُّهُ ليس بينَه وبينَه تَرْجُمَان**»[١].

وقد حدَّث الإمام عليٌّ رضي الله عنه بهذا الحديث فقيل له: يا أميرَ

(١) رواه البخاري في كتاب الرِّقاق (٦٥٣٩) عن عدي بن حاتم الطَّائي رضي الله عنه.

المؤمنينَ: كيف يُحَاسِبُ اللَّهُ الناسَ كلَّهم في وقتٍ واحد؟ فقال: كما يرزقهم في آنٍ واحد.

والحساب على نوعين يوم القيامة:

١ ـ **حسابٌ يسير**، وهذا هو العَرْضُ، وهو خاصٌّ بالمؤمنين النَّاجين، وذلك بأن تُعْرَضَ عليهم أعمالهم التي كانوا قد عملوها في الدنيا، ويُعرَّفُ المؤمن بالمعصية، ويُذَكَّرُ بالنِّعَم، ثُمَّ يُتجاوَزُ عنه.

٢ ـ **حسابٌ عسير**، وهو حسابُ الشِّدَّةِ والمناقشة والتَّدقيقِ لِكُلِّ صغيرٍ وكبيرٍ من العمل، ولكلِّ كثيرٍ وقليلٍ من النِّعَم، وهذا النوعُ من الحسابِ للكافر والمنافق والفاجر.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامةِ إلَّا هَلَكَ**»، فقلتُ: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، فقال ﷺ: «**إنما ذلك العَرْضُ، ولَيْسَ أحدٌ يناقَشُ الحسابَ يوم القيامة إلَّا عُذِّب**»[١].

الأَدِلَّةُ على دِقَّةِ الحساب:

اللَّهُ سبحانه مُتَّصِفٌ بالعدلِ المُطلق، مُنزَّهٌ عن الظلم، وقد شاءَ سبحانه لكمالِ عدله أن يُظهر لكلِّ شخصٍ عمله بما يقطع حُجَّته، كما قال

(١) رواه البخاري (٦٥٣٧)، ومسلمٌ (٢٨٧٦)، والمرادُ بالمناقشةِ: استقصاءُ الحساب.

تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

ومن الأدِلَّةِ على دقةِ الحساب: الشُّهود، وصحفُ الأعمال، ووزنها.

* * *

١٢ـ الشُّهود

وهذا من تمامِ إظهارِ العدل الإلهي في هذا الموقفِ العظيم، فَإِنَّ الله عزَّ وجَلَّ يستشهدُ على المُذنِبينَ قبل إدانَتِهم، معَ عِلْمِهِ عزَّ وجَلّ القاطع بما عملوا.

ومن هؤلاءِ الشهود:

١ ـ الأنبياءُ عليهمُ السلام:

يشهدونَ على أُمَمِهِمْ بالبلاغ وإقامةِ الحُجَّة، ويشهدون لِمَن آمنَ بالإيمان، وعلى مَن كفرَ بالكفر، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٤]، فيشهدُ كلُّ نبيٍّ على أمَّتِهِ، وأمَّةُ محمد ﷺ يكونون شهداء للرُّسُلِ على أُمَمِهِم أنهم قد بَلَّغُوهم عن الله ما أُرسِلوا به.

٢ ـ الملائكة:

الَّذينَ سجَّلوا الأعمالَ وشهدوا المعاصي، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، أي: «مَلَكَان أحدهما يسوقه إلى الحشر، والآخر يشهد عليه بعمله»(١).

---

(١) «تفسير النسَفي» ٤/١٧٦.

٣ ـ شهادة الأرض:

وفي موقف الحساب تشهد الأرض على كل مخلوق ما أحدث عليها من خيرٍ أو شَرّ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

فقال: «**أتدرون ما أَخْبَارُهَا؟**».

قالوا: اللَّـهُ ورسولُه أعلم.

قال: «**فَإِنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظهرها، بأن تقول: عَمِلَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا**». قال: «**فهذه أخبارها**»(١).

٤ ـ جَوارحُ الإنسان:

وكما تُحدِّثُ الأرضُ عن أخبار الناس وتَشْهدُ عليهم، كذلك تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلُهم وسمعُهُم وأبصارهم وجلودهم عندما يماري الإنسانُ ولا يرضى إلَّا شاهداً من نفسه.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقالَ سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

---

(١) رواه أحمد ٢/٣٧٤، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٤٢٩)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب.

س١ ــ ما الحساب؟ ومتى يكون؟ وما كيفيّـته؟

س٢ ــ كم نوعاً يكونُ الحسابُ يومَ القيامة؟

س٣ ــ اذكر ثلاثة أمور تدلُّ على دِقَّةِ الحسابِ يومَ القيامة.

س٤ ــ اذكر أربعةً من الشهود الَّذِينَ يشهدونَ يومَ القيامة.

س٥ ــ بماذا يشهد الأنبياءُ عليهم السلام يومَ القيامة؟

س٦ ــ أكمل الأدلة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) «ما منكم من أحدٍ . . . .».

(ب) «ليس أحدٌ يحاسَبُ يوم القيامة . . . .».

(ج) «أتدْرونَ ما أخبارها . . . .».

س٧ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) شهادة الرُّسُل.

(ب) شهادة الملائكة.

(ج) شهادة جوارح الإنسان.

❑❑❑

الدرس الثاني والخمسون

١٣ ــ نَشْرُ الصحفِ وتَنَاوُلُها

في موقفِ الحساب تُنشَرُ لِكل إنسانٍ صحائفُ عَمَلِهِ ويتناولها، قد أُحصِيَ له أو عليه فيها كُلُّ صغيرة وكبيرة بواسطة الملائكة الكِرام الكاتبين، كما يقول تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ــ ١٢].

وهذه الصحائفُ التي دُوِّنَت فيها الأعمالُ لا تترك شاردةً ولا واردةً منذُ بلوغِهِ إلى وفاته إلاَّ دُوِّنَت فيها.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وحين يتناولُ الإنسانُ كتابهُ يُؤْمَرُ بقراءَته، ويقرأ من لم يكن يقرأ في الدنيا، كَمَا يقول الله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾[1]﴾ [الإسراء: ١٣ ــ ١٤].

(١) طائِرَه: أي عمله الذي طارَ عنه من خيرٍ وشر، وإنما خُصَّ العُنُقُ من بين سائر =

كيف يتناولون صحائفهم؟

تُوَزَّعُ الكُتُب على أصحابها، أمَّا المؤمن فيأخذ كتابَه بيمينه، فيفرح ويَسْتَبْشِر، ويقول: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾[1] [الحاقة: ١٩].

وأمَّا الكافر فيأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، فيحزن قلبُه، وتذوب نفسُه حَسَرَاتٍ، ويصيح: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٧].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾[2] [الانشقاق: ٧ ـ ١٢].

عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكَرَتِ النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يبكيكِ؟**» فقالت: ذكرتُ النار فبكَيْتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**أمَّا في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزانِ حَتَّى يعلم أيخِفُّ ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصُّحف حَتَّى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصِّراط إذا وُضِعَ بين ظهراني جهنم**»[3].

= الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والأغلال، مما يزين أو يَشين، فإن كان عمله خيراً كان له كالقِلادة أو الحُلِيّ في العُنُقِ، وهو مما يُزينه، وإن كان عمله شرّاً كان له كالغِلِّ في عنقه، وهو مما يَشينه.

(١) **هاؤم**: اسم فعل أمر بمعنى خُذوا.

(٢) **الثبور**: الهلاك.

(٣) رواه أبو داود في كتاب السنَّة (٤٧٥٥).

أحوالُ الخلقِ عند تناوُلِ الكُتُب:

والخلق عند تناول الكُتُب على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: هم الآخِذونَ كُتُبَهُمْ بأيْمَانهم، وهمُ المؤمنون السُّعَداء.

الصنف الثاني: الآخِذونَ كُتُبَهُمْ بشَمائِلِهم، وهمُ الذينَ لم يؤمنوا باللّٰه العظيم، ولم يَحُضُّوا على طعامِ المسكين، ومِن هذا الصنف: الملاحِدة والمشركون، والمتكبِّرون على الله تعالى، والمنافقون الَّذِينَ أظهَروا الإسلام وأضْمَروا الكفر.

الصنف الثالث: الَّذينَ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بشَمَائِلِهم منْ وراءِ ظهورهم، وهمُ الَّذِينَ أُوتوا كتابَ الله تعالى في الدنيا فَنَبذوه وراءَ ظهورِهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، فإذا كان يومُ القيامة قبل لأحدِهِمْ: خذ كتابكَ من وراءِ ظهرك[1].

المناقشة

س١ ـ **من الَّذِي يقوم بكتابة صحف الأعمال؟ مع الدليل.**

س٢ ـ **ماذا دوِّن في الصُّحف؟ مع الدليل.**

س٣ ـ **بماذا يُؤْمرُ الإنسانُ عندما يتناول كتابه؟ مع الدليل.**

س٤ ـ **كيف يتناول الناس صحف أعمالهم؟ مع الدليل.**

س٥ ـ **ما المواطن الثلاثة التي لا يكلّم فيها أحدٌ أحداً؟ مع الدليل.**

س٦ ـ **ما أحوال الخلق عند تناول الكتب؟**

❑ ❑ ❑

(١) ينظر تفصيل ذلك في كتاب «الإيمان بعوالم الآخرة»، للعلامة الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

الدرس الثالث والخمسون

١٤ـ وزنُ الأعمال

في موقف الحساب يَنصُبُ اللّـهُ سبحانه الموازين، لِيَزِنَ أعمال العباد التي أحصاها عليهم، حَتَّى يأخذَ كلُّ واحدٍ جَزاءَ ما عمل من خيرٍ أو شرٍّ في دِقَّةٍ كاملة، حَتَّى مقدار مثاقيل الذَّر والخردل، وبذلك تتمُّ العدالة الإلـٰهيَّة[1].

والموازين مُتعدِّدَة كما ذَكَرَ اللّـهُ تعالى في كتابه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا[2]﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والله سبحانه يُحصي أعمال العباد فيحضرها للوزن والحساب.

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا

(١) ويكونُ الوزنُ بعد الحساب وتَسَلُّم الكتب، وإنما كان الوزن بعد الحساب، لأنَّ الحساب لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسَبِها، «التذكرة» ص ٣٠٩.

(٢) **الموازين**: جمع ميزان، والذي عليه أئمة السلف أنَّ الله سبحانه يضع الموازين الحقيقية، ويزِنُ بها أعمالَ العباد، وأكثر الأقوال أنه ميزانٌ واحد له كفَّتان ولسان، وإنما جُمِعَ لاعتبار تعدُّدِ الأعمال الموزونة به، **القسطَ**: ذوات العدل فلا يقع فيها ظلمٌ ولا نقصٌ ولا بخس، **ليوم القيامة**: أي لأهلِ يومِ القيامة.

حَٰسِبِينَ ۝٤٧[1]﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

والمؤمن الصَّادق يحرصُ على ما يرجح ميزانَه من أقوالٍ طيبَةٍ، وأعمالٍ صالحة، وأخلاقٍ حسنة، قال ﷺ: «**كَلِمَتانِ حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحانَ الله وبحمده، سبحانَ الله العظيم**»[2].

وقال ﷺ: «**ما مِن شيءٍ أثقلُ في ميزانِ المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن**»[3].

أحوالُ الخَلْقِ في وَزْنِ الأعمال:

والخَلْقُ يكونون عند وزنِ الأعمال على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: هم الَّذِينَ ثَقُلَت موازينهم، ورَجَحَت حسناتهم على سيئاتهم، وهؤلاء هم أصحابُ الجنة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ ـ ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

(١) أي لا ينقص من إحسانِ محسنٍ، ولا يُزادُ في إساءة مسيء، والمراد **بالحبة**: الجزء اليسير من الخردل، ومعنى **أتَيْنا بها**: أحضرناها.

(٢) رواهُ البخاري (٧٥٦٣) في كتابِ التوحيد، وهو آخر حديث في جامعه الصحيح، ومسلم (٢٦٩٤) في كتاب الذِّكْر والدعاء.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٩٩) في الأدب، والترمذي (٢٠٠٣) في البر والصلة.

الصنف الثاني: هم الَّذِينَ خَفَّتْ موازينهم، ورجَحَت سَيِّئاتهم على حسناتهم، وهؤلاءِ هم أصحاب النار.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾(١) [القارعة: ٨ ــ ١١].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩].

الصنف الثالث: هم الَّذِينَ اسْتَوَتْ حَسَناتُهم وسيِّئاتهم، وهؤلاء هم **أهل الأعراف** الَّذِينَ ينظرون إلى أهل الجنة، ويطمعون أن يكونوا معهم، وينظرونَ إلى أهل النَّار، فترتجف أفئدتهم خوفاً من أن يؤولوا إليها.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤٧ ﴾(٢) [الأعراف: ٤٦ ــ ٤٧].

---

(١) **فأمُّهُ هاوية**: أي مسكنه ومأواه النار، وقيل معناه: أمّ رأسه، **هاوية**: من أسماء النار، وهي المَهْوَاةُ التي لا يُدرَكُ قَعرُها، فيَهوونَ فيها على رؤوسهم، وأصلُ (الهُوِيُّ) السقوطُ من عُلوٍ إلى سُفْل.

(٢) **الأعراف**: مفردها عُرْف، وهو ما ارتفع من الأرض، والمراد به هنا الشُّرَفُ التي على السُّور الَّذِي يضربه الله بين الجنة والنار، ثُمَّ يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته، لأنه ليس في الآخرة دارٌ إلَّا الجنة أو النار، **يعرفون كلًّا بسيماهُم**: يعني أنَّ أصحابَ الأعرافِ يعرفونَ أهلَ الجنة بعلاماتهم، وذلك ببياضِ وجوههم، ونضرة النعيم عليهم، ويعرفون أهل النار بعلاماتهم وذلك بسَوَادِ وجوههم، **والسيما**: العلامة الدالة على شيء، وأصله من السِّمَة.

س١ ــ لماذا ينصب الله سبحانه الموازين يوم القيامة؟

س٢ ــ ما الأقوال والأعمال والأخلاق التي ترجّح ميزان المؤمن يوم القيامة؟

س٣ ــ ما أحوالُ الخلق عند وزن الأعمال يوم القيامة؟

س٤ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) الله سبحانه يُحصي أعمال العباد ويحضرها للوزن.

(ب) الموازين مُتعددَةٌ يومَ القيامة.

(ج) الَّذين خَفَّت موازينهم هم أصحاب النار.

س٥ ــ أكمل الأدلة الآتية، ثُمَّ اذكر ما تُرشد إليه:

(أ) ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ .... ﴾.

(ب) «كلمَتان حبيبَتان إلى الرحمن ....».

(ج) «ما مِن شيءٍ أثقلُ في ميزان المؤمن ....».

❑ ❑ ❑

الدرسُ الرابع والخمسون

١٥ـ الصِّراط

تعريفه:

هو جِسْرٌ ممدودٌ على ظهر جهنَّم، أوَّلُهُ في أرضِ المحشر، وآخِرُهُ على باب الجنة، يمرُّ عليه الأوَّلون والآخِرون، بعد انصرافهم من موقف الحساب، فأهل الجنَّةِ يَمُرّونَ عليه وهُم مُتَّجهون إلى الجنَّة، وأهل النار يسقطون فيها.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾[1] [مريم: ٧١ ــ ٧٢].

أوَّلُ مَن يمرُّ عليه:

وأوَّلُ مَن يَمُرُّ عليه سيدُ الخلائق محمدٌ ﷺ وأُمَّتُه، بَرُّها وفاجرها.

أما الأبرار المُتَّقون: فَيُنَجِّيهم اللّهُ تعالى ويَجُوزون الصِّراطَ بسلام.

(١) **وارِدُها**: الورد موافاةُ المكان، ومعنى الورود هنا: الدخول، والضمير عائد إلى النار، فيدخلها البَرُّ والفاجر، ثُمَّ يُنَجِّي الله الذين اتقوا منها، **حتماً مقضِيّاً**: أي: قضاءً لازِماً قضاهُ الله تعالى عليكم وأوجَبَه، **جِثِيّاً**: جاثين على الرُّكَب.

وأما الفُجّارُ فيتهافتون في النار عن يمينٍ وشمالٍ تهافُتَ الفَرَاش.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«ويُضْرَبُ الصِّراطُ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّم، فأكونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجيز[1]، ولا يَتكَلَّمُ يومئذٍ أحدٌ إلَّا الرُّسُلَ، ودعوى الرُّسُلِ يومئذٍ: اللّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»**[2].

صفةُ الصِّراط وأحوالُ الناس عليه:

الصِّراط أَحَدُّ من السيف، وأدَقُّ من الشعرة[3]، وتختلف أحوالُ الناس عليه بحسب أعمالهم.

فمنهم من يَمُرُّ عليه كَلَمْح البصر، ومنهم مَنْ يَجُوزُه كالبَرْقِ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالريح، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالفرس الجواد، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كركابِ الإبل، ومنهم مَنْ يعدو عَدْواً، ومنهم مَن يمشي عليه مَشْياً، ومنهم مَن يزحفُ عليه زَحْفاً، ومنهم مَنْ يُخْطَفُ خَطْفاً ويُلقى في جَهَنَّمَ والعياذ بالله.

ومَن استقام على صراطِ الله الذي هو دينه الحق في الدنيا، استقام على هذا الصِّراط في الآخرة، ومَن انحرفَ عن الصِّراط المستقيم في الدنيا فلن يَثْبُتَ على صراطِ الآخرة.

وعند الصِّراط يفترق المنافقونَ عن المؤمنين، وَيَتَخَلَّفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويُحالُ بينهم بسورٍ يمنعهم من الوصول إليهم.

(١) **أول مَن يجيز**: أول من يمشي عليه ويقطعه.

(٢) رواه البخاري في كتابِ الأذان (٨٠٦)، وكتابِ الرقاق (٦٥٧٣)، وكتاب التوحيد (٧٤٣٧)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان (١٨٢).

(٣) أخرجَ مسلمٌ في صحيحه (١٨٣) في كتابِ الإيمان عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أنه قال: «بَلَغني أنَّ الجسرَ أدَقُّ من الشعرة، وأحَدُّ من السيف».

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ (١) ﴾ [الحديد: ١٣].

المناقشة

س١ ــ ما الصِّراط؟ ومتى يَمُرُّ عليه الناس؟

س٢ ــ مَن أوّلُ مَن يمرُّ عليه؟

س٣ ــ ما صفةُ الصِّراط؟

س٤ ــ كيف يكون حال الناس على الصِّراط؟

س٥ ــ ما السبيل للاستقامة على الصِّراط؟

س٦ ــ كيف يكون حال المنافقين على الصِّراط؟

س٧ ــ اذكر دليلاً لِما يلي:

(أ) يمرُّ جميعُ الناسِ على الصِّراط.

(ب) أوّلُ مَن يمرُّ على الصِّراط سيِّدنا محمد ﷺ وأُمَّته.

(ج) عند الصِّراط يفترقُ المنافقون عن المؤمنين.

❑ ❑ ❑

(١) **انظرونا**: أي انتظرونا، **نَقْتَبِسْ من نوركم**: أي نستضيء من نوركم، **فضُرِبَ بينهم**: أي بين المؤمنين والمنافقين، **بسور**: حائط بين الجنة والنار.

الدرسُ الخامس والخمسون

١٦ـ الجَنّةُ والنّار

الجنّة: هي دارُ الثواب التي أعدَّها اللّهُ للمؤمنين المُتَّقين الصَّالحين الأبرار.

والنار: هي دار العِقاب التي أعدَّها الله للمنافقين والكُفّار، والعُصاةِ الأشرار.

ويجبُ الإيمانُ بأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنّارَ حقٌّ، لا ريب فيهما، والجنة والنار هما الجزاء الإلٰهيُّ العادل الذي ينتظر أهلَ الحق وأهْلَ الباطل، وحزبَ الله وحزبَ الشيطان، وفريقَ الخير وفريقَ الشر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٥].

خلود الجنة والنار:

والجنَّةُ خالدةٌ لا تَفْنَى، والنَّارُ كذلك، وأهلهما مُخَلَّدون لا يُدركهمُ الموت، ولا يلحقهم الفناءُ، وقد دلَّت على ذلك الآيات والأحاديث.

يقول الله تعالى عن الجنَّة وأهلها: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥].

ويقول سبحانه: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البيّنة: ٨].

ويقول تعالى عن النّار وأهلها: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧].

ويقولُ عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٥].

وفي الحديث: «**إذا كان أهلُ الجنّةِ في الجنّةِ، وأهلُ النّارِ في النّار، نادى مُنَادٍ: يا أهلَ الجنّةِ خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت**»[1].

«وقد دلّت السُّنّةُ المستفيضة أنه يخرج من النار مَن قالَ: لا إله إلاّ الله، وأحاديث الشفاعة صريحةٌ في خروجِ عصاةِ الموحدين من النار، وأنَّ هذا حكمٌ مُخْتَصٌّ بهم، فلو خرج الكفّارُ منها، لكانوا بمنزلتهم، ولم يختصَّ الخروجُ بأهل الإيمان»[2].

الجنّة والنّار مخلوقتان:

والجنةُ والنار هما مخلوقتان الآن، لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) في تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) في كتاب الجنة من حديث أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ٢/ ٦٢٩.

ولقوله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، والإعداد: التّهيئة.

ولقوله ﷺ حينَ صلّى صلاةَ الكسوف: «**إني رأيتُ الجنةَ فتناولتُ منها عنقوداً، ولو أصَبْتُهُ لأكلتُم منه ما بقِيَتِ الدنيا، ورأيتُ النارَ، فلم أرَ كاليومِ منظراً قطُّ أفظع**»[1].

ومنها: أحاديث المعراج الصحيحة التي رأى فيها النّبيُّ ﷺ الجنّةَ والنّارَ.

مكان الجنّة والنّار:

الجنّة في أعلى عِلّيِّينَ، لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾[2] [المطففين: ١٨].

والنار في أسفل سافلين، لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾[3] [المطففين: ٧].

المناقشة

س١ ـ ما الجنة؟ وما النار؟

س٢ ـ ما الدليل على خُلودِ الجنّة وأهلها؟

س٣ ـ ما الدليل على خلودِ النّار وأهلِها؟

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧)، كلاهما في كتاب الكسوف.

(٢) علّيّين: جمع عِلّيٍّ من العُلوِ، وعلّيُّون في السماء السابعة تحت العرش.

(٣) سجّين: أسفل سبع أرضين، وسُمّيَ سجّيناً من السجن، وهو الحبس والتضييق في جهنم.

س٤ ـ هل الجنَّةُ والنَّار مخلوقَتان؟ اذكر الدليل على إجابتك.

س٥ ـ أينَ مكانُ الجنة والنار؟ مع الدليل.

س٦ ـ أكمل الأدِلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

(أ) ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي ....

..............................﴾.

(ب) «إذا كانَ أهلُ الجنة في الجنة ....

..............................».

(ج) «إني رأيتُ الجنةَ فتناولتُ ....

.... ورأيتُ النار ....».

❑❑❑

الدرسُ السادس والخمسون

الجنَّةُ (أسماؤها وصورٌ من نعيمها)

لقد جاء ذِكرُ الجنة في القرآن في آياتٍ كثيرة، وما أعَدَّ الله فيها للمؤمنين المُتَّقين من نعيمٍ مقيم، ممَّا يملأ قلوبَهم بهجةً وسعادة، وفرحاً واسْتِبْشَاراً، ويجعلهم في شوْقٍ إليها، وعملٍ ليكونوا من أهلها.

أسماء الجنَّة:

وللجَنَّةِ أسماء كثيرة تدلُّ على عظيم شأنها، ومن هذه الأسماء:

١ ـ **دار السَّلام**: أي دار الأمن والسَّلامة من كل آفة، ومن كل مكروه. قال تعالى: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

٢ ـ **جنَّةُ الخُلْد**: أي دار الخُلد والبقاء، التي لا ينتقِلُ عنها أهلها، وما هم منها بمُخْرَجين. قال تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١٥].

٣ ـ **جنَّاتُ عدن**: أي جنَّات إقامة ودوام، واستقرارٍ وثبات. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [الكهف: ٣١].

٤ ــ **ومن أسمائها**: جنَّاتُ النعيم، جنَّةُ المأوى، دار المُقامة، المقام الأمين، إلى غير ذلك من الأسماء.

صُوَرٌ من نعيمِ الجنَّة:

في الجنَّةِ من النعيم الذي أعدَّهُ اللَّهُ لِعبادِهِ الصَّالِحينَ ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بَشَر، فمِن ذلك:

١ ــ **أنهارُ الجنة**: ففي الجنةِ أنهارٌ كثيرةٌ، تَمُوجُ بالنِّعَم العظيمة، وتجري بالخيراتِ الوفيرة، قال تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾(1) [محمد: ١٥]، فهذه أصنافٌ أربعةٌ من أنهار الجنة، نفى الله سبحانه عن كل واحدٍ منها ما يعرض له في الدنيا من آفاتٍ، فآفةُ الماء أن يأسنَ من طولِ مُكثِه، وآفةُ اللبن أن يتغيَّر طعمه بالحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها، وما ينتج بسببها من شرور، وآفةُ العسل عدم تصفيته.

٢ ــ **ألوان الطعام والشراب**: قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾(2) [الواقعة: ١٧ ــ ٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ

(1) **غير آسن**: غير مُتَغَيِّرٍ ولا مُنْتِن، يقال: أسن الماء إذا تغيَّر طعمُهُ وريحُهُ.

(2) **أكواب**: جمع كوب، وهي الأقداح التي لا آذانَ لها ولا عُرى، **أباريق**: جمع إبريق، وهي ذواتُ الخراطيم والعُرى، **مَعين**: خمر جارية، **لا يُصدَّعون عنها**: لا تُصدَّع رؤوسهم من شربها، **ولا يُنزِفون**: لا يَنْفَدُ شرابهم.

مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾(1) [الواقعة: ٢٧ ــ ٣٣].

وكُلَّمَا جاءهم نوعٌ من الثمارِ خُيِّلَ إليهم أنه مثل سابقه، فإذا هو لا يشبهه إلَّا في لونه أو شكله أو اسمه، أما طعمُه فمختلف.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وأمَّا شرابهم فرَحيقٌ مَخْتومٌ مَمْزُوجٌ بالمسْك، قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾(2) [المطففين: ٢٥ ــ ٢٦]، أو ماءٌ ممزوجٌ بالكافور أو الزَّنجبيل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾(3) [الإنسان: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾(4) [الإنسان: ١٧ ــ ١٨].

(1) **سِدْرٍ مخضود**: لا شوك فيه، **وطلح منضود**: موزٍ متراكم، **ظلٌّ ممدود**: دائم لا تزيله الشمس.

(2) **رحيق**: يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء، **مختوم**: يعني ختم على ذلك الشراب، ومنع من أن تمسَّه الأيدي إلى أن يفك خَتَمَهُ الأبرارُ، **ختامه مسك**: أي آخر طعمه وعاقبته مسك.

(3) **مزاجُها كافوراً**: يُمزج شرابهم بالكافور، وأراد بالكافور: بياضَه، وطيبَ ريحه.

(4) **ويُسقَون فيها**: أي في الجنَّة، **مزاجها زنجبيلاً**: يمزج شرابهم بالزنجبيل، وكل ما ذكَرَ الله تعالى في الجنة وسمَّاه ليس له مثل في الدنيا، **سَلْسَبيلاً**: وصفت العين سلسبيلاً لسلاسة انحدارِها في الحلوق، وسهولة مَسَاغِها، ولأنها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم.

٣ ـ **وأمَّا لباسُهم وفُرُشُهُمْ وَأَرَائِكُهُمْ وسُرُرُهُمْ في الجنَّة**، فكما قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ[1]﴾ [الكهف: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وإذا كانت بطائنها كذلك فكيف بظهائرها؟

٤ ـ **وأمَّا نساءُ الجنة**، فكُلُّهُنَّ عَذارَى، وكلُّ امرأةٍ تُحبُّ زوجها ولا يَمْتَدُّ طَرْفُها إلى غيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾[2]﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾[3]﴾ [الرحمن: ٥٦].

٥ ـ وحياتهم في الجنَّة ليست كحياتهم في الدنيا، فلا يَجْري عليهم في الجنَّة ما كان يجري عليهم من ضرورات الحياة الدنيا، فلا يَبُولونَ ولا يتغوَّطون، ولا يَتْفُلون، ولا يَمتَخِطُونَ، وإنَّما تعرَقُ أجسامُهم رَشْحاً كالمِسْكِ.

(١) **سندس**: هو الحرير الرقيق، **وإستبرق**: هو الحرير الغليظ.

(٢) **أنشأناهن إنشاءً**: خلقناهنَّ خلقاً جديداً، يعني الآدميات العجائز. **أبكاراً**: عذارى، **عُرُباً**: جمع عَروب، وهي المُتَحبِّبَة إلى زوجها، **أتراباً**: يعني أمثالاً في الخلق، ومستويات في السن، **لأصحابِ اليمين**: يعني أنشأناهنَّ لأصحاب اليمين.

(٣) **فيهن**: أي في الجَنَّتَينِ، **قاصرات الطَّرْف**: غاضَّاتِ الأعيُن، قصَرْنَ أطرافَهُنَّ على أزواجِهنَّ فلا ينظُرن إلى غيرهم، **لم يَطْمِثْهُنَّ**: أي لم يجامعهن.

يـزيِّـنُ ذلـك النَّعيـم كلَّـه شبـابٌ لا يَـذْوي، وصحَّـةٌ لا تبلى، وحيـاةٌ لا تَفْنى، كما جاء في الحديث: «**إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادى مُنادٍ: إنَّ لكم أن تنعموا فلا تَبْتئسوا أبداً، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَموا أبداً، وإنَّ لكم أن تَشُبُّوا فلا تَهرموا أبداً، وإنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً**»[1]، **فذلك قوله عزَّ وجَلّ**: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

المناقشة

س١ ـ لماذا أكثرَ اللَّـهُ سبحانه في كتابه من ذِكرِ الجنَّة ونعيمها؟

س٢ ـ اذكر ثلاثةً من أسماءِ الجنة؟

س٣ ـ اذكر أصناف أنهار الجنة، وماذا نفى الله عنها من آفات؟

س٤ ـ كيف يتشابه طَعَامُ أهل الجنة؟

س٥ ـ ما شرابُ أهل الجنَّة؟ مَعَ الدليل؟

س٦ ـ ما لباسُ أهل الجنَّة وفرشهم؟ مَعَ الدليل؟

س٧ ـ ما صفاتُ نساءِ أهل الجنَّة؟ مَعَ الدليل؟

س٨ ـ تفترق حياةُ أهل الجنَّة فيها عن حياتهم في الدنيا، وضّح ذلك؟

❏❏❏

(١) رواهُ مسلم (٢٨٣٧) في كتاب الجنة.

الدرس السابع والخمسون

النَّعيم الرُّوحي في الجنَّة

ليست الجنَّةُ دارَ نعيم ماديٍّ فَحَسْب، وإنما هي دارٌ للنعيم الروحيِّ أيضاً، ومن ذلك:

١ ــ **إحلالُ رِضْوَانِ اللَّـهِ عليهم، فلا يَسْخَط عليهم أبداً.** قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تباركَ وتعالى يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّة، فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ**[١] **والخيرُ في يَدَيْك، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أَعطيتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحداً من خلقك؟! فيقول: ألا أُعطيكم أفْضَلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأيُّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أسْخَطُ عليكم بعده أبداً**»[٢].

(١) **لَبَّيْكَ**: الفعل من هذه الكلمة: لبَّ أو ألَبَّ بالمكان، إذا أقام به، ولم يفارقه، والتثنية في قولك: «لبَّيك»، بمعنى أُجيبُكَ إجابةً بعد إجابةٍ، وأُلَبِّي طَلَبَكَ تلبيةً بعد تلبية، فالتثنية على معنى التَّكرار والاستمرار، **وسَعْدَيك**: الفعل من هذه الكلمة: ساعد، فالمعنى هنا مُسَاعَدةً منكَ بعد مُساعَدَة، والتثنية أيضاً للتكرار والاستمرار.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة (٢٨٢٩).

وهذا الرضوان إنما هو رضْوانٌ خاص، وأمَّا الرِّضْوانُ العام فهو حاصلٌ لهم من قبل، ولولاه لَما أدخلهم الجنة[١].

٢ ــ **ومنها: رؤيةُ الله عزَّ وجَلّ بالأبصار، والتَّمتُّعُ بالنظرِ إلى وجهه الكريم**[٢]: وهي أنعَمُ نعيم، وهي الغاية التي تنافسَ فيها المتنافسون، وتسابقَ إليها المتسابقون: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ــ ٢٣].

عن صُهيب الرُّومي رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يقولُ الله تعالى: تُريدون شيئاً أزيدُكُم، فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنَّةَ؟ أَلَمْ تُنْجِنا من النَّار؟ قال: فيُكْشَفُ الحِجابُ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ**»[٣].

(١) «من صِحاحِ الأحاديث القدسية»، للأستاذ محمد عوامة ص ٣٩٦، وينظر فيه شرح هذا الحديث ص ٣٩٢ ــ ٣٩٦.

(٢) رؤيةُ الله تعالى بالأبصار في الآخرة ثابتةٌ بالكتاب والسنة والإجماع، وهو قول سلف الأمَّةِ وأئمَّتها، وجماهير المسلمين، والأحاديث الواردة في الرؤية كثيرةٌ جداً، بلغت حدَّ التواتر، وقد أنكر المُعتزلةُ والجهميةُ الرؤيةَ، واستدَلُّوا على نفيها بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقد جاء الخطأ من الخلط بين الرؤية وبين الإدراك، وعدم التفريق بينهما؛ فإنَّ الرؤية غير الإدراك، ولا يلزم من وجود الرؤية تحقُّق الإدراك، فَإنَّ إدراكَ الشيء هو الإحاطةُ به من جميع جوانبه، وهو بهذا المعنى مُستحيلٌ على الله تعالى، الَّذي ليس كمثله شيء، وذلكَ لا ينفي وجودَ الرؤية، فالمؤمنون يَرَوْنَ ربَّهم سبحانه بأبصارهم عياناً في الجنة، ولا تدركه أبصارهم، أي: لا تحيط به، فالله عزَّ وجَلَّ لا يوصف بأَنَّ شيئاً يحيط به، وهو بكلِّ شيء محيط.

(٣) رواه مسلمٌ في كتابِ الإيمان ١/ ١٦٣ (٢٩٧).

وهـذه الـرؤيـة هـي الـزيـادة التـي جـاء ذِكـرُهـا فـي قـول الله تعـالـى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ (1) ﴾ [يونس: ٢٦].

٣ ـ ومنهـا: **تحيَّـاتُـهُ تعَـالـى وتَسْليمَـاتُـهُ علـى أهـلِ الجنَّـة**. قـال اللّـهُ تعـالـى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٨].

٤ ـ ومنها: **ثناؤه سبحانه على أهلِ الجنَّةِ وشكرهم على عملهم الصَّالح**. قال الله سبحانه بعد أن ذَكَرَ ألوانَ النعيم في الجنة، وأصنافَ اللذائذ، وأنواعَ الكرمِ الإلٰهي: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٢].

٥ ـ ومنها: **المَعِيَّة لرسولِ الله ﷺ ومرافقتُهُ والاجتماع به**. قال الله تعـالـى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩ ـ ٧٠].

اللّٰهـم إنـا نسـألـكَ نعيمـاً لا يَنْفَـد، وقُـرَّةَ عيـنٍ لا تنقطـع، ومُـرَافَقَـةَ النبـيِّ ﷺ في أعلى الجنَّةِ جَنَّةِ الخُلْد.

---

(1) كما جاءَ في رواية الإمام أحمد ٤/ ٣٣٢، «ثُمَّ تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس: ٢٦]».

س١ ـ عدِّدْ مظاهرَ النَّعيم الروحي في الجنة؟

س٢ ـ هل يرى المؤمنون ربَّهم سبحانه في الجنَّة، اذكر دليلاً عَلَى ذلك.

س٣ ـ ما المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾؟

س٤ ـ كيف ننال معِيَّةَ رسول الله ﷺ ومرافقته في الجنة؟ اذكر دليلاً عَلَى ذلك.

س٥ ـ أكمل الأدلة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ .... ﴾.

(ب) «إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهلِ الجنة: يا أهل الجنة ....».

(ج) «إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ يقولُ الله تعالى: تُريدون شيئاً أزيدكم ....».

❑❑❑

الدرس الثامن والخمسون

درجات الجنة وثمنها

الجنَّةُ دَرَجاتٌ، بَعْضُها أعلى من بعض، لكلِّ طائفةٍ من المؤمنين درجة بحسب أعمالهم الصَّالحة في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه: ٧٥].

وقد جاءَ في السُّنَّةِ الصحيحة: «**أنَّ في الجنَّةِ مائةَ دَرجةٍ، أعَدَّها اللَّهُ للمُجَاهِدِينَ في سبيلِهِ، ما بين كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كما بين السماء والأرض**»(١).

وأعلى درجاتِ الجنَّة المائة: **الفردوس**. قال ﷺ: «**إذا سألتم اللَّهَ فَسَلُوهُ الفردوسَ، فإنه وَسَطُ الجنَّة، وأعلى الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٧٩٠)، وفي التوحيد (٧٤٢٣).

(٢) تقدم تخريجه، وهو تتمة الحديث السابق.

وأشرفُ منزلةٍ، وأسمى درجة في الجنةِ وأعلاها هي (**الوسيلة**) التي خصَّ اللَّهُ سبحانه بها نبيَّنا محمداً ﷺ.

وَوَرَدَ أنَّ لصاحبِ القرآنِ الَّذي كان يَقْرؤه في الدُّنيا، ويهتدي به، ويدعُو إليه، منزلةً عظيمة، فهو يصعد بكُلِّ آيةٍ يقرؤها دَرَجةً في الجنَّة، كما جاء في الحديث: «**يُقالُ لصاحبِ القرآنِ إذا دخلَ الجنَّةَ: اقْرأ واصْعَد، فيقرأُ ويَصْعَدُ بكلِّ آيةٍ درجةً حَتَّى يقرأَ آخرَ شيءٍ معه**»(١).

ثَمَنُ الجنَّة:

هذه الدرجاتُ العالية، والمنازل الرفيعة، وَذَلِكَ النَّعيمُ العظيم، والرزقُ الكريم، لا يُنال بالأماني والأحلام، فالجَنَّةُ لا يدخلها وينال أعلى المراتب فيها إلَّا مَنْ تَحَقَّق بصدقِ الإيمان، وقَامَ بصالح الأعمال، واتَّصَفَ بكرائم الصِّفات.

قالَ تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١(٢) ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ٤٠، وأبو يعلى في مسنده (١٠٩٤) من حديث أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه، وقال الهيثميُّ ٧/ ١٦٢: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو داود (١٤٦٤) في الصلاة، والترمذي (٢٩١٤) في ثوابِ القرآن، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) اللغو: كلُّ كلامٍ ساقطٍ حقه أن يُلغى. **الفردوس**: أعلى الجنة.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ[1] الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١ ـ ١١٢].

وفي الحديث: «**مَن خافَ أَدْلَجَ، ومَنْ أَدْلَجَ بلغَ المنزلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللّٰهِ غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة**»[2].

نسألُ اللّٰهَ سبحانه أن يَجْعَلَنا من وَرَثَتِها، وأنْ يَمُنَّ علينا بدخولها بفَضْله ورحمته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: **٩ ـ ١٠**].

---

(١) هذا الوعد بالجنَّة للمجاهدين الموصوفين بهذه الأوصاف الثمانية. **السائحون**: هم الصائمون، وقيل: الغزاة والمجاهدون في سبيل الله.

(٢) رواه الترمذي من حديثِ أبي هريرةَ في صفة القيامة (**٢٤٥٢**)، وقال: حسنٌ غريب، **أدلج**: إذا سار من أولِ الليل. ومعنى الحديث كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/ ٢٦٢: «أنَّ مَنْ خافَ ألزمَهُ الخوفُ السلوكَ إلى الآخِرَةِ، والمُبادَرَةَ بالأعمالِ الصَّالحة، خَوْفاً من القواطع والعوائق».

المناقشة

س١ ـ هل الجنَّة دَرَجةٌ واحدةٌ؟ ولماذا؟

س٢ ـ ما عَدَدُ دَرَجات الجنَّة؟ وما أعلى درجاتها؟ وما هيَ أشرف منزلةٍ فيها؟

س٣ ـ ما درجة صاحبِ القرآنِ في الجنة؟

س٤ ـ ما ثمنُ الجنة؟

س٥ ـ أكمل الأدلة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ ....

....

....﴾.

(ب) «إذا سألتم اللّٰهَ فسلوه ....».

(ج) «مَنْ خافَ أدلج، ومَنْ ....».

❑ ❑ ❑

الدرس التاسع والخمسون

النـــار

لقد جاء وصف النَّار في مَوَاضعَ كثيرةٍ جداً من القرآن الكريم، وأخبر سبحانه عمَّا فيها من صُنوفِ العذابِ والنَّكال ما يُذيب القلوب، ويَشيب النَّواصي، ويجعلُ الناسَ يُسارعون في العمل لاجْتنابِ خَطرها، والبُعْدِ عن لهيبها.

أسمـاؤهـا:

وللنَّارِ أسماء كثيرةٌ تُشْعِرُ بِهَوْلِها، فمن أسمائها:

١ ــ **الهاوية**: التي يهوي فيها المشركون إلى قاعٍ سحيق: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٨ ــ ١١].

٢ ــ **والسَّعير**: أي النار المُتَّقِدة. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥].

٣ ــ **ولَظَى**: وسُميَتْ لظى لأنها تتلظَّى، أي تلتهب. قال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾[1]﴾ [المعارج: ١٥ ــ ١٦].

(١) **الشَّوى**: يعني الأطراف، كاليدين والرِّجلَين مما ليس بمقتل، والمعنى: أنَّ النار تنزعُ الأطراف فلا تترك عليها لحماً ولا جِلداً.

٤ ــ **سَقَر**: قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ [المُدَّثِّر: ٢٦ ــ ٢٨].

٥ ــ **وجَهَنَّم**: وهي أكثر أسماء النار شيوعاً في القرآن الكريم[1]، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وَقـودُهـا:

والنَّارُ وَقُودُها النَّاسُ والحجارة التي لا يَعرف قَدْر عِظَمِها إلاَّ الله، ومن وقودها تلك الآلهة المزعومة التي كان المشركون يعبدونها في الدنيا، تُلقى في النار مع عَبَدَتِها.

يقـول الله سبحـانـه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

ويقولُ الله عزَّ وجَلّ للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾[2]﴾ [الأنبياء: ٩٨].

عذابُ أهل النَّار:

وأهلُ النَّار في عذابٍ مُقيم، وبُؤْس شديد، لا يموتون فيستريحون، ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها، بل يُزادُ عليهم العذاب، وكُلَّما نَضِجَتْ جُلودُهُم بدَّلهم الله جُلوداً غيرَها ليذُوقوا العذاب.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

(١) وردَ ذِكرُها في (٧٧) موضعاً من كتاب الله عزَّ وجَلّ.

(٢) **حَصَبُ جهنم**: أي حطبها ووقودها، **واردون**: أي داخلون فيها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

طعامُهُم وشرابهم:

أمّا طعامهم فهو ثلاثةُ أصنافٍ ذكرَها اللّهُ تعالى في القرآنِ الكريم، كلُّ صنفٍ من أهل النار يأكل صنفاً من هذا الطعام.

فالصنفُ الأول: **الزَّقُّوم**، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥١ ــ ٥٣]، وشجرةُ الزَّقُّوم تنبت في قعر جهنم، وثمارها تشبه في بشاعتها رؤوسَ الشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)﴾[1] [الصافات: ٦٤ ــ ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣ ــ ٤٥].

والصنف الثاني: **الضَّريع**، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦ ــ ٧]، والضريع: نبتٌ ذو شوكٍ يابس، لا تقربه دابّة ولا ترعاه، وهو سُمٌّ قاتل.

والصنفُ الثالث: **الغِسْلين**، كما قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقّة: ٣٥ ــ ٣٦]، والغسلين هو: الصَّديد السائل من أجسادِ أهل النار وفروجهم.

والصفة العامة لهذه الأصناف الثلاثة أنها ــ مع بشاعة طعمها ومنظرها ــ تقفُ في الحَلْقِ ويغصُّ بها الآكل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا

(١) **أصلُ الجحيم**: أي في قعرِ النار، **طلعُها**: ثمرُها، سُمِّيَ طلعاً لطلوعه.

أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)﴾[1] [المزَّمِّل: ١٢ ــ ١٣].

وأمّا شرابهم فهوَ الحميم والقيحُ والصَّديد، يَشوي وجوهَهم وهو قريبٌ منها، فكيف بحلوقهم وبطونهم التي تتجرَّعه؟

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾[2] [الكهف: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[3] [إبراهيم: ١٦ ــ ١٧].

دَرَكاتُ النار:

والنارُ دركاتٌ تتفاوتُ في شدَّتها بحسب أعمال أصحابها في الدنيا، فيَلقى كلٌّ جزاءَهُ على حَسْبِ عمله.

وقد قال الله عزَّ وجلّ في المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[4] [النساء: ١٤٥].

أهونُ أهل النارِ عذاباً:

وإنَّ الإنسان لَيَتملَّكه الفَزَع حين يعلم «**أنَّ أهون أهل النار عذاباً من له**

(١) **أنكالاً**: قيوداً عِظاماً ثِقالاً، **ذا غُصَّة**: غير سائغ في الحَلْق.

(٢) **وإن يستغيثوا**: من شدَّة العطش، **كالمُهْل**: ماء غليظ قذر منتن قاتم كعكَرِ الزيت، **سَاءَتْ**: النار، **مُرْتَفَقًا**: منزلاً ومتَّكئاً.

(٣) **ماءٍ صديد**: ما سال من الجلد واللحم من القيح، **يَتَجَرَّعُهُ**: أي يَتَحسَّاه ويشربه جَرْعة بعد جَرْعة لمرارته، وحرارته، وكراهته، ونَتْنِه، **ولا يكاد يُسِيغُهُ**: لا يقدر على ابتلاعه.

(٤) **الدَّرْكُ الأسفل**: يعني في الطبق الذي في قَعْر جهنَّم، والنار سبع دَرَكات بعضها فوق بعض، وسُمِّيَت طبقات جهنم: دَرَكات؛ لأنها متداركة متتابعة.

نَعْلانِ وشِرَاكان من نارٍ يغلي منهما دماغُه، كما يَغْلي المِرْجَل، ما يَرَى أَنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنَّه لأهونهم عذاباً»[1]، فإذا كانَ هذا أخفَّ أهلِ النارِ عذاباً؛ فكيف بمن يكون في الدَّرْكِ الأسفل من النار أعاذنا الله جميعاً منها.

المناقشة

س١ ــ اذكر ثلاثة من أسماء النار؟

س٢ ــ ما وَقُود النار؟

س٣ ــ كيف يكون عَذَابُ أهل النار؟

س٤ ــ ما شراب أهل النار؟

س٥ ــ ما طعامُ أهلِ النار؟

س٦ ــ لماذا يتفاوت أهل النار في شدَّة العذاب؟

س٧ ــ مَنْ أهونُ أهلِ النارِ عذاباً؟

س٨ ــ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) وَقود النار الأصنام التي كان يعبدها المشركون في الدنيا.

(ب) لا يموت أهل النار ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها.

(ج) يشربُ أهل النار القيْحَ والصَّديد.

❑❑❑

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٦١)، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٦٤) واللفظ له من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

والشراك: أحدُ سيورِ النعل، على ظهرِ القدَم، **والغليان**: اضطرابُ الماءِ ونحوه على النار لشدَّةِ اتقادِها، **والمِرجَلُ**: الإناءُ الَّذي يغلي فيه الماء وغيره، والمرادُ بأهونِ أهل النار عذاباً: أبو طالب عمُّ النبـي ﷺ.

الفَصْلُ السَّادِسُ

الإِيمَانُ بِالقَدَرِ

١ ــ معنى الإِيمان بالقدَر ومراتبه.

٢ ــ إرادةُ الله عزَّ وجَلّ.

٣ ــ أقسامُ الأقدار الجاريةِ عَلَى الإنسان.

٤ ــ الإرادة البشريَّة.

٥ ــ الإنسان بين التَّكليف والابتلاء.

٦ ــ الإنسان بين الهُدى والضلال.

٧ ــ أمثلة وأسئلة حَوْلَ القدَر.

٨ ــ الاحتجاجُ على المعاصي بالقدَر.

٩ ــ ندفعُ الأقدارَ بالأقدار.

١٠ ــ ثمراتُ الإيمانِ بالقدَر.

الدرس الستُّون

١ ـ معنى الإيمان بالقَدَر ومراتبه

الإيمانُ بالقَدَرِ هو الركن السادس من أركان الإيمان، كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور: «**الإيمان: أن تؤمنَ باللّٰهِ وملائكتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخر، وتؤمن بالقدَر خيرِهِ وشَرّه**»[1]، فلا يتحقّق إيمانُ عبدٍ حَتَّى يؤمن بالقدَر خيره وشره، حُلوه ومُرِّه، من الله عزَّ وجلّ.

معنى القدَر:

أصله من التقدير والتدبير، وجَعْل الشيء يجري على نظامٍ وحكمةٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ومعنى الإيمان بالقدَر:

هو التَّصديقُ الجازمُ بأَنَّ كلَّ ما يقعُ في هذا الوجود يجري وَفْقَ علمِ الله وإرادته وتقديره منذ الأزل.

مراتبُ القدَر:

معنى تقدير الله لشيءٍ ما يَتَضَمَّنُ إثباتَ حقائقَ أربع:

١ ـ العلم، ٢ ـ المشيئة، ٣ ـ الكتابة، ٤ ـ الخَلْق.

---

(١) رواه مسلم (٨) في كتابِ الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١ ـ العلم:

فهو سبحانه يعلم الأشياء قبل وقوعها كعلمه بها بعد وقوعها، يعلم ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، لا يغيب عنه شيءٌ صَغُرَ أو كَبُرَ.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [١]﴾ [يونس: ٦١].

٢ ـ المشيئة:

انَّ كل ما يقع في الكون إنما هو بمشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

٣ ـ الكتابة:

انَّ الله سبحانه قد سَجَّل المقادير المُشتملةَ على جميعِ الأعمالِ والأقوالِ، وجميعِ الشؤون والأحوال، والحركاتِ والسكنات، والكُلِّيَّاتِ والجُزئيَّاتِ في كتابٍ عنده هو: (اللوح المحفوظ).

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ [٢]﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

(١) **وما يعزُبُ**: ما يبعدُ ويغيب. وأصلُ العُزوبِ: البُعد. **من مثقالِ ذرَّةٍ**: وزنَ ذرَّةٍ، **والمثقالُ**: الوزنُ، **والذَّرَّةُ**: النَّملةُ الصغيرة الحمراء، وهي خفيفةُ الوزنِ جداً. **ولا أصغرَ من ذلك**: يعني من الذَّرة. **كتابٍ مبين**: يعني اللوح المحفوظ.

(٢) **كتاب**: يعني في اللوحِ المحفوظ. **من قبلِ أن نبرأها**: من قبلِ أن نخلقَ الأرضَ والأنفس.

وعن عُبادةَ بن الصَّامت رضي الله عنه أنه قال لابنه[١]: يا بنيَّ، إنك لن تجد طعمَ الإيمان حَتَّى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أول ما خلق الله تبارك وتعالى: القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ حَتَّى تقوم الساعة**»، ثُمَّ قال عبادةُ بن الصامت: يا بُنَيَّ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن ماتَ على غيرِ هذا فليس منِّي**»[٢].

٤ ـ الخلق:

إنَّ كل ما في الكون هو بخلق الله تعالى وأثرِ قدرته، ليس له شريكٌ في الخلق.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

المناقشة

س١ ـ ما حكم الإيمان بالقدَر؟

س٢ ـ ما معنى القدَر؟ وما المراد بالإيمان بالقدَر؟

س٣ ـ اذكر مراتب القدَر؟

س٤ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) العلم. (ب) المشيئة. (ج) الكتابة. (د) الخَلْق.

❑ ❑ ❑

(١) هو التابعِيُّ الجليل: الوليدُ بن عبادة بن الصامت الأنصاري.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٥/٣١٧، وأبو داود (٤٧٠٠) في السُّنَّة، والترمذي (٢١٥٥) في القَدَر.

الدرس الحادي والستُّون

٢ ـ إرادةُ اللّهِ عزّ وجلّ

الإرادةُ صفةٌ من صفات الربِّ سبحانه، من شأنها أن تتعلَّق بأحد الممكنات العقليّة ليكون مُراداً للتَّنجيز[١].

وإرادته سبحانه ومشيئته كسائر صفاته، صفة أزليَّة أبديَّة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، فلا ابتداء ولا انتهاء لوجودها[٢].

* * *

أقسام الإرادة

وتنقسمُ الإرادة الربَّانيّة بالنظر إلى ما تتعلَّق به إلى قسمين:

القسم الأول: الإرادةُ التَّقريريَّة، وهي التي يتمُّ بها تقرير المراد.

(١) ومن خصائص إرادة الربِّ سبحانه: أنها لا تتعلَّق بمستحيلٍ عقلاً، ولا بما هو منافٍ للحكمة، وذلك لأن الله عزَّ وجلّ عليمٌ بكل شيء، وهو حكيم، فلا يريد إلَّا ما تَقْتَضيه حكمته.

(٢) **فائدة**: لا يصح أن يقال: شاءت إرادة الله، كما يقول بعض الناس، بل الصحيح أن يقال: شاءَ الله بإرادته، لأن الفعل يُضاف إلى الله ـ أي: ينسب إليه ـ لا إلى صفته.

القسم الثاني: الإرادة التَّنجيزيَّة، وهي التي إذا تعلَّقت بالمراد صَدَرَ من الله عزَّ وجلّ الأمرُ بالتَّنْجيز، فَيَتحقَّقُ المرادُ على وَفْق الأمر، ولا يمكن تخلُّف ذلك بحالٍ من الأحوال، إذ لا يوجَدُ مُعَارِضٌ يوقِف سلطان إرادة الله وأمره التَّنْجيزي.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

وكلٌّ من هذين القسمين ـ الإرادة التَّقريريَّة والإرادة التَّنجيزيَّة ـ ينقسم إلى أربعة أقسام:

١ ـ **الإرادة التكوينيَّة**: هي الإرادة التي تتعلَّق بتكوين وإيجاد مخلوقٍ مما تتعلَّق إرادة الله بخلقه وإيجاده.

وإرادة الله التكوينيّة قد يريد بها إيجاد مخلوقاتٍ مجبورة لا اختيار لها، كالكواكب والنجوم، والذرات، والخلايا، والنباتات. وقد يريد بها أن يُوجد مخلوقاتٍ ذواتِ إرادات حُرَّة، ومن هذه المخلوقات: الإنس والجنّ.

٢ ـ **الإرادة التَّشريعيَّة**: هي الإرادة التي تتعلَّق بتشريع الأحكام للمخلوقات ذوات الإرادات الحُرَّة، التي خلقها الله سبحانه ليبلوها، ثمَّ ليُحاسبها على اختياراتها، ثم ليجازيها.

٣ ـ **الإرادة التكليفيَّة والإرشاديَّة**: هي الإرادة التي تتعلَّق بتوجيه الأوامر الإلزامية تكليفاً مع اقترانها بالوعد على

الطاعة والوعيد على المعصية، وبتوجيه المطالب الإرشاديّة التي تتضمن النُّصح بما هو الأفضل والأحسن. وكلٌّ من التكليف الإلزامي، والإرشاد النُّصحي يوجَّه لذوي الإرادات الحُرَّة الموضوعين موضع الامتحان الذي يَسْتَتْبِعُ الحساب والجزاء.

٤ ـ **الإرادة القضائيّة**: هي الإرادة التي تتعلّق بمحاسبة الذين أنهوا رحلة امتحانهم لفصْل القضاء بشأنهم، وهذه الإرادة تعتمد في أقضيتها المقرونة بحكمة الله عزّ وجلّ ورحمته وفَضْله على قاعِدَتَي الفضل والعدل.

فالحكم بالنجاة من العذاب مع استحقاق الأجر العظيم في جنّات النعيم يعتمد على قاعدة فضل الله ورحمته.

والحكم بالعقاب يعتمد على قاعدة عدل الله الذي لا يظلم مثقال ذرَّة.

دخول كل أقسام الإرادة تحت عنوان «القضاء والقدر»:

كلُّ أقسام الإرادة التي سبق شرحها، تدخل تحت عنوان «القضاء والقدر»، إذ القضاء هو الإِمْضَاءُ والبتُّ، والقَدَر هو تقديرُ عناصر الشيءِ المرادِ من كلِّ ما له مقادير في ذاته أو صفاتِه أو زمانِه أو مكانِه أو ما يتعلَّق به.

ولا شيء من إراداتِ الله عزَّ وجلّ ـ على اختلاف أقسامها ـ يتوقَّف تنجيزه على أعمال العباد الاخْتياريَّة، إذ كلُّ قسم منها يتمُّ تنْجيزه من قِبَل اللَّهَ عزَّ وجلّ دون مُعَارض.

الفرق بين إرادة الله سبحانه ومشيئته وبين محبته ورضاه:

كلُّ ما أراده الله أو شاءَه، فعلَه لا مَحَالة، وكلُّ شيء لم يُرِدْهُ أو لم يَشَأه لم يفعله، وكلُّ شيءٍ أراد الله أو شاء أن يكون فإنه لا بدَّ أن يكون، وكلُّ شيءٍ أراد الله أو شاء أن لا يكون فإنَّه لا يمكن أن يكون.

أما المحبَّة فقد يُحبُّ الله من عبده الذي وَهَبه الإرادة الحرَّة أن يعمل عملاً أو يترك عملاً، إلاَّ أنَّ العبد قد لا يُحقِّق بإرادته ما يُحبُّ الله منه.

وقد يكرهُ الله من عبده الذي وهَبَه الإرادة الحرَّة أن يعمل عملاً أو يترك عملاً، إلاَّ أنَّ العبد قد يعمل بإرادته الحرَّة ما يكره الله منه.

فالله عزَّ وجلّ يحبُّ لعباده أن يعملوا الصَّالحات وأن يتركوا السيِّئات، ويكره لعباده أن يعملوا السيِّئات ويتركوا الصَّالحات، إلاَّ أنَّ المحبَّة ليس من لوازمها تنفيذ المحبوب ما لم تَقْترن المحبَّة بالإرادة، وكذلك الكراهية ليس من لوازمها منع وجود المكروه ما لم تَقْترن الكراهية بالإرادة.

والرِّضا الذي يقابله السُّخط والغضب كالمحبَّة والكراهيَّة، صفات ليس من لوازمها تنفيذ أو تحقيق مطلوباتها ما لم تقترن بالإرادة.

فالله عزَّ وجلّ يرضى لعباده أن يشكروه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ويغضب الله على الكافرين والمجرمين، بسبب كفرهم وإجرامهم[(١)].

---

(١) ابتلاء الإرادة، للشيخ عبد الرحمن الميداني رحمه الله تعالى، ص ٣٥ ـ ٥٩ بتصرُّف واختصار.

المناقشة

س١ ــ ما أقسامُ الإرادة الربَّانيّة بالنظر إلى ما تتعلَّق به؟

س٢ ــ عرِّف الإرادة التكوينيّة والتشريعيّة.

س٣ ــ عرِّف الإرادة التكليفيّة والإرشاديّة.

س٤ ــ عرِّف الإرادة القضائيّة.

س٥ ــ ما الفرق بين القضاء والقدر؟ وماذا يدخل تحت مسمَّاه من الإرادات؟

س٦ ــ تعتمد الإرادة القضائية على قاعدتين. وضِّحهما.

س٧ ــ هل يَتوقَّف تنجيز إرادات الله عزَّ وجلّ ــ على اختلاف أقسامها ــ على أعمال العباد الاختياريَّة؟

س٨ ــ هل كل ما أحبه الله ورضيه أو كرهه وسخطه يتحقق من العباد فعلاً وتركاً؟

س٩ ــ من أي أقسام الإرادة هذه الآياتِ الكريمة:

(أ) ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ..﴾.

(ب) ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ..﴾.

(ج) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ..﴾.

(د) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ..﴾.

❑❑❑

الدرس الثاني والستون

٣ ـ أقسام الأقدار الجارية على الإنسان

الأقدار التي تَجْري على الإنسان تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمورٌ تجري على الإنسان بتقدير الله سبحانه دون أن يكون للإنسان فيها إرادةٌ أو اختيار:

كالوجودِ والعَدَمِ، والطُّولِ والقِصَرِ، والجمالِ والقُبحِ، والذكاءِ والغباءِ، والصحَّةِ والمرضِ، والحياة والموت، .. وسائر ما يجري على الإنسان من خيرٍ أو شرٍّ، مما لا دخل له فيه ولا تسبُّب.

فهذه الأمور لا نُسألُ عنها، ويجبُ علينا أن نرضى بما قدَّرَ الله لنا منها، وأن نُؤمنَ أنها تَجري بتقديرٍ سابقٍ على وَفْقِ عَلم وحكمة، قد تظهر لنا، وقد تخفى علينا، وقد نعرفُ منها شيئاً، وتغيبُ منها أشياء.

فلا يُثابُ الإنسان على الخيرِ في هذا القسم من القدَر، ولا يُعاقبُ كذلك على الشَّرِّ في هذا القسم.

ولا تكونُ العقوبةُ والمثوبةُ في هذا القسمِ إلَّا على ردودِ الفعلِ التي تصدرُ عن هذا الإنسان، إذِ الواجبُ عليه في حالة النعمة أن يشكر اللّـهَ على فضله لينالَ ثوابَ الشُّكرِ، والواجبُ عليه في حالةِ المصيبةِ أن يصبرَ، وبهذا ينالُ المثوبة والأجر.

الثاني: أمورٌ تجري على الإنسان بتقديرٍ من الله سبق على وَفْقِ علمِ الله وحكمته.. ولكن للإنسان فيها تَسَبُّبٌ وعَمَلٌ وإرادةٌ وقَصْد.

مثل: الأكلِ والشُّربِ واللبس، من المباحات، ومثل: الصَّلاة والإنفاق والجهاد، من الطاعات، ومثل: الزنى والسرقة وشُرب الخمر، من المحرَّمات.

فهذه الأعمال تقع حسب علم الله وكتابته ومشيئته وقدرته.

وفي هذا القسم من القدَر يُجازى الإنسانُ على الخيرِ خيراً بأضعافِ عمله، وعلى الشرِّ شرّاً مساوياً لعمله الَّذي قدَّم.

والمؤمن يعتقدُ أَنَّ جميعَ أفعالِ العبادِ، سواءٌ كانت اختياريةً، أو اضطراريةً، كائنةٌ بإرادةِ اللّهِ تعالى وتقديره لها في الأَزَل، وعِلمه بها قبلَ وقوعها.

الخطأ في إدراك الفرق بين القِسمَين يُوقع في الجَبْر أو نفي القدَر:

هناكَ فرقٌ واضحٌ بين الأمرين، ظاهر من كِلا القسمين.

وكثيرٌ من الناس يخطئون فهم القدَر، فيجعلون القسمين شيئاً واحداً، فيقعون في خطأين عظيمين:

أحدهما: اعتقاد أَنَّ الإنسان **مُجبَر**، وأَنَّ الإيمان بالقدَر يُنافي العمل واتِّخاذ الأسباب فيتواكَلون.

الثاني: اعتقاد أَنَّ القدَر ظلمٌ ينافي حرية الاختيارِ والإرادة، ومن ثَمَّ **يجحدون القدر**، فيضلُّون.

مسؤولية الإنسان على أعماله الاختيارية:

«إِنَّ علمَ الله سبحانه وكتابته للمقادير لا تنفي اختيار الإنسان لأفعاله الاختيارية.

فاختيار العبد للأعمال الاختيارية ثابتٌ شرعاً وعقلاً وحِسّاً.

أمَّا ثبوت الاختيار شرعاً:

فَإِنَّ الله سبحانهُ أثبتَ للإِنسان حالَة اختيار، ورتَّبَ المُؤَاخَذةَ والمعاقبة على أفعاله التي تصدر عنه وهو مُختارٌ لها، كما أثبت للإِنسان حالة اضْطرار، ورفعَ عنه المُؤاخذة والمعاقبة حال كونه فيها.

قال تعالى مُعدِّداً المُحرَّمات من المَطْعومات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ...﴾ [المائدة: ٣]، فهذه المُحرَّماتُ للعبدِ فيها حالةُ اختيارٍ، فإذا أكلَ ما حُرِّمَ عليه فقد عرَّضَ نفسه للمؤاخذةِ والعقاب.

ثُمَّ قال سبحانه: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣﴾[1] [المائدة: ٣]، فإذا اضْطُرَّ الإِنسان إلى تلك المُحرَّمات عند خوف الموت على نفسه من شِدَّةِ الجوعِ، فلا إِثْمَ عليه في تناولها، لأنه مُضْطَرٌّ إلى ذلك.

وكذلك يُعْذَرُ مَن لا إرادة له في العمل كالمُكْرَهِ والنَّاسي والمُخطىء.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

(١) المخْمَصَةُ: المجاعة الشديدة. غيرَ مُتَجَانِفٍ لإِثم: أي غير مائل لإِثم.

وفي الحديث: «إنَّ الله وَضَعَ عن أمَّتي الخطأ والنِّسيان وما استُكرِهوا عليه»[1].

فالتكاليفُ التي كلَّفَ الله سبحانه بها الناسَ، بالأمرِ والنهي، يستطيعُ الإنسان امتثالها، كما يستطيعُ عدمَ امتثالها، باختياره الكامل. ولذلك لم يكلِّفِ اللّهُ تعالى المجنونَ لأنه لا اختيارَ له، ولم يُكلِّفْ مَنْ لم يصل إلى سن الرُّشد، لأنه لم تكتمل أهليَّتُه. فالتكليف مرتبطٌ بقدرةِ الإنسانِ وحريَّةِ اختياره، ولو سُلِبَ من الإنسان الاختيارُ والإرادة، لَما حَصَلَ فرقٌ بين المُحسن والمسيء، بل هو ظلمٌ يتنزَّهُ عنه الحكيمُ العليم.

وأمَّا ثبوتُ الاختيار عقلاً:

فإنَّ كلَّ عاقلٍ يُفَرِّقُ بين الآثارِ الناشئةِ عن حركة البشر، والآثار الناشئة عن حركة الشجر، فإنَّ وَخْزةً تناله من قِبَلِ البشر تُغضبه وتدفعُه للانتقام ممَّن وَخَزَه، لأنه يعلم يقيناً أنها صَدَرَت من إنسانٍ له اختيار وإرادة لذلك.

وأمَّا إذا مرَّ تحت شجرة يُحَرِّكُ الهواءُ أغصانَها، فَوَخَزَتْهُ، أَوْ جَذَبَتْ طَرَفَ ثوبه، فإنها لا تغضبه، ولا يندفع للانتقام من الشجرة، لأنه يعلم يقيناً أَنَّ الشجرة لا اختيار لها.

فلو قلنا: إنَّ الإنسانَ لا اختيارَ له في أعماله الاختيارية للَزِمَ أن نعامل البشر في ذلك كالشجر.

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥) في كتاب الطلاق من حديث ابن عباس، وقال النووي في الأربعين: حديثٌ حسن رواه ابن ماجه والبيهقيّ وغيرهما.

وأَمَّا ثبوت الاختيار حِسّاً:

فإنَّ الإنسان يعلمُ من نفسه أَنَّ له أعمالاً تصدر عنه باختياره وإرادته وكامل حرِّيَّتِه، كذهابه ومجيئه، وقيامه وقعوده، وأخذه وعطائه، وأكله وشربه، ونحو ذلك.

ويعلم أَنَّ له أعمالاً تصدر عنه دون اختياره، يكون مضطراً إليها، ولا يستطيع دفعها، كَزَلَّةِ القدم، أو رعشة البرد، أو نبضة القلب، أو دورة الدم، أو العُطاس والتثاؤب، ونحو ذلك.

وليس أحدٌ من الناس يتساوى عنده صدور أعمال القيام والقعود، وتناول الطعام والشراب، مع العُطاس والتثاؤب!! بل يُفَرِّقُ بينهما بإحساسِه ووجدانه.

فاختيارُ الإنسان وإرادتُه للأمور ومشيئتُهُ لها ثابتة شرعاً وعَقْلاً وحِسّاً، وكلُّ ذلك بخلقِ الله تعالى وإرادته ومشيئته، فهو سبحانه خلقَ للإنسان اختياراً وإرادةً ومشيئة»[1].

المناقشة

س١ ــ **اذكر أقسام الأقدار التي تجري على الإنسان.**

س٢ ــ **في أيِّ قسمٍ من أقسام الأقدار يُثابُ الإنسانُ ويُعاقب؟**

س٣ ــ **ما نتيجة الخطأ في عدم إدراك الفرق بين الأمور الاختياريَّة والجبريَّة؟**

س٤ ــ **ما دليل ثبوت الاختيار شرعاً؟**

س٥ ــ **ما دليل ثبوت الاختيار عقلاً؟**

س٦ ــ **ما دليل ثبوت اختيار الإنسان حِسّاً؟**

❑ ❑ ❑

(١) من كتاب «الإيمان بالملائكة»، للشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى ص ١٣٩ ــ ١٤٢ بتصرف واختصار.

الدرس الثالث والستون

٤ ـ الإرادة البشريَّة

خلقَ الله تعالى الإنسانَ ومنَحَهُ العقل والإرادة والقدرة. فهو بالعقل يفكِّر، وبالإرادةِ يُرجِّحُ، وبالقدرةِ يُنفِّذ.

فالإنسانُ قادرٌ بقدرةِ الله، مريدٌ بإرادةِ الله سبحانه. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فهو سبحانه خلقَ للإنسانِ اختياراً وإرادةً ومشيئةً، ومن صفاتِ الإنسان أنه مختارٌ ومريدٌ وذو مشيئة. وقد أثبتت الآياتُ القرآنيةُ للإنسانِ مشيئةً وإرادةً واختياراً بها يختارُ ويُرجِّح، كما أثبتت له قوةً واستطاعةً بهما يفعل ويؤثِّر، ولكن هذه القوة وتلك المشيئة مُستمدَّتانِ من قُدرةِ الله تعالى ومشيئته، وليسَتا مُستقلَّتَينِ عن الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزّمّل: ١٩]، وفي سورةٍ أخرى ذُكِرَت هذه الآية نفسها، ثُمَّ أعقبها تعالى بقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقالَ سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

فللإنسان ــ بنصِّ هذه الآيات ــ مشيئةٌ وإرادةٌ، ولكنها تابعةٌ لمشيئةِ الله تعالى وإرادته، فالإنسانُ يشاءُ أعماله ويريدها، لأن الله هو الَّذي شاء له أن يكونَ حُرّاً مُريداً.

ويتساءلُ بعضهم فيقول: إنَّ مشيئة العبدِ واختيارَهُ الأمورَ التكليفية والقيام بها، أو عدم اختياره لها وقيامه بها، هذا الاختيار هو بخلقِ الله ومشيئته سبحانه، إذاً فمشيئةُ العبد واختياره ليس لها أثرٌ ولا اعتبار.

والجوابُ عن ذلك: «إنَّ خلقَ اللَّه تعالى لاختيارِ الإنسان ومشيئته وإرادته، كسائر صفاتِ الإنسان التي خلقها الله تعالى فيه»[(١)].

فمن صفاتِ الإنسانِ أنه موجودٌ حَيٌّ سميعٌ بصيرٌ، ولكن ذلك بخلقِ الله تعالى وإسماعِهِ وتبصيره[(٢)]، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

---

(١) هديُ القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان، للشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى ص ٦٤ ــ ٧١.

(٢) ويترتَّبُ على السمع والبصر آثارٌ وأحكامٌ، بدليلِ أَنَّ مَن خُلقَ لا يسمع ولا يُبصِرُ فقد سقطت عنه التكاليف والأحكام الشرعيَّة، وكذلك لو سُلب الإنسان الإرادةَ والاختيار لَما كان لحملِهِ لأمانة التكليف معنًى، ولا يكونُ ثوابه وعقابه مما يوافق العدل الإلهي.

فهل يصحُّ أن يُقالَ: إنَّ حياةَ الإنسان وسَمْعَهُ وبَصَرَهُ ونُطْقَهُ وسائرَ صِفاته المخلوقة لا وجودَ لها ولا اعتبار لأنها بخلقِ الله تعالى.

فما الفرق إذاً بين الحيِّ والميِّتِ، والسميعِ والأصَمِّ، والبصير والأعمى، والناطقِ والصامت؟!

والحقُّ: أَنَّ الإنسان موجودٌ حيٌّ، سميعٌ بصير، مُريدٌ مختارٌ، إلى غيرِ ذلك من الصفات، وكلُّ ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته.

«فإن عطَّلتَ صفة الاختيار والمشيئة والإرادة لأنها بخلق الله تعالى، فيلزمك أن تُعَطِّلَ بقية صفاتِ الإنسان، فهو ليس بحَيٍّ ولا سميع ولا بصيرٍ ولا قويٍّ ولا.. ولا.. ـ في زعمِ المنكرِ للاختيار ـ وهذا مخالفٌ للواقع والعقل والشرع»(1).

الإنسانُ مخلوقٌ مكلَّفٌ مسؤول:

واللَّهُ سبحانه لم يخلقِ الإنسانَ عبثاً، ولم يتركه هَمَلاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، بل خلقه سبحانه وتعهَّده بالتكاليفِ التي فيها مصلحتُهُ وسعادتُهُ في الدنيا والآخرة، فبعدما منحهُ الله سبحانه العقلَ والإرادةَ والقدرةَ، وسائرَ الصِّفاتِ التي تؤهِّله للامتحان: أَمَرَهُ سبحانه بالإيمان والإسلام والعبادة، ونهاهُ عن الكفر والفسوق والعصيان، وكانت نتيجة ذلك الامتحان أَنَّ منهم المؤمنَ والكافرَ، والبَرَّ والفاجرَ، والطائعَ والعاصي.

(1) «حولَ تفسير سورة الفاتحة»، للشيخ عبد الله سراج الدين ص ١٣٨.

وجميعُ هذه الأوصافِ التي اتَّصفوا بها، والأعمالِ التي اكتسبوها، قد نسبها الله تعالى إليهم نسبةً وجوديَّةً حقيقيَّةً، ورتَّبَ عليها الثوابَ لِمَنْ أطاع، والعقاب لِمَنْ عصى(1).

قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

ترتيبُ حصولِ الثوابِ والعقاب على أعمال العباد الاختيارية:

ولو لم يكن للإنسان اختيارٌ في عملِ الطاعاتِ والمعاصي، والكفر والإيمان، لَما استحقَّ الكافرُ العذابَ، ولَما استحقَّ المؤمنُ الثواب، لأنَّهُ آمنَ وعملَ الصَّالحات بدون اختيارٍ منه بل انساق مُضْطراً إلى الإيمان والعمل الصَّالح، فَعَلَامَ يُثابُ؟ وعلامَ يُشكر؟ مع أَنَّ الله تعالى يقول للمؤمنين: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

فلو كان الكافر قد كفرَ وعمل المعاصي بدون اختيارٍ منه، بل انساقَ مُضْطرًّا إلى كُفرِه ومعصيته، فَعَلَامَ يُعَذَّبُ؟ وعلامَ يُعاتَب؟ ولا اختيارَ له فيما عمل، مع أَنَّ الله تعالى قد خاطبهم بقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

فَتَعذيبهُ سبحانه للكفار ليس بظلمٍ، إنما هو بالحقّ، لأنهم هم الَّذينَ

(1) والقرآن من أوَّلِه إلى آخره صريحٌ في ترتيب حُصولِ الخيرات أو الشرور في الدنيا والآخرة على أعمال العباد، وهذا في القرآن ما يزيد على ألف موضع، وذلك مثل: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

ظلموا أنفسهم، فقَدْ أعطاهم الله العقلَ والاختيارَ، وبعثَ الرُّسُلَ، وأنزلَ الكُتُب، وأقام عليهم الحُجَجَ، فكذَّبوا وعانَدوا وأعرضوا.

قال تعالى عن أصحاب النار: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

فلم يحتجُّوا بتقدير الله عليهم، لأنَّ قدَره تعالى ليس عذراً لهم، ولو كانَ عذراً لقَبِلَهُ الله سبحانه، لأنه يقبل العُذر الصحيح، كما جاء في الحديث: «**لا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المُنذِرين والمبشِّرين**»[1].

المناقشة

س١ ـ هل إرادةُ الإنسان مستقِلَّةٌ عن إرادةِ الله سبحانه؟ مع الدليل.

س٢ ـ إذا كانت مشيئة العبد واختياره بخلق الله تعالى فهل لمشيئة العبد واختياره أثرٌ أو اعتبار؟

س٣ ـ هل خُلِقَ الإنسان عبثاً؟ وبماذا امتحنه الله، وما موقف الإنسان من الامتحان؟

س٤ ـ على أي أساسٍ يترتَّبُ حصولُ الثوابِ والعقاب على أعمال العباد؟

(١) رواه البخاري (٧٤١٦) في التوحيد، ومسلم (١٤٩٩) في اللعان بلفظ: «ولا شخصَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك بعث المرسلين: مبشِّرين ومنذِرين»، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

س٥ ـ هل يُقبلُ للكفار عذرٌ بتقدير الله عليهم؟

س٦ ـ اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(أ) المشيئة البشريَّة.

(ب) الإرادة الإنسانيَّة.

(ج) استحقاق المؤمنين الثواب لاختيارهم الإيمان والعمل الصالح.

(د) استحقاق الكافرين العقاب لاختيارهم الكفر والمعاصي.

❑ ❑ ❑

الدرس الرابع والستون

٥ ـ الإنسانُ بينَ التَّكليفِ والابتلاء

خلقَ اللّـهُ تعالى الإنسانَ في هذه الحياةِ الدنيا، ومنَحَهُ الإرادةَ والاختيار للابتلاء والاختبار. قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾(١) ﴾ [الإنسان: ٢].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

والإنسانُ مخلوقٌ مُكلَّفٌ مسؤول، ليس حُرّاً في رفض التكليف، وذلك لأنَّ الله سبحانه أخذَ العَهْدَ على بني آدم في عالم الذَّر، وأشْهدَهُمْ على أنفسِهِمْ بأنَّهُ ربُّهُمْ، وكلُّهُمْ أقرُّوا بربوبيَّتِه سبحانه، وتلك هي الفطرةُ التي فطَرَ اللّـهُ الناسَ عليها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا

(١) **أمشاج**: أي نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، **نبتليه**: أي لنختبره بالتكاليف الشرعية، **فجعلْناهُ سميعاً بصيراً**: أي ليتمكن من القيام بموجب التكاليف الشرعية.

غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾(١) ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣].

وقد أرسلَ اللّـهُ تعالى الرُّسُل وأنزل الكتب، لتذكير الناس بميثاقِهِمْ وعهدهمْ الأول مع الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [المائدة: ٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾(٢) ﴾ [الحديد: ٨].

وفي هذا العالم ـ عالم الذَّر ـ حمَلَ الإنسانُ أمانةَ اللّـهِ الكبرى والتزمَها. قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والمرادُ بالأمانةِ: الإرادة الحرَّة وقُدرات الإدراك والفهم، والمسخَّرات التي سخَّرها لهم في ذات أنفسهم، وفي الكون من حولهم، ليُمتحنوا في ظروف الحياة الدنيا، بالإيمان والإسلام والعبادة.

(١) **من ظهورهم**: يعني من ظهور بني آدم على سبيلِ التوالد بعضهم من بعض، فالله سبحانه أخرج ذُرِّيَّة آدم من صُلْبه وأصلاب أولاده، وهُم صُورٌ كالذَّرِّ، وأخذ عليهم الميثاقَ أنه خالقهم، وأنه ربُّهم فاعترفوا بذلك وقبلوه، **قالوا بَلَى شَهِدْنَا**: يعني قالت الذُّرِّيَّةُ: بلى أنتَ ربُّنا، فهو إقرارٌ منهم له بالربوبيَّة، واعترافٌ على أنفسهم بالعبوديَّة، **أن تقولوا**: خطابٌ للذُّرِّيَّة، ومعناه: لِئلَّا تقولوا، **عن هذا**: يعني الميثاق.

(٢) **وقد أخذ ميثاقكم**: أي أخذَ اللّـهُ ميثاقَكُمْ حينَ أخرجكم من ظهرِ آدمَ عليه السلام بأَنَّ الله ربكم لا إله لكُم سواه.

وقد عرَضَ اللّـهُ سبحانه هذه الأمانة على السمواتِ والأرضين والجبال، وكان العرض عليهنَّ تخييراً لا إلزاماً، فأَبَيْنَ أن يحملْنَها، وأشفقنَ من عِظَمِ المسؤولية، فقبِلَ الإنسانُ هذا العَرْض، وحملَ الأمانةَ الكبرى التي فيها تكريمٌ وتشريفٌ مع المسؤولية والجزاء، لأنه يحمل الاستعداد الفطري الكامل لحمل الأمانة.

فإن قيلَ: ما السبب الباعثُ له على حملِ أمانةِ الله الكبرى؟ والجواب: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، لأنَّه في أشدِّ الحاجة إلى حَمْلها والقيام بها، لأنه رأى نفسَه ظلوماً جهولاً، بسبب الدواعي الموجودة فيه من الغضبِ الَّذي يحملُه على الظلم، والشَّهوةِ التي تحملهُ على الجهل، فحمَلَها حَتَّى تكونَ واقيةً له من الظلم والجهل، وحاملةً له على التحقُّقِ بالعدل والعلم، وبذلك يكونُ إنساناً ربّانياً إيمانياً[١].

ودخلَ الإنسانُ رحلةَ الامتحان بالتَّكاليف الشرعيَّة، وقد أهَّلَهُ الله سبحانه لِتَحَمُّلِ أمانةِ التكاليف فمنحهُ الإرادة، وسخَّرَ له كثيراً من المخلوقات في هذا الكون، فهي تطيعُه بخلق الله وتقديره.

---

(١) والوجهُ الثاني في التعليل: أن يكونَ جواباً على سؤالٍ مقدَّر: ماذا كان موقفُ الإنسانِ بعدَ ما حملَ الأمانةَ والتزمَها؟ هل وَفَّاهَا حقَّها، وأدَّى واجبها؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ويعني بذلك أكثر أفراد الإنسان، وهمُ الكفَّارُ الَّذينَ خانوا أمانةَ اللّـه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، ويُنظَرُ تفسيرُ معنى الأمانة بتفصيلٍ في كتاب «هدي القرآن إلى معرفةِ العوالم والتفكُّرِ في الأكوانِ» ص ٢٥٢ ـ ٢٦٢، و «المعين على تدبر الكتاب المبين» ص ٤٢٧.

فبالتَّمكينِ من الاختيار الحر، وبالتَّسخير تمَّتْ شروطُ الابتلاء في هذه الحياةِ الدنيا.

حِكَمُ الابتلاءِ بالمصائب:

والله سبحانه ابتلى عبادهُ في هذه الحياةِ الدنيا لِحِكَمٍ كثيرةٍ[١] أذكرُ منها:

١ ـ «إنَّ الله تعالى أقامَ الإنسانَ في هذه الحياةِ الدنيا على وظيفةِ التَّكليف، وطَلَبَ منه أن يُحقق عبوديَّته الاختياريَّة لربِّه، وإنما تظهر عبوديته لله سبحانه عندما ينهض بالتكاليف على خيرِ وجه، ولا تدخل الأوامر الإلهية تحت معنى التكاليف إلَّا إذا كان في تنفيذها والائتمار بها كُلْفة ومشقَّة.

وإذا فَرَغَتِ الحياةُ من المصائب والآلام، والنَّكبات والشُّرور؛ فقد اختفى التكليف وبطَلَ معناه.

لقد كلَّف اللّـهُ الإنسانَ بالعطاءِ والإيثار، وهو مجبولٌ على الشُّحِّ والأَثَرَة، كما قال سبحانه: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨].

وكلَّفه بالجهاد والقتال في سبيله، وهو ضنينٌ بحياته، كما قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وكلَّفَهُ أن يَفطِمَ نفسَهُ عن كثيرٍ من الشهواتِ والأهواء، ولهذه الشهواتِ تأثيرٌ على النفس يحتاجُ إلى جهدٍ للترفُّع عليها والتَّحَرُّرِ منها، كما قال

---

(١) للإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى كلامٌ على فوائد الابتلاءِ والمحن، ذكرَ فيه سبعَ عشرَةَ فائدة، ونقلها التاج السبكي في كتابه: «معيد النِّعَم ومُبيدُ النِّقَم» ص ١٥٦ ـ ١٦١.

عزَّ وجلّ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ولا يمكنُ للإنسانِ أن يَرقى إلى شَرَفِ التَّحقُّقِ بالتكاليف الإلهيَّة لو لم يَتَحمَّلْ في سبيل ذلك عَنَتاً ومشقَّةً، إذنْ لاستوى المُخْلص والمنافق، والصَّادق والكاذب»[1].

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].

٢ ـ «إنَّ اللَّـهَ سبحانه شاءَ أن تكونَ هذه الحياة الدنيا مَمَرّاً وجِسْراً إلى الحياةِ الآخرة، والله سبحانه أوْجَدَ في هذه الحياةِ الدنيا من المصائب والآلامِ التي تذكِّرُهُ بحقيقة الجسر الّذي يعبره إلى ذلكَ المقرّ، فلا يركنُ إلى ما فيها من مُتَعٍ ومُشْتهياتٍ، ولا يفاجأ بما فيها من غَصَصٍ ومُنغِّصات»[2].

فإذا وَضَحَت هذه الحقيقة أمام المؤمن فإنه لا يأسىٰ على ما فاته أو ما يناله من المصائب، ولا يبالغ في الفرحة بما يتحقَّق له من المشتهيات والرغائب.

وتأمَّلْ قولَهُ تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

(١) «الإنسان مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّر»؟ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٩٣ ـ ١٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٦ ـ ١٩٩ باختصار.

وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾[1] ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

٣ ـ إنَّ الله سبحانه يبتَلي الكُفَّارَ والعُصاةَ بالخير والشر ليكون سبباً في هدايتهم، ويقظة الإيمان في أعماقهم، فيرجعون عن كفرهم وبغيهم، أو يتركون معاصيهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾[2] ﴾ [الأنعام: ٤٢].

٤ ـ تطهير المؤمن من الذنوب والخطايا، ورفعة درجته، كما في الحديث: «**ما يصيبُ المؤمنَ من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حُزْنٍ، ولا أذًى، ولا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشاكُها إلاَّ كفَّرَ اللَّـهُ بها من خطاياه**»[3].

والمؤمن الصادق يشكر الله سبحانه في السرّاء، ويصبر في الضَّرّاء، قال ﷺ: «**عجَباً لأمرِ المؤمن، إنَّ أمره كلَّهُ له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلاَّ**

(١) **كتاب**: اللوح المحفوظ، **تأسَوا**: تحزنوا، **مختال**: متكبِّر.

(٢) **البأساء**: الفقر الشديد، وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه، **والضَّرّاء**: الأمراض والأوجاع، **يتضرَّعون**: يتذلَّلون ويتخشَّعون لربِّهم ويتوبون عن ذنوبهم.

(٣) رواهُ البخاري (٥٦٤١) (٥٦٤٢) في كتاب المرضى من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة واللفظ له، ومسلمٌ (٢٥٧٣) في كتاب البر والصِّلة. **ومعنى النصَبُ**: التعب، **والوصبُ**: المرض، **والهَمُّ**: ما يتوقع حصوله مما يتأذَّى منه، **والغَمُّ**: كربٌ يحدث للقلب بسبب ما حصل، **والحزن**: ما يحدث للمرء عند فقد ما يشقُّ عليه فقده..

للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبرَ فكانَ خيراً له»[1].

المناقشة

س١ ـ لماذا خلقَ اللّـهُ تعالى الإنسانَ في هذه الحياةِ الدنيا؟

س٢ ـ هل للإنسانِ الحريَّة في رفض التَّكاليف الربَّانية؟

س٣ ـ ما العهدُ الَّذِي أخذه الله تعالى على بني آدم في عالمِ الذَّرّ؟ مع الدليل.

س٤ ـ ما الأمانة التي حَمَلَها الإنسان؟ مع الدليل.

س٥ ـ كيف تَمَّتْ شروط الابتلاءِ للإنسان في هذه الحياة؟

س٦ ـ اذكر ثلاثَ حِكَمٍ من حِكَمِ الابتلاء، مع الدليل.

❑❑❑

(١) رواهُ مسلمٌ في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٩٩) من حديث صهيبٍ الرومي رضي الله عنه.

الدرس الخامس والستون

٦ ـ الإنسانُ بينَ الهُدَى والضَّلال

إنَّ اللّـهَ تعالى أرادَ للإنسانِ أن يكون مسؤولاً عن نفسه، وشاءَ سبحانه أن يكون فلاحُه مرتبطاً بسعيه وكسبِهِ، وجهده وجِهاده.

وقد يسَّرَ الله عزَّ وجَلَّ للإنسانِ سبيل الهدى، وطريق الإيمان، فخَلَقَ النـاسَ جميعـاً علـى الفطـرةِ السليمـةِ الصحيحـة، بحيـثُ لـو تُـرِكَـتْ النفـسُ وفطرتَها لاهتدَت إلى خالقها وآمنتْ به.

كما أنه سبحانه هدى الناسَ هدايةً عامَّةً، بما أودَعَ فيهم من عقول، وما أنزلَ عليهم من كتبٍ، وأرسلَ إليهم من الرسل.

أنواعُ الهداية:

والهداية في القرآن الكريم تأتي على معانٍ كثيرة، أذكرُ منها ما يلي:

النـوعُ الأول: هـدايـةُ الله تعـالـى لجميـعِ المخلـوقـات لِمـا فيـه صـلاحُ وجودها، ومصالح عيشها في دنياها:

وهذه الهداية هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

النوع الثاني: هداية البيان والدلالةِ على كل خير، والتحذير من كل شر:

وهذه الهداية أوجبَها الله تعالى على نفسه رحمةً بعباده، وهي وظيفةُ الرُّسُل عليهم السلام، وبها يظهر اختيارُ المكلَّفِ، فإمَّا أن يختار الإيمان، وإمَّا أن يختارَ الكفر.

وعلى أساس هذا الاختيار يَتَرَتَّبُ الثواب والعقاب، **فهناكَ أمورٌ أربعةٌ تتعلَّقُ بهداية البيان والدلالة، وهي**[1]:

١ ــ أَنَّ الله تعالى أوجبَها على نفسه رحمةً بعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٢ ــ ١٣].

وقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: بيَّنّا له الطريقَين الواضِحَين: طريق الخير، وطريقَ الشَّر.

٢ ــ هداية البيان والدلالة بواسطة الرُّسُلِ صلواتُ الله عليهم وسلامه، وبإنزالِ الكتب. قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ــ ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

٣ ــ وبهذه الهداية أقامَ اللَّهُ تعالى حُجَّتَهُ على العبادِ في الدنيا ويومَ المعاد.

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

(١) «حول تفسير سورة الفاتحة»، للشيخ عبد الله سراج الدين ص ١١٣ ــ ١٣٢ بتصرف واختصار.

٤ ــ وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المُكَلَّف، فإمَّا أن يختارَ الإيمانَ ويستحبَّ الهُدى، حَتَّى ينتهي أمره إلى الجنة، وإما أن يختار الكفر ويستحب العَمَى على الهدى حَتَّى ينتهيَ أمرُه إلى جهنَّم وبئس المِهاد.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[1] [فصلت: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

فقد بيَّنَ سبحانه للإنسانِ طريقَ الخير وسبيلَ الرُّشْد، فإمَّا أن يختارَ طريقَ الإيمانِ والهداية، وإما أن يختار طريق الكفر والغَواية.

النوع الثالث: هداية التوفيق للعمل الصالح:

وهذه الهداية هي المَعْنيَّةُ في قول الله تعالى الَّذي يُعلِّمنا فيه أن ندعوه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

ولا يملك هذه الهداية ولا يَقْدر عليها إلَّا الله تعالى:

قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فهذه الهداية هي التوفيق للإيمانِ والعمل الصالح.

(١) هديناهم: أي بيَّنّا لَهُمْ ودَلَلْناهم عَلَى الحق الَّذي فيه سعادةُ الدنيا والآخرة.

أسبابُ الهدايةِ والضلال:

«هدايةُ الله سبحانه لمن شاءَ له الهداية، وإضلاله لمن شاءَ له الضلال حقيقةٌ ثابتةٌ، وسُنَّةٌ من سننه الماضية.

وهذه السنة تنطبق على الناس ضمن أسبابٍ وعوامل[1]:

١ ــ ما من إنسانٍ يولد إلاَّ وقد غرسَ اللّهُ فيه فطرةَ التوجُّهِ إلى الإيمان بالخالق، وفطرة الطمأنينة إلى مشاعر العبودية لله عزَّ وجَلّ.

فالهدايةُ إلى الحق هي النصيبُ الأولُ الَّذي يُكرم الله به كلَّ إنسانٍ عند ولادته، وإقباله إلى الحياة.

٢ ــ ومن سُنن اللّهِ في عباده: أنه يضيفُ إلى هذه الهدايةِ الفطرية عوامل تدفعهم إلى مزيدٍ من الهداية.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فما من إنسانٍ يعزم على اتِّباع الحق إلاَّ ويزيده اللّهُ هدايةً، وصدق الله القائل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

٣ ــ ومِن سنن الله عزَّ وجَلَّ في عباده: أنه يُخمِدُ الفطرةَ الإيمانية في كيانِ الإنسان، وربَّما يُميتها عندما لا يستجيب لداعي الهداية، ولا يلتفت لتذكرةِ مُذَكِّرٍ، ولا نصيحةِ ناصح.

(١) «الإنسان مسيَّرٌ أم مخيَّر؟»، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٠٣ ــ ١١٦ بتصرف واختصار.

فإذا أصرَّ هؤلاءِ على كفرِهِم، وبلَغوا غايةَ الجُحود والعِناد، والظلمِ والفساد، طبعَ الله على قلوبهم الكفر، عقوبةً لهم من جنس عملهم.

وهذه بعض الآياتِ القرآنيةِ التي تدلُّ على هذه السُّنَّةِ الرَّبَّانية بكل وضوح[1].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ ــ ٧].

فهذا هو العقابُ الربَّانيُّ العاجل، عقوبةً لهم وجَزاءً على إصْرارهم على الكفر.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠١﴾[2] [الأعراف: ١٠١]، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾[3]

(١) وسيأتي ــ إن شاء الله ــ مزيدُ بيانٍ وتفصيلٍ لهذا الموضوع في الدرس ٦٧، فانظره هناك.

(٢) أي: كما طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية وأهلكهم، بسبب كفرهم، كذلك يطبع الله بقانونه القدريِّ العام على قلوب سائر الكافرين.

(٣) أي: كذلك يختم الله ــ ضمن قوانين الأسباب والمسبِّبات ــ على كلِّ قلب متعالٍ على الحق، متعاظم على عباد الله، متسلط بالقوة على الناس، يُكرههم بالقهر على ما يريد بغير حقّ.

[غافر : ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝(١)﴾ [الصف : ٥].

وهذه العقوبات بالطبع والخَتْم على قلوبهم مِن باب العدلِ الإلـٰهي، لأنها كانت بأسبابِ جرائمهم الصَّادرة عنهم باختيارهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصّلت: ٤٦].

فالإنسانُ الَّذي جَحَد الحقَّ، وآثرَ الباطل، واسْتَمرَّ على ضلاله، وأصرَّ على كُفره، فليس من الظلمِ أن يطبعَ اللّـٰهُ على قلبه، ويَسْتَلِبَ منه قابليّةَ الهدى.

فهدايةُ الله تعالى وإضلاله للإنسانِ تسيرُ ضمنَ سُننٍ تدلُّ على عَدلِ اللّـٰهِ ولُطفِهِ ورحمتِهِ، وتَتَّفِقُ مع حريَّةِ الإنسانِ واختياره.

المناقشة

س١ ـ عدِّدْ أنواع الهداية في القرآن.

س٢ ـ ما الأمور التي تَتعلَّقُ بهدايةِ البيان والدلالة؟

س٣ ـ ما الأسبابُ والعواملُ المُتَعلِّقَة بهداية الإنسان أو ضلاله؟

س٤ ـ اذكُر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

(١) أي: فلما عَدَلوا ومالوا عن الحقِّ بإرادتهم، وأصرُّوا على ذلك أمال الله قلوبهم عن قَبول الهداية، عقوبةً لهم على زَيْغهم الذي اختاروه لأنفسهم، والله سبحانه لا يحكم بالهداية لهم، وهم قوم خارجون عن طاعته وهدايته، وهذا مقتضى الحق والعدل.

(أ) أوْجَبَ اللّـٰهُ على نفسه هدايةَ البيان والدلالة.

(ب) هدايةُ البيان والدلالة بواسطة الرسل.

(ج) لا يملك هداية التوفيق للعمل الصالح إلاَّ الله.

س٥ ـ أكمل الأدلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ....﴾.

(ب) ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ....﴾.

(ج) ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ ....﴾.

الدرس السادس والستون

٧ ـ أمثلةٌ وأسئلةٌ حول القَدَر (١)

يتساءلُ كثيرٌ من الناسِ عن القدَرِ الَّذِي حَجَبَهُ اللّهُ تعالى عن العقول، وأخفى حقيقته، ويُثير بعضهم الشُّبهات، ويُؤَوِّلونَ النصوص على غير المراد، وهذه بعضُ الأسئلة والأجوبة التي تزيل الشكوك، ويفهمها الناس على اختلاف درجاتهم في الفهم والعلم[١].

أمثلة عن الأقدار (الجبْرِيَّة):

المثال الأول: إنسانٌ وُلِدَ بصيراً، وآخر وُلِدَ أعمى[٢].

س ـ ما فضل البصير؟ وما ذنبُ الأعمى؟

ج ـ ليس للأول فضلٌ، ولا ذنبَ على الثاني، لأنهما لم يُقَدِّما أي عمل.

(١) أكثرتُ في هذا الدرس والذي يليه من إيرادِ الأمثلة والإجابة عن التّساؤلات، لأنه أفضل أسلوب لإزالة الشُّكوك والشبهات، وأقرب طريق إلى فهم حقيقة القدَر عند الطلاب.

(٢) من كتاب: «الإسلام كما فهمت»، للأستاذ محمد القاسمي ص ٢٧٥ ـ ٢٨٥ بتصرُّف واختصار.

س ـ لماذا خلق هذا بصيراً وهذا أعمى؟

ج ـ لِيَتَعَرَّفَ كُلُّ إنسانٍ على نِعَم الله ـ وبضدِّها تتميّزُ الأشياءُ ـ وهي مَجَالٌ للامتحان، فإن شكرَ الأول ربَّهُ على ما به من نعمةٍ، وسأله حِفظَها، واستعملها في طاعته سبحانه نال مَثُوبةَ الشُّكر، وإن صبر الثاني على بلواه، وسأل ربَّه حفظ بقية النعم التي قد لا يملكها آخرون، نال مثوبةَ الصبر[١]، ومن كفر سقط في الفتنة (الامتحان) ونالَ جزاءه.

فصورةُ الإنسان حسنةً كانت أم قبيحة، كاملةً أم ناقصةً، هي نوعٌ من القدَر الَّذِي لا يستطيع الإنسانُ التحكم فيه.

المثال الثاني: رجلانِ لكلٍّ منهما ولدٌ صالح، أحدُهما: كان ولده عوناً له يَشُدُّ أَزْرَهُ لَمَّا عجز، والثاني: ماتَ أَمَلُهُ حين دَفَن فِلْذَةَ كبده تحت التراب، وهو في أشَدِّ الحاجةِ إليه، وقد بلغَ من الكِبَرِ عِتِيًا.

وهنا أيضاً تنهالُ الأسئلة بلا هوادة:

س ـ ما فَضْل الأول؟ وما ذنبُ الثاني؟

س ـ لماذا لم يصنع بالأول ما صَنَع بالثاني، أو بالعكس؟

س ـ لو لم يرزق الثاني بالولد ألَم يكن ذلك خيراً له؟

(١) روى البخاري في صحيحه (٥٦٥٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله تعالى يقول: إذا ابتَلَيْتُ عبدي بِحَبِيبَتَيْهِ فصبرَ عَوَّضتُه منهما الجنة»، وحبيبتاه هما العينان، وهذا الأجر ملاحظٌ فيه الشروط الآتية: أن يكون العبد المبْتَلى مؤمناً، والصبر، والاحتساب، كما في رواية الترمذي (٢٤٠١): «فصبر واحتسب».

والجوابُ على هذه الأسئلة وما يماثلها ممَّا ليس للإنسانِ فيها أدنى اختيار:

كذلك قضَتْ حكمةُ الله؛ فاللَّهُ تعالى هو الَّذي يُخَصِّصُ ويختارُ ويشاءُ:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١].

فبهذه الأمور وأمثالها يدخل الإنسانُ تحت وَطْأَةِ الامتحان، وبه يُمَيِّزُ اللَّهُ الخبيثَ من الطَّيِّبِ، فمَنْ أصابه الخير فواجبه الشكر، فإما أن يقوم به ويُؤْجَرَ، وإما أن يَتَخَلَّى عنه فيأْثم، ومَن أصابه الضُّرُّ فواجبه الصبر، فمن قام به أخذَ أجْرَهُ بغيرِ حساب، وإن عمل بضده[1] أثِم.

أمثلة على أعمال الإنسان الاختيارية:

المثالُ الثالث: شقيقان توأمان رُبِّيا في بيئةٍ واحدة، كان أَحَدُهُما مصدراً للخير كيفما اتَّجَهَ، وكانَ الثاني لا يرى سبيلاً للشرِّ إلَّا سَلَكَه.

في هذا المثال ونحوه من أمثلةِ **الأعمال الإنسانية الاختيارية**، تجود

(١) وقد قال بعض الحكماء: إنَّ الإنسانَ لا يؤجرُ على شيءٍ من المصائب تناله في نفسه من مرضٍ وموتِ حميمٍ ورُزْءِ مال، لأجل ذواتِ هذه الأمور، فَإنَّ جميعَ ذلك طَبْعٌ وجِبِلَّةٌ، ولا صنع للإنسانِ فيه، وقد يصيب الكافرَ مثلُ ما يصيب المسلمَ، إنما يُؤْجَرُ الإنسان على نِيَّتِهِ واحتسابِهِ الأجر فيها، وتلقِّي الأمر في ذلك بالرِّضا وجميلِ الصبر، كما في «أعلام الحديث»، للخطابي ١/ ٦٩٠.

قرائح الكُسالى والملحدين، وتنطلق ألسنتهم لِيَنْفُذَ كُلٌّ إلى غَرَضه، بحُجَّةِ أَنَّ ما يعمله الإنسانُ إن هو إلَّا جزءٌ من القدر، فكأنَّ الإِله جلَّ جلاله ــ في نظرهم ــ خلق الإِنسان وسيَّرَهُ في طريقٍ عيَّنَهُ له، ولا يستطيع أن يحيدَ عنه قدر أَنْمُلة؛ وكأنَّ الناس ــ في أفكار هؤلاء ــ مراكب مُعَلَّقة (تلفريك) تسيرُ على سِلْكٍ لا تَتَعدَّاه، أو قاطرة تسير على خطٍّ حديديّ لا تخرج عنه.

وهنا تكمن المغالطة: نحن لسنا مركَبَةً مُعَلَّقةً، ولكننا في تلك المركبة نَتَحرَّكُ فيها أحراراً، ونتحرَّكُ بحركتها غير مختارين، نحن لسنا قطاراً، ولكننا في القطار نقوم ونقعد ونأكل ونشرب ونتكلم... ومع هذا فنحن مجبورون على التَّحرُّكِ بحركته وسلوك طريقه.

إنَّ اللَّهَ خلقك أيُّها الإنسان، وسخَّرَ لك هذا الكون، وجهَّزَكَ بأجهزةٍ بإمكانك أن تجعلها مصدرَ خير، أو أن تجعلها مصدرَ شرٍّ، فالأُذُنُ التي تسمع كلام اللَّهِ تعالى، تماماً كالأُذُنِ التي تتجسَّسُ، والعقلُ الَّذي يُدرك مصلحة الدنيا، كالعقل الَّذي يُدرك مصلحة الآخرة.

وحياةُ الإنسانِ كلُّها امتحانٌ، لا ليعلم الله ماذا يصنعُ الإنسان، ولكن ليعلم الإنسانُ نفسه ماذا صنع، فيشهد على نفسه ولا يكون له حُجَّةٌ على الله يوم الحساب.

ولا بدَّ له من أن يَسْلُكَ أحدَ الطريقين: إما الطريق المؤدِّي إلى الجنة المحفوف بتكاليف تكرهها النفس، وإما الطريق المؤدِّي إلى النَّار المحفوف بالشهوات والمُغْريات المحببة للنفس.

وقد أمره الله باتِّباع سبيل الرُّشد الَّذي وضع معالمه ودلَّ عليها، ونهاه عن سبيل الغَيِّ، وَحَذَّرَهُ من أعدائه الداعين إلى ذلك السبيل.

سُبحانكَ اللّـٰهمَّ ما أَعْدَلَكَ، وَمَا أَحْكَمَكَ، لَمْ تَشَأْ أن تُكْرِهَ الناس حَتَّى يكونوا مؤمنين، كما لم تشأ أن تُكرههم على الكفر، ولو شئت أيَّ الأمرين لأنفذتَ ما تُريد، ولكنك شِئْتَ أن تتركَ للناس الخيار فيما يعملون وما يذرون، كما قلت: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

وعلى هذا، فالأعمال التي يعملها الإنسان هي نوعٌ من القدر، سطَّرهُ الله بناءً على علمه بما سيقع، وإرادته له كما هو في علمه سبحانه[1].

المناقشة

س١ ــ اضرب مثالاً على بعض الأقدار الجبرية؟ وبيِّن الحكمة فيها.

س٢ ــ ماذا تجيب مَنْ يتساءل عن بعض الأقدار الجبرية ممَّا ليس للإنسان فيه أدنى اختيار؟

س٣ ــ ما واجب المؤمن أمام الابتلاء بالسَّرَّاء والضَّراء؟

س٤ ــ يغالط بعض الناس فيحتجُّونَ بالقدر على أعمالِ الإنسانِ الاختيارية، فكيف تردُّ على هؤلاء؟

س٥ ــ هل أكرَهَ اللّـٰهُ سبحانه الناسَ على الإيمان أو الكفر؟ بيِّن ذلك مع الدليل.

❑❑❑

(١) الإسلامُ كما فهمت، للأستاذ محمد القاسمي ص ٢٧٩ ــ ٢٨٢ باختصار.

الدرسُ السابع والستُّون

٧ ــ أمثلةٌ وأسئلةٌ حول القَدَر (٢)

أسئلة عن الهدى والضلال:

السؤال الأول: لماذا لَمْ يهْدِ اللّـٰهُ الناسَ كلَّهُم؟

«يقول أُناس: لماذا لم يهدِ اللّـٰه الناسَ كُلَّهُمْ إلى طريق الجنة، ولماذا وَضَع في نفوسهم الشهوة ثُمَّ عاقبهم على الزنى؟ وغَرَزَ فيهم حُبَّ المالِ وحاسبهم على جمعه من غير حلال؟

والجواب: أولاً: أَنَّ الله تعالى لا يقال له: لماذا؟ لأنه لا يُسألُ عمَّا يفعل، ولأنه الحاكم المُطلق، له الأمرُ وله الحكم، ثُمَّ إنَّ هذا القول كقول طلاب المدرسة: لماذا لا يعطوننا أسئلةَ الامتحان من أول السنة، ولماذا أَخْفَوْهَا عنا، وكلَّفونا الاستعداد لها؟

إنهم أَخْفَوْهَا ليجِدَّ الطالب، ويقرأَ المُقرَّرَ كُلَّهُ، ولو أعطيناه أسئلة الامتحان من الآن، لَما بقيَ معنًى للامتحان.

والدنيا دارُ اختبار وامتحان، لِيَتَميَّزَ الطائعُ من العاصي، والمستقيمُ من المنحرف»[1].

(١) تعريف عام بدين الإسلام، لأستاذنا الشيخ علي الطنطاوي ص ١٤٦ ــ ١٤٧.

السؤال الثاني: معنى ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾:

«يتساءل بعض الناس فيقولون: إننا نقرأ قوله تعالى عن القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]، فنفهمُ من النظرة الأولى أَنَّ الهدى والضلال أمرٌ مقرَّرٌ، قدَّرَهُ الله على العباد، فجعل هؤلاءِ ضالِّين، وهؤلاء مهتدين، دونَ إرادةٍ أو اختيارٍ منهم.

والجواب: من الخطأ الوقوفُ عند أفراد النصوص وعدم اعتبار مجموعها، فمن تنبَّهَ إلى قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، عَلِمَ أن الهدى والضلال ليس إلزاماً من الله، ولكنه تبع لحالة المرء، فإن كان مُتَّقياً كان القرآنُ هُدًى له، وإن كان فاسقاً كان له ضَلالاً.

س ــ وما يدريني إذا كان الله تعالى جعلَني مع المتَّقين أو جعلني مع الفاسقين؟

ج ــ إذا انتبهت إلى قوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢، ٣]، وقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [البقرة: ٢٦ ــ ٢٧]، علمتَ أَنَّ المسألةَ ليس فيها إجبارٌ، وأَنَّ مَردَّها إلى صِفاتٍ وأعمال داخلةٍ في نطاقِ حُرِّيَّةِ الإنسان وطاقته.

فأنت تستطيع أن تؤمِنَ بالغيبِ، وتقيمَ الصَّلاةَ، وتنفقَ في سبيل الله، وتستطيع أن تنْقُضَ العهدَ، وتقطعَ الموصول، وتفسدَ في الأرض. . أمورٌ في طاقتك عملُها، وفي إمكانك تركُها، فإن عملتَ الثلاث الأولى كنت بذلك

من المتَّقين، فاستحققتَ الهداية، وإن عملتَ الثلاث الأخرى كنتَ بذلك من الفاسقين؛ فاستحققتَ الضلال[1].

السؤال الثالث: معنى يضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء:

هناكَ آياتٌ يشتبه معناها على بعضِ الناس، ويتَّخِذُها الجبريُّون حُجَّةً لهم، مثل قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [النحل: ٩٣، فاطر: ٨].

ويقولونَ: كيف السبيلُ إلى الهدايةِ وطريقُها مسدود، إِلَّا أن يشاءَ الله، وكيف يجدُ الإنسانُ سبيلَ الهُدى إذا ختمَ اللّٰهُ على قلبِه، وجعل على بصره غشاوة.

والجواب: إنَّ القرآنَ يفسِّر بعضه بعضاً، ويُصدِّقُ بعضه بعضاً، فآياتُ الإِضْلال والخَتْمِ والطبعِ التي وَردت عامةً، قد خصَّصَتها آياتٌ أُخر.

فقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [النحل: ٩٣]، كقوله سبحانه: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ١٨].

وقد جاءت الآياتُ المُحكَماتُ تُبيِّنُ أَنَّ اللّٰهَ لا يغفرُ لأهلِ الشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، كما أنه سبحانه لا يُعَذِّبُ أهلَ الإيمانِ والشكر: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ﴾ [النساء: ١٤٧].

وكذلكَ آياتُ الإِضْلالِ والخَتْمِ والطَّبْعِ التي وردت عامة، قد خَصَّصَتْها آياتٌ أُخر، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

(١) تعريف عام بدين الإسلام ص ١٣٤ بتصرُّف وزيادة.

وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

فليسَ معنى الطبعِ والختمِ، والسدّ والغشاوةِ في هذه الآياتِ أَنَّ الله حالَ بينهم وبينَ الهُدى، وسدَّ عليهم طريقَ الإيمان، إذ لو صحَّ ذلك لكانَ لهم الحُجَّةُ على الله أن يقولوا: كيف يدعونا إلى أمرٍ، ثُمَّ يَحُولُ بيننا وبينه، وكيف يعاقبنا عليه وقد منعَنا من فعله؟

وهل هذا إلاَّ بمثابةِ مَن أمرَ ابنه بالذهابِ إلى موضعٍ مُعيَّنٍ، ثُمَّ قيَّدَهُ بقيدٍ لا يمكن معه نقل قدَمَيه، ثُمَّ أخذ يُعاقبُهُ على عِصْيانه للأمر؟

وإذا كان هذا قبيحاً في حَقِّ المخلوقين الفقراء المحتاجين، فكيف يُنسبُ إلى ربِّ العالمين، مع كمالِ غِناهُ وعلمِه وعدلِه وإحسانِه ورحمتِه.

إنَّ هؤلاء الَّذِينَ طبعَ اللَّـهُ على قلوبهم، وأَضَلَّهُمْ إنَّما عاقبهم الله سبحانه بسبب إعراضهم وتكبُّرِهِمْ باختيارهم ومشيئتِهم عن الإيمان، وتركِهمُ الاهتداءَ بهدي الله تعالى.

فالإضْلالُ والخَتْمُ على القلوبِ ليستْ أسباباً للكفرِ والفسوقِ والعصيان، **بل هي نتائجُ لها، وعقوبات عليها**، وَفْقاً لسُنَّتِه في الأسباب والمُسبَّبات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[1] [المائدة: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾[2] [المنافقون: ٦].

(١) أي: إنَّ الله لا يحكم بهداية القوم الظالمين.

(٢) أي: إنَّ الله لا يحكم بالهداية للحق القومَ الخارجين عن أمره، الذين سلكوا بإراداتهم الحُرَّة مَسْلك الكفر والضلال.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[1] [الزمر: ٣].

فهؤلاءِ الَّذِينَ اخْتاروا طريقَ الظلمِ والفسقِ والكذبِ والكفرِ، لن يجدوا هدايةَ الله، لأنهم سَدُّوا على أنفسهم طريقَها، وأغلقوا بابَها، وهو أثرُ أعمالهم، ومقتضى سلوكهم الاختياري[2].

المناقشة

س١ ـ يتساءلُ بعضُ الناسِ فيقولون: لماذا لَمْ يهدِ اللَّـهُ الناسَ كلَّهم؟ فماذا تجيبُ هؤلاء؟

س٢ ـ يحتجُّ بعضُ الناس بقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾، على أَنَّ العباد لا اختيارَ لهم في سلوك طريقِ الهدى أو الضلال، فكيفَ تردُّ على هؤلاء؟

س٣ ـ هل هناكَ تشابهٌ بين قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾، وقوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾؟

س٤ ـ آياتُ الإضلالِ والخَتْمِ والطبعِ، هل هي عامةٌ أم خصَّصتها آياتٌ أخرى؟

س٥ ـ هل يمنعُ اللَّـهُ سبحانه الكفَّارَ من سلوك طريقِ الهدى إذا اختاروه؟

س٦ ـ هل الطبعُ والخَتْمُ أسبابٌ للكفر أم عقوباتٌ عليه؟ مع الدليل.

❑❑❑

(١) أي: إن الله لا يحكم ولا يقضي بهداية من افترى على الله وزعم أن الآلهة تشفع له، وهو شديد الكفر باتِّخاذه آلهةً من دون الله تعالى.

(٢) التوحيد، للصف الثالث الثانوي في المعهد الديني بقطَر ص ٥٧ ـ ٦١ بتصرُّفٍ واختصار.

الدرس الثامن والستون

٧ـ أمثلة وأسئلة حول القدر (٣)

بين أستاذ وطالب[(١)]:

وقفَ طالبٌ أمامَ أستاذِه مرَّةً فقال: يا سيدي الأستاذ، تأتيني أحياناً خواطرُ، فأحبُّ أن أعرضها عليك:

لِمَ قدَّرَ اللّٰهُ تعالى السَّعَادة لقومٍ، والشَّقاوةَ على آخرين، ولم تكن سعادةٌ فقط؟!

ولِمَ كانت جنَّةٌ ونارٌ، ولم تكن جَنَّةٌ فقط؟!

وما ذنب العبد إذا قُدِرَت عليه ضلالةٌ وشقاوة؟!

فقال الأستاذ: إنَّ لهذا البحث علاقةً بالخالق والمخلوق.

فلنبدأ بما يتعلَّق **بالمخلوق**، فذلك ألصقُ بنفوسنا، وأقرب إلى حواسنا، فنقول:

(أ) **للإنسانِ عقل** يدركُ به الخير والشر، وهذا العقل هو مناطُ التكليف، والعاقل مُكلَّفٌ ـ فلا تكليف على صغيرٍ ولا مجنون ـ.

(١) الإيمان بالقضاءِ والقدر، للشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ص ١٣٧ ـ ١٤٥.

(ب) **وللإنسان اختيار**، لا ينكره ذو عقل:

١ ـ فهو يقوم باختياره، ويقعد باختياره، ويذهبُ ويجيء كذلك، ويتوجَّه إلى الطاعةِ إذا شاء باختيار، ويأتي المعصية إذا شاء باختيار، فليس له إذن أن يحتجَّ بالأقدار.

٢ ـ وإذا أبى إلَّا الاحتجاج بها، وعَذَر نفسه بها، ضربناه فآلمناه، أو سلبناه عزيزاً مما يملك مثلاً.. فيستاء.

فنقول له: إنما فعلنا ذلك بقضاءٍ وقدر، فاعذُرنا فإننا مغلوبون على أمرنا، كما تقولُ أنت، فلِمَ تعذر نفسك في معصية الله مُحْتجّاً بالأقدار، ولا تعذر غيرك؟!.

فلا يعذرنا فتنهار حُجَّته مرةً ثانية.

٣ ـ وقد نأمره بطاعةٍ فيقول مُسَوِّفاً: حَتَّى يهديَني الله!

فنقول له: إنَّ أمرَ الهداية كأمرِ الرزق، والله تعالى رازقٌ كما هو هاد.

فكما تنتظر من الله الهداية من غير أن تسعى إليها، فانتظر الرزق من غير أن تسعى إليه كذلك، واقعد في بيتك، وأغلق عليك بابَكَ، حَتَّى يأتِيَكَ الرزق!

فيأبى، ويقول: لا بدَّ من السعي في طلب الرزق؛ فتنهارُ حُجَّته مرَّةً ثالثة.

٤ ـ ونقول له أيضاً: أنتَ تحتجُّ بالأقدار، وتقول: كل شيءٍ بقضاءٍ وقدر.

وهذا صحيح، فأمسك هذه الجمرةَ بيدك، فإنْ قُدِّرَ عليك أن تحرق يدك أحرقتها وإلَّا فلا!

فيأبى، فتنهارُ حُجَّته مرَّةً رابعة.

٥ ــ ونقول له: إنَّ الإنسانَ مفطورٌ على دفعِ المكاره عن نفسه:

فمن داهمته سيارةٌ مثلاً، مدَّ يديه من غيرِ شعورٍ ليدفعها عن نفسه، مع ضعفِ اليدين وعجزهما عن دفعِ هذا المكروه!.

والغريق يتخبَّط، ويُحاول في تَخَبُّطه أن يَنْجُوَ من الغرق، مع أَنَّ التخبُّط لا ينجيه!.

فلِمَ لا يدفع العاقل عن نفسه المَكَاره التي يَلقاها في آخرته، بما أُوتي من قدرةٍ واختيار؟!.

نخلصُ من هذا: إلى أَنَّ السعيدَ يتعاطى أسبابَ السعادة باختياره، وهذا من القدَر.

وأنَّ الشَّقِيَّ يترامى في أحضانِ الشقاء باختياره أيضاً، وهذا من القدر.

وكلٌّ ميسَّرٌ لما خلِقَ له ــ كما سبق بيانه ــ ولا عذر لمخلوقٍ في شيءٍ من الأقدار، ولا حُجَّة.

هذا ما يتعلق بجانبِ المخلوق في موضوع القضاء والقدر.

وبقي الكلام على ما يتعلق بالخالق سبحانه:

إنَّ اللّٰهَ سبحانه وتعالى حكيمٌ، موصوفٌ بالحكمة، والحكمة وضعُ الشيء في محلِّه، وقد قَضَتْ حكمته تبارك وتعالى أن يكون إيمانٌ وكُفْرٌ، وهُدًى وضلال، وسعادةٌ وشقاوة، وجنَّةٌ ونار...

وعقلُ الإنسانِ قاصرٌ عن إدراك هذه الحكمة في الدنيا، وهو سيشهد لا محالةَ بالعدلِ الإلٰهي والحكمة الإلٰهية في الآخرة.

أمَّا في الدنيا فمِن أينَ لإنسانٍ ضعيفٍ خُلِقَ من ترابٍ أن يُدْرِكُ حكمةَ رب الأرباب؟!

قال الطالب: يا أستاذ، أليس قد يظنُّ ظانٌّ أَنَّ هذا الجواب ناشيءٌ عن العجزِ عن الجواب؟

أجابَ الأستاذ: ليس الأمر كذلك، وسأضربُ لك مثلاً فيه للمُسْتَرْشِدِ مَقْنَعٌ إن شاء الله تعالى:

أنتَ طالبٌ في المرحلة الثانوية، وتتلقَّى من العلوم الطبيعية والرياضية ما تتلقَّى، فإذا قرَّرَ لك أستاذك نظريَّةً رياضيَّةً، أو معادلة كيميائية مثلاً، وفهمتَها أحسنَ فهم، فهل يستطيعُ أستاذك أو تستطيع أنت أن تُقَرِّرَها لطفل صغير، فيفهمها منك، أو يفهمها من أستاذك، كما فهمتها أنت؟

قال الطالب: لا.

قال الأستاذ: ولِمَ؟!

قال الطالب: لأنَّ عقلَه لا يتَّسِعُ لمثل هذا.

قال الأستاذ: وهذا الطفل الَّذِي لا يتَّسِعُ عقله اليوم لإدراكِ هذه النظريَّة، أو فهم هذه المعادلة، أليسَ من المُحتَمَل أن يكون في المستقبل القريب، حين يكون في مثلِ سِنِّكَ أحسن فهماً لها منك؟

قال الطالب: بلى، من المحتمل ذلك.

قال الأستاذ: أوليس من المحتمل أيضاً، إذا هو تخصَّصَ في هذه العلوم، وبلغَ سنَّ أستاذك أن يفوق الأستاذ نفسه في علومه هذه؟

قال الطالب: بلى، ويمكن ذلك أيضاً.

قال الأستاذ: قد وصلتُ بك إلى المطلوب، فاسمع ما أقول:

إذا كانت درجة إدراك الإنسان للعلوم ومعرفة الحقائق وهو في سنِّ طفولة، ثُمَّ في سن شباب، ثُمَّ في سن كهولة، تتفاوت هذا التفاوتَ العظيم، فما بالك بالتفاوتِ بين عقلِ إنسانٍ ضعيفٍ، وحكمةِ إلٰهٍ قويٍّ قدير، عليمٍ خبير؟!

قال الطالب: شكراً لك يا أستاذ، فقد أزَلْتَ من قلبي شُبهاتٍ كانت تُزلزل إيماني، ووساوسَ أقضَّتْ عليَّ مَضْجَعي.

قال الأستاذ: الحمدُ لله الهادي إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم».

مثالٌ أخير:

«لو أخرجَ معلِّمٌ نتائج تلاميذه ــ الذين عاشَرهم سنين ووقَف على حقيقتهم ــ مُقَدِّراً لهم درجاتهم بناءً على عِلمه بهم، فهل يرضى الكَسولُ الَّذي نالَ صفراً مثلاً بهذه النتيجة؟ كلاَّ، ولكنه يطعن بتقدير معلِّمه، وأنه لا يوثق به.

فإذا أجرى له المعلم امتحاناً مع التلاميذ الآخرين، مُسْتوفياً كلَّ شروطِ الامتحان العادلة، ثُمَّ وزنت أجوبةُ الجميع بالقسطاس المستقيم، فنالَ كلُّ واحد منهم من الدرجاتِ ما يساوي الدرجة التي كان قدَّرَها له المعلم، بلا زيادةٍ ولا نقصان، حَتَّى الكسول لم يَنلِ إلَّا درجة الصفر، فماذا يقول؟ هل يستطيع إلَّا أن يعترف بدقَّةِ المعلم في تقديره، وثاقبِ علمه بتلاميذه؟ هل يستطيعُ أن يقول لمعَلِّمه: أنت الَّذي أجبرتَني على هذه النتيجة بتقديرك الأول؟.

نعم، لو وضعه المعلم في امتحان الخط على مقعدٍ لا يصلح للكتابةِ عليه، ولو أعطاه ورقة لا يثبتُ الحبر عليها، ولو أعطاه ريشةً رديئةً خلافاً لبقية التلاميذ، فَإِنَّ التلميذ في هذه الحالات يكونُ مُجْبَراً على الكتابةِ الرديئة، وتقضي العدالة ألاَّ يُحاسبَ على شيءٍ ليس له فيه حيلةٌ كما عرفنا في الكلام عن نوعَي القدر.

إنَّ حكم المعلم على التلميذ المهمل جاء نتيجةَ علمه الَّذِي علمه بتجربته، وإنَّ انطباق الواقع على المقدَّر لدَليلٌ على عِلمِ الَّذِي قدَّر، وليس دليلاً على أنه أجبر، فإذا كان الأمر هكذا بالنسبة لعلم المعلم، فكيف الحال بعلم الله الأزَليِّ، الَّذِي أحصى كلَّ شيء، ولا يَعْزُبُ عنه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السماء»[١].

«وهذا الطبيب الحاذقُ الَّذِي دعاه إنسانٌ إلى بيته ليُجْرِيَ الفحص على مريضه، وبعد أن أجرى الطبيبُ الفحصَ، أخبر أَنَّ هذا المريض لا أملَ في شِفائه، وأنه سيموت بعد فترةٍ وجيزة، لأنه عَلِمَ بخبرته أَنَّ مرضه سيشتد ويقوى.. وذكرَ الطبيب لمَنْ حوله ذلك، وَوَصف لهم المضاعفات المرَضِيَّةَ التي ستُصيبُ المريضَ بعد فترةٍ وجيزةٍ، ووقع الأمر كما قال الطبيب وأخبر؟ فهل إخبارُ الطبيب بذلك كان السببَ في موتِ المريض؟ أم أَنَّ هذا الإخبار مجرَّد انكشاف الحال أمام الطبيب؟.

وهل يقول عاقل: إنَّ علمَ الطبيب بموته كان السبب في موته؟

هكذا الأمر بالنسبة إلى علمِ اللَّـهِ الأزَلِيِّ (ولِلَّـهِ المثَلُ الأعلى) »[٢].

(١) الإسلام كما فهمت، للأستاذ محمد القاسمي ص ٢٨٤.
(٢) إيماننا الحق، للأستاذ إبراهيم النُّعمة ص ٢٦٦.

س١ ــ كيف تجيبُ مَنْ يحتجُّ بالأقدارِ على ضلالِهِ وشقاوته؟ من خلال إقامةِ الأدلة على اختياره.

س٢ ــ يقولُ بعضُ الناسِ إذا أُمِرَ بطاعة: حَتَّى يهدِيَني الله!! فماذا تجيبُ هؤلاء؟

س٣ ــ كيف تجيبُ مَنْ يتساءلُ عن حكمةِ اللّٰهِ سبحانه في وجودِ الإيمانِ والكفر والهُدى والضَّلال..؟

س٤ ــ هل علمُ اللّٰهِ سبحانه يُجْبِرُ العبادَ على سُلوكِ طريقِ الهدى أو الضلال؟ اضْرِب مثالاً على ذلك.

❏❏❏

الدرسُ التاسع والستون

٨ ــ الاحتجاج على المعاصي بالقدر

بعضُ الناس يحتَجُّونَ بالقدر على معاصيهم وسيِّئاتِ أعمالهم ويقولون: هذا مكتوبٌ علينا، سبقَ به القَدَر، وجرَى به القلم.

وهذا احتجاجٌ باطلٌ من عِدَّةِ وجوه:

الأول: «أَنَّ الله تعالى قدَّرَ أرزاقنا، فهي محدودةٌ بما قدَّره، محتومة لن تتغيَّر في علمه، ومع ذلك أمَرَنا سبحانه بالكسب والسعي.

وآجالُنا كتبتها الملائكة حين نَفَخَتْ فينا أرواحنا، ونحن في أرحام أمَّهاتنا، فهي معلومة محدودة، ومع ذلك أمَرَنا اللّٰهُ تعالى بالتَّداوي والبعد عن أسباب الضُّر والهلاك.

وهكذا خواتيمنا معلومةٌ عند الله تعالى، ومع ذلك أمَرَنا بالعمل الصالح، ونَهانا عن العمل الفاسد.

فيقال لِمَنْ يَحْتَجُّ بالقدَر ــ وهو مُغَيَّبٌ عنه ــ: لِمَ لا تَحتجَّ بالقدر المُغيَّب عنك في مَجَال رزقك وأَجَلِك، فاسْتَسْلِمْ للفقر الذي تعيشه، وللمرض النازل بك!! وإلَّا فما الفرق بين هذا وذاك؟!.

ولهذا، فإنَّه لا يجوزُ للعبد أن يحتجَّ بما هو مغيَّبٌ عنه ليسوغَ أعماله

الشريرة، لأنه مِن تسويل الشيطان له ووسوسته»[1].

الثاني: القائل بهذا القول من الاحتجاج بالقدر متناقض، فلو اعتدى عليه شخصٌ؛ فأخذَ مالَه وانتهك حُرمَته، أو استحلَّ دَمَه.. ثُمَّ احتجَّ المعتَدي بالقدَر، وقال له: لا تَلُمني، فَإِنَّ اعتدائي عليك كان بقدر الله.. لا رَيْبَ أنه ينكر عليه ظُلمَهُ واعتداءَهُ، ولا يَقبل اعتذارَه، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدَر في اعتداءِ غيرِه عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حَقِّ الله تعالى.

وهذا دليل كذب دعواهُ، وتناقض قولِهِ وفساده وبطلانه[2].

الثالث: أنَّ هذا القول وهو «الاحتجاج بالقدَر»، يَلزَمُ منه أن يَسْتَوِيَ أولياءُ الله وأعداءُ الله، وألاَّ يَتَمَيَّزَ المؤمنون من الفُجَّار، ولا أهلَ الجنَّة من أهل النار، وهذا مُحَالٌ؛ فَإِنَّ هؤلاء جميعاً قد كَتَبَ الله مقاديرَهُم قبل أن يخلقهم، ومنحَهم الإرادةَ والاختيارَ، وانقسموا إلى سعيدٍ بالإيمان والعمل الصالح، وإلى شقيٍّ بالكفر والفسوق والعصيان.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦].

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

الرابع: أنَّ سَبْقَ القدَر ــ لو كان عُذراً للعُصاة ــ لكانت الأمم الظالمة التي أهلكها الله معذورين فيما صنعوا، مظلومين بما عُوقبوا.. مع أَنَّ اللّٰهَ تعالى يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١].

(١) «من صحاح الأحاديث القدسية»، للأستاذ الشيخ محمد عوامة ص ٨٠ ــ ٨١.

(٢) مقرر التوحيد للمعهد الديني الثانوي بقَطَر ص ٤٨ ــ ٥٠ بتصرف واختصار.

ويقول سبحانه بعد أن تحدَّث عن بعض الأمم التي أنزل بها نقمته بسبب كُفرِهِم وإعراضهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

الخامس: تَعَلُّلُ المُذنبِ العاصي بالقَدَرِ جهلٌ لا ينفعُ صاحبه، بل يَضُرُّهُ، وهو ذنبٌ ثانٍ يُعاقَبُ عليه أيضاً.

وقد رُوِيَ أَنَّ لِصّاً أُحضِرَ بين يدي عُمر، فسأله: لِمَ سرقت؟ فقال: قدَّرَ اللّٰهُ ذلك. فقال عمر: اضربوه ثلاثين سوطاً، ثُمَّ اقطعوا يده. فقيل له: لِمَ؟ فقال: يُقطعُ لسرقتِه، ويُضربُ لكذِبِه على الله.

وكان السَّلف الصَّالح يَزْجُرونَ من احتجَّ بالقَدرِ على المعصيةِ، ويلومُونه أشدَّ اللوم.

«قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين قال له بعض الناس: يا أبا عبدِ الرحمنِ، إنَّ قوماً يزنونَ، ويشربونَ الخمر، ويسرقون، ويقتلونَ النفس، ويقولون: كانَ ذلك في علمِ الله، فلم نجد بُدّاً منه، فغضب عبد الله بن عمر، ثُمَّ قال: سبحان الله العظيم، قد كان في علم الله تعالى أنهم يفعلون ذلك، ولم يحملهم علم الله تعالى على فعلها. مَثَلُ علمِ الله تعالى فيكم كَمَثَلِ السَّماءَ التي أظلَّتكم، والأرضِ التي أَقَلَّتْكم، فكما لا تستطيعون الخروجَ من السماء والأرض، كذلك لا تستطيعون الخروجَ من علم الله، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب، كذلك لا يحملكم علم الله عليها».

ثُمَّ قال ابن عمر: «لَعَبْدٌ يعملُ المعصيةَ، ثُمَّ يقِرُّ بذنبه على نفسه أحبُّ إليَّ من عبدٍ يصوم النهار ويقوم الليل، ويقول: إنَّ الله تعالى يفعل الخطيئة فيه»[1].

(١) تعليقات العلاَّمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى على «رسالة =

إنَّ المسلم الحق يؤمن بالقَدَرِ، ولا يعتذر به عن تقصيره وتَعَدِّيه، فمن احتجَّ بالقَدَرِ على المعصية، حُجَّتُهُ دَاحِضَةٌ، وعُذْرُهُ غَيْرُ مقْبول، فهو يُسَوِّغ لنفسه البقاء على مُنكراته، وَبَدَلاً من أن يوَبِّخَ نفسه ويعتب عليها، إذا به يُلقي العَتْبَ على الله سبحانه.

ومن شأن المؤمن إذا وقع في معصية أن يُبَادِرَ إلى التوبة والاستغفار، ويقول كما قال آدم عليه السلام وزوجُه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

المناقشة

س١ ـ يحتجُّ بعض الناس بالقَدَرِ على معاصيهم، فيقعون في التناقض، وضِّح ذلك.

س٢ ـ الاحتجاج بالقدَر على المعاصي يستلزم المساواةَ بين أولياء الله وأعدائه، بيِّنْ ذلك.

س٣ ـ لماذا أهلك الله الأمم السابقة، وكيف تحتجُّ بذلك على مَنْ يعتذر بالقدر في تَسويغ المعصية؟

س٤ ـ ما موقفُ السَّلف ممَّن احتجَّ بالقَدَرِ على ارتكابِ المعاصي؟

س٥ ـ ما موقف المؤمن إذا وقع في معصية؟

❑❑❑

= المسترشدين»، للحارث المحاسبي ص ٩٦، وعزا قولَ ابنِ عمر إلى كتاب «المُنْيَة والأمل في شرح كتاب الملل والنِّحَل»، لأحمد بن يحيى بن المرتضى اليماني ص ٢٥ ـ ٢٦.

الدرسُ السبعون

٩ ـ ندفعُ الأقْدارَ بالأقْدار

نحنُ مطالَبونَ شرعاً أن ندفعَ أقداراً بأقدار[1].

فالجوع ـ مثلاً ـ من القَدَر، ونحن ندفعه بقَدَرِ الطعام.

والعطشُ من القَدَر، ونحن ندفعه بِقَدَرِ الشَّراب.

والمرضُ من القَدَر، ونحن ندفعه بالدواء، وهو من القَدَر أيضاً.

ولو أَنَّ امرءاً استسلم لقدَرِ الجوع أو الظَّمأ ـ مثلاً ـ وهو قادرٌ على دفعه، ثُمَّ مات، ماتَ عاصياً لله تعالى، الَّذي نهاهُ عن أن يُلقي بنفسه إلى التهلكة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا كلَّ الإفصاحِ، وأوضحَهُ كُلَّ الإيضاح، حينَ قيلَ له: يا رسولَ الله، أرأيتَ أدويةً نتداوى بها، ورُقًى نسترقي بها، وتُقاةً نَتَّقيها، هل تردُّ من قَدَرِ اللّه شيئاً؟ فقال ﷺ: **«هيَ من قدَرِ الله»**[2].

(١) «القضاء والقدر»، للأستاذ أبـي الوفاء محمد درويش ص ٤١ ـ ٥١، بتصرف واختصار.

(٢) أخرجه الترمذيُّ في الطب (٢٠٦٦)، وفي القدَر (٢١٤٩)، وقالَ: هذا حديثٌ حسن. **والرُّقى**: جمع رُقية، وهو ما يُقرأ من الدعاء لطلب الشِّفاء.

فهذا الجوابُ الحكيم، يَحفِزُ الهِمَمَ إلى العملِ النافعِ، ويهيبُ بالناسِ إلى اتِّخاذِ الأسباب، والإمْعَانِ في الحذر.

وقال أبو عُبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ حين أرادَ الرجوع من الشام لِما فيها من الطاعون: أفِراراً من قدرِ الله يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: لو قالها غيرك يا أبا عُبَيْدة! نعم، **نَفِرُّ من قدرِ اللّـهِ إلى قَدَرِ الله**.

كَرِهَ عمر لمثلِ أبي عبيدةَ ــ في جلالته وسابقته ــ أن يفوته مثلُ هذا المعنى في فهم القدَر، فبيَّنَ له أنَّ القدر محيطٌ بكل شيء، فالذي يفِرُّونَ منه، قدرُ الله، والذي يفِرُّونَ إليه؛ قدَرُ الله أيضاً، فالطاعونُ من قَدَرِ الله، والوقايةُ منه قدَرٌ من الله كذلك.

ثُمَّ ضربَ عمر له مثلاً فقالَ: «أرأيتَ إن كانت لك إبِلٌ، وكانت أمامك أرضٌ خِصْبة، وأرضٌ جَدْبة، أليس إن رَعَيْتَ الخِصْبة رعيتَها بِقَدَر الله، وإن رعيتَ الجَدْبةَ رَعَيْتَها بِقَدَرِ الله»؟ فقال أبو عبيدةَ: «بلى»، قال عمر: «فذلك كذلك»[1].

وما أحسن قولَ الإمامِ الفقيهِ الكبيرِ الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: «ليسَ الرجُلُ الَّذي يَسْتَسلم للأقدار، وإنما الرجل الَّذي يدفع الأقدارَ بالأقدار»، وفي روايةٍ ثانيةٍ عنه يقول: «نفِرُّ من القدرِ الفاضل إلى القدر الأفضل»، وهي كلمةٌ حكيمةٌ بصيرةٌ من لُبابِ الشَّرعِ والعقلِ جميعاً، وسندها ومرجعها في الكتابِ والسُّنَّةِ المطهَّرة[2].

---

(١) رواهُ البخاري في صحيحه (٥٧٢٩)، ومسلمٌ في صحيحه (٢٢١٩)، كلاهما في كتاب الطب، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) كما في مقدِّمةِ «التصريح بما تواترَ في نزول المسيح»، للأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى.

فلا تَتِمُّ مصالِحُ العبادِ في مَعَاشِهم إلَّا بمُدافعة الأقدار بعضها ببعض.

فَإنَّ الله تعالى يُقَدِّر المقادير، وَيُقَدِّرُ ما يدفعُ بعضها قبلَ وقوعه.

ومدافعةُ الأقدارِ على نوعين:

الأوَّل: مدافعةُ أقدارٍ قد انعقدت أسبابُها ولَمَّا تقع، بأقدارٍ تدفعها وتحولُ دونَ وقوعِها، كمدافعةِ عدُوٍّ متربِّصٍ بالإعدادِ له، والحذرِ منه.

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقوله عزَّ وجَلّ: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

والثاني: مدافعةُ أقدارٍ قد وقعت، بأقدارٍ تدفعها، كمدافعةِ المرض بالدواء.

وإلى هذا يشير قولُ الرسول ﷺ: «**تداوَوا عبادَ الله، فَإنَّ اللّـهَ لم يضع داءً إلَّا وضَعَ له دواءً، غير داءٍ واحد**»، قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: «**الهرم**»[1].

أمَّا الاستسلام للأقدار، مع القدرة على مدافعتها، فهي من العجز والكسل، والتهاون الَّذي نُهينا عنه.

فلا ينبغي أن يَحُولَ الإيمانُ بالقدرِ بيننا وبين اتِّخاذ الحيطةِ والحذر، والنظر في عواقب الأمور، والحِرص على الخير، والعمل على الظفر به، والفِرار من الشر، والعمل على النجاةِ منه[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في الطب (٣٨٥٥)، والترمذي في الطب (٢٠٣٨)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٢) فالحَذَرُ واتِّخاذُ الأسبابِ مطلوبٌ شرعاً، تحقَّق به دفعُ القَدَرِ أم لم يتحقَّق، =

وقد عَلِمَ اللّهُ سبحانه ضعفَ الإنسان، وَأَنَّهُ قد تطغى عليه الشّهوات، وَيُزيِّنُ له الشيطان، فيقع في المعاصي، فاقْتَضَتْ رحمته سبحانه أن يمحوَ بالتوبةِ النَّصوحِ أثَرَ المعاصي، فأمرَ بالتوبة ليمحُوَ بها قَدَرَ المعصية.

فمن دَفَعَ بالتوبةِ قدَرَ المعصيةِ ـ كما يدفع بقدَرِ الطعامِ قدرَ الجوع والهلاك ـ فقد استمسك بالعُروةِ الوثقى.

ومَن لَجَّ في عُتوِّهِ ونفورِهِ، فعلى نفسه جَنَى، وما ربُّكَ بظلَّامٍ للعبيد.

وقدَّر الله سبحانه وتعالى: أَنَّ الجِدَّ سببُ النَّجاح والظفر في الدنيا، وأنَّ عَمَلَ الصَّالحاتِ سَبَبُ الفلاح والفوزِ بالنعيم في الآخرة.

فإنْ قَصَّرْنا في العمل، وَحَاقَ بنا سُوءُ تقصيرِنا، كُنَّا جديرين باللوم والعقاب، لأننا مأمورونَ أن نأخذَ الحذر، وأن نحتاط للأمر، وأن نَجْلبَ لأنفسنا الخير، وأن ندفعَ الشَّرَّ عن أنفسنا ما استطعنا.

والمؤمنُ يجبُ عليه العمل، وبَذْل الجُهد لا الاستسلام للأقدار.

= وما أجملَ قول التابعي الجليل مُطَرِّف بن عبد الله الشِّخِّير المتوفى سنة ٩٥ رحمه الله تعالى: «ليس لأحدٍ أن يصعد فيلقيَ نفسه ويقول: قَدَّرَ لي ربِّي، ولكن يحذر ويجتهد، فإنْ أصابه شيءٌ علمَ أنه لن يصيبه إلَّا ما كُتِبَ له». نقله الذهبي في ترجمته في «تذكرة الحفَّاظ» ١/ ٦٤ نقلاً من التعليقات النفيسةِ على «رسالة المسترشدين» ص ١٠١ للعلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى.

قال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلَّا قد كُتِبَ مقعده من النَّارِ أو من الجَنَّة**»، فقال رَجُلٌ من القوم: ألا نتَّكِلُ يا رسول الله؟ قال: «**لا اعملوا، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له**»[1].

«وقد يتَّخِذُ الإنسانُ كلَّ الأسباب الممكنةِ، ويَسْتفرِغُ جُهْدَهُ، ويبذل قوَّته، مُستعيناً بالله سبحانه، ومُتوكِّلاً عليه، دونَ أن يَتَحقَّقَ مطلوبه.

فكم من مريضٍ راجعَ أكبر الأطبَّاءِ، وأُدخل أعظم المستشفيات، ولكن لم يَبْرأ.

وكم من رجلٍ طلبَ الوظيفةَ، وجَمَعَ كلَّ ما تحتاجُ إليه، من علمٍ وخبرةٍ، وشهادةٍ وخُلُقٍ، ولكنه لم يَنَلْها.

والأمثلةُ على ذلك كثيرة لا تُحصى، نعلمُ منها أَنَّ الأسباب وحدها لا تُوصل دائماً إلى الغاية، وأنَّ وراءها شيئاً آخر، هو الَّذي يكون به الربح أو الخسارة، والشفاء أو الموت، والنجاحُ أو الخيبة، وهذا الشيءُ يسمِّيه الجاهلون **حظّاً**، والملحدونَ **مُصَادفةً**، ويعرف العقلاءُ المؤمنون أَنَّ اسمه **القضاءُ والقدر**، وأنه عملُ الله خالق الأسبابِ والمُسبَّبات»[2].

(١) رواه البخاري في مواضع، آخرها كتاب القدَر، باب: وكان أمر الله قدَراً مقدوراً (٧٥٥٢)، ومسلم في كتاب القدَر أيضاً (٢٦٤٧)، كلاهما عن عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) مقالة «خواطر في تفسير إيَّاكَ نعبد وإيَّاكَ نستعين»، لشيخنا العلَّامة علي الطنطاوي رحمه الله تعالى، مجلة المسلمون، المجلَّد الثامن، العدد الأول، سنة ١٣٨٣.

س١ ــ كيف ندفعُ قدرَ الجوعِ والعطَشِ والمرض؟

س٢ ــ هل الأخذُ بالأسبابِ يتعارضُ مع الإيمانِ بالقَدَر؟ وضِّح ذلك من خلال الحوار الَّذِي دار بين أبـي عبيدةَ وعمر رضي الله عنهما.

س٣ ــ مدافعةُ الأقدارِ على نوعين، اذكرهُما مع الدليل لكلِّ نوعٍ منهما.

س٤ ــ ما حكمُ الاسْتِسْلام للأقدار، مع القدرة على مدافعتها؟

س٥ ــ هل الأسباب وحدها توصل دائماً إلى الغاية المطلوبة؟

س٦ ــ أكمل الأدلة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) «ما منكم من أحدٍ إلَّا كُتِبَ ....»

(ب) «أرأيتَ أدويةً نتداوى بها، ....»

(ج) قال الجيلانيُّ رحمه الله تعالى: «ليس الرجل الَّذِي يستسلم ....»

❑❑❑

الدرسُ الحادي والسبعون

١٠ ــ ثمراتُ الإيمانِ بالقَدَرِ

للإيمـان بالقـدَر ثمراتٌ عظيمـة، وفوائـدُ جليلـةٌ في حيـاةِ المؤمن، وأهم هذه الثمرات:

١ ــ الصَّبرُ والرِّضا:

الإيمـان بـالقـدَر يحمـل المـؤمـن على الصَّبـر والـرِّضـا والتَّسليـم لله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ــ ١٥٧].

ومن أدعيته ﷺ الدالَّةِ على التَّسليم والرِّضا: **«اللَّـهُمَّ لا مانعَ لِما أَعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعتَ، ولا رَادَّ لِما قَضَيْتَ، ولا ينفع ذا الجَد منك الجَدُّ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العلي العظيم»**[1].

(١) رواهُ البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣)، ومعنى **لا ينفع ذا الجَد منك الجَدُّ**: أي لا ينفعُ ذا الغِنى منك غِناه، وإنما ينفعه الإيمانُ والطاعة، **والجدُّ**: الحظُّ والسعادةُ والغِنى كما في «النهاية» ١/ ٢٤٤.

ومن دعائه ﷺ أيضاً: **«اللَّهُمَّ إني أسألُكَ إيماناً يُباشِرُ قلبي، حَتَّى أعلم أنه لا يُصيبني إلَّا ما كتبْتَ لي، ورِضاً من المعيشةِ بما قسمتَ لي»**[١].

ومن دعائه ﷺ أيضاً: **«اللَّهُمَّ إني أسألك الرِّضا بعد القضاء»**[٢]، وإنَّما قالَ: «الرِّضا بعد القضاء»، لأنَّ الرضا قبل القضاء عَزْمٌ على الرِّضا، حَتَّى إذا وَقَع القضاءُ فقد تنفسخ العزائم.

وكان عمر بن عبد العزيز يقولُ: ما تركتني هذه الدعواتُ ولي سرورٌ في غيرِ مواقع القضاء والقدر: «اللَّهم رضِّني بقضائك، وبارك لي في قَدَرك، حَتَّى لا أُحِبَّ تعجيلَ ما أَخَّرت، ولا تأخير ما عَجَّلت»[٣].

٢ ـ طمأنينةُ النفس:

الإيمان بالقضاء والقدر يُورثُ المؤمنَ طمأنينةَ النفسِ، وراحةَ البالِ، ويقْضي على القَلَق واليأس، لأنَّ المؤمن يعتقد بِسَعَةِ علم الله، وأنَّ الخير فيما اختاره الله له، وأنَّ الخيرَ كلَّهُ بيده سبحانه.

قال تعالى: **﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢١٦].

«فالعبدُ جاهلٌ بعواقبِ الأمور، عاجزٌ عن تحصيل مَصَالحه، ودفع مَضَارِّه بنفسه، لا يعلمُ ما هو خيرٌ من حوائج الدنيا التي تُجهل عاقبتُها، ولهذا شُرِعَت الاستخارةُ في الأمورِ الدنيويَّةِ كلِّها، وشرعَ أن يقول الداعي في

(١) رواه البزَّار كما في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٨١، للهيثَمي، وقال: «وفي سنده سعيد بن سِنان وهو ضعيف».

(٢) رواهُ أحمد ٤/ ٢٦٤، والنسائي (١٣٠٥)، من حديثِ عمَّار بن ياسر.

(٣) شرح حديث عمَّار، لابن رجب الحنبلي ص ٣٨ ـ ٣٩.

استخارته: **«اللَّهُمَّ إني أستخيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ العظيم، فإنَّك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وتعلمُ ولا أَعْلَمُ، وأنت علَّامُ الغيوب، ثُمَّ يقول: اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلم أَنَّ هذا الأمر ـ ويُسَمِّيهِ باسمه ـ خيرٌ لي في ديني ومعاشي، وعاقبةِ أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجلِه ـ فاقْدُرْهُ لي، وَيَسِّرْهُ لي، ثُمَّ باركْ لي فيه. وإن كنتَ تعلمُ أَنَّ هذا الأمر شرٌّ لي في ديني وَمَعاشي وعاقبةِ أمري ـ أو قال: عاجلِ أمري وآجله ـ فاصْرِفه عنِّي واصْرِفْني عنه، واقْدُر لي الخيرَ حيث كان، ثُمَّ أَرْضِني به»**[١].

وفي الحديث: **«من سعادةِ المرءِ: استخارتُه ربَّه عزَّ وجَلَّ، ورضاه بما قَضَى، ومن شقاءِ المرءِ: تركُه الاستخارَةَ، وسَخَطُهُ بما قضى»**[٢].

٣ ـ دعوةُ المؤمن إلى العملِ والسَّعي:

الإيمانُ بالقَدَرِ يدعُو المؤمن إلى العمل والسَّعي، فهو يفكِّر دائماً في المستقبل فلا يأسى ويُطيل البكاءَ على ما فاته ثقةً بِأَنَّ ما حَدَث لا يمكن تغييره، ولا يشغل نفسه كثيراً بالماضي إلَّا بمقدار ما يكتسب العِبرة.

قال ﷺ: **«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، احْرِص على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِن بالله ولا تَعْجِز، وإنْ أَصابَك شيءٌ فلا تَقُلْ: (لو) أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدَّرَ اللَّهُ وما شاءَ فعَل، فَإِنَّ (لو) تفتح عملَ الشيطان»**[٣].

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر (١١٦٦) و (٦٣٨٢) و (٧٣٩٠)، وفي الأدب المفرد (٧٠٣)، والترمذي (٤٨٠)، وأبو داود (١٥٣٨)، وابن ماجه (١٣٣).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٦٨، والترمذي (٢١٥١).

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر (٢٦٦٤) عن أبي هريرة.

٤ ـ الشجاعةُ والإقدام:

الإيمانُ بالقَدَرِ يبعثُ في المؤمن الشَّجاعةَ على مواجهة الشَّدائد، ويقوِّي العزائم، ثقةً بأنَّ كُلَّ شيءٍ بقَدَر، وكُلَّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَر، وأنَّ الله تعالى فَرَغَ من تقدير الأرزاق والآجال.

ولذلك يستقبل المؤمن الموتَ والشَّدائد وهو مُتَمثِّلٌ قول الله عزَّ وجَلّ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وبذلك يَتَحرَّرُ المؤمنُ من الخَوْفِ، ولا يذلُّ إلاَّ لله، لأنَّ الله هو الذي يملكُ رِزْقَه وأجَلَه وأمرَهُ كلَّهُ.

قال سيدُنا رسول الله ﷺ لابن عَمِّهِ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **«واعلم أَنَّ ما أصابكَ لم يكن لِيُخْطِئَكَ، وأنَّ ما أخْطَأَكَ لم يكُن لِيُصِيبَكَ، واعلم بأَنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ لن ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يَضُرُّوكَ بشيءٍ لن يَضُرُّوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليكَ، رُفِعَت الأقلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُف»**(١).

٥ ـ ثباتُ المؤمن أمام الابتلاء بالخَير والشَّر:

الإنسانُ إذا أصابَه الخير بَطِرَ واغْتَرّ، وإذا أصابه الشَّرُّ ونزل به البلاء جَزِعَ وحَزِنَ، ولا يعصم الإنسانَ من البطَرِ والطُّغيانِ إذا أصابه الخير، ومن الجَزعِ والهلعِ إذا أصابَه الشَّر، إلاَّ الإيمانُ بالقدر.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣]. ومن هنا نجد المؤمن بالقدر ثابتَ الأخلاق، لا تُبْطِره النعمة، ولا تُضْعِفُهُ المصيبة.

(١) رواهُ أحمد ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٥١٦)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٦ ـ الكرامةُ وعِزَّةُ النفس:

الإيمانُ بالقدَر يربِّي المسلمَ على الشُّعور بالكرامة وعزَّةِ النفس، فلا يرضى لنفسه الذُّلَّ والهوان، ولا يصبرُ على الهزيمةِ والعُدْوان.

ويرُدُّ الرسولُ ﷺ منطق الاستسلام الجَبْري أو السَّلْبي لأحداث الحياة ووقائع الدهر باسم الإيمان بالقَدَر، ويعتبر ذلك ضَرْباً من العجز المذموم في دين الله، وإليكَ هذه الواقعة في بيان ذلك:

فقد قضى النبيُّ ﷺ بين رجلين، فقال المَقْضيُّ عليه لَمَّا أدبر: «حَسْبيَ الله ونِعْمَ الوكيل»؛ فقال النبيُّ ﷺ: **«إنَّ الله يلومُ على العَجْزِ، لكن عليك بالكَيْس، فإذا غَلَبَك أمرٌ فَقُلْ: حَسْبيَ اللّهُ وَنِعْمَ الوكيل»**(١).

لَقَدْ كرِهَ النَّبيُّ ﷺ من الرجل أن يُواريَ عَجْزَهُ بالحَسْبَلَةِ والحَوْقَلَةِ، بَدَلَ أَنْ يُواجِهَ الأمرَ بما ينبغي من الحكمةِ والتَّفَطُّنِ، فالاحتجاجُ بالقدر في غير موضِعِهِ عَجْزٌ واسْتِسْلام.

ومن أدعية النَّبيِّ ﷺ التي عَلَّمَها لأصحابه: **«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بك من الهمّ والحَزَن، ومن العَجْزِ والكَسَلِ، وأعوذُ بكَ من الجُبْنِ والبُخل، ومن غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجَال»**(٢).

(١) رواه أبو داود (٣٦٢٧) في كتاب الأقضية، **والعجز**: ترك ما يجبُ فعلُهُ بالتَّسويف. **والكَيْس**: العقلُ وحُسْن التَّصرُّف.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (١٥٥٥)، **والهمُّ**: ما يتصوَّره العقل من المكروه في الحال. **والحزَنُ**: لِما وقعَ في الماضي. **والعجزُ**: ضدُّ الاقتدار. **والكسل**: ضدُّ النشاط. **والجبن**: ضد الشجاعة. **والبخل**: ضد الكرَم. **وغَلَبة الدَّين**: شدَّته وثِقَلُهُ. **وقهر الرجال**: شدَّة تسلُّطِهِمْ لِما في ذلك من الوهن في النفس والمعاش.

س١ ــ الإيمانُ بالقَدَرِ يحملُ المؤمن على الصبر والرضا، اشرح ذلك.

س٢ ــ لِمَ شُرعتْ صلاةُ الاستخارة، وماذا يقول الداعي في استخارته؟

س٣ ــ الإيمان بالقدَر يدعو المؤمن إلى العمل والسعي، وضِّح ذلك.

س٤ ــ الإيمان بالقدر يبعث في المؤمن الشَّجاعةَ وقوَّةَ العزيمة، بَيِّنْ ذلك.

س٥ ــ المؤمن بالقدر ثابت الأخلاق، لا تُبْطره النعمة ولا تُضْعفه المصيبة، اشرح ذلك.

س٦ ــ هل يعني الإيمانُ بالقَدَرِ الاسْتسلام الجَبْريّ أو السَّلبي لأحداث الحياة؟ اذكر الدليل على ما تقول.

س٧ ــ أكمل الأدِلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما تُرشد إليه:

(أ) قال ﷺ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله ....
..................................».

(ب) قال ﷺ لابن عباسٍ رضي الله عنهما: «واعلم بِأَنَّ الأمة ...
..................................».

❑❑❑

الفَصل السَابع

خصائص العقيدة الإسلامية

١ ــ عقيدة رَبَّانيَّة.

٢ ــ عقيدة فِطريَّة.

٣ ــ عقيدة واضحة.

٤ ــ عقيدة مُبَرْهَنة.

٥ ــ عقيدة وسطيَّة.

٦ ــ عقيدة عمليَّة.

٧ ــ عقيدة شُمُولِيَّة.

الدرس الثاني والسبعون

١ ـ عقيدة ربّانيّة

من خصائصِ العقيدة الإسلامية: الرَّبَّانية. ومعناها: الانتسابُ إلى الربِّ سبحانه وتعالى.

(أ) رَبَّانية المصدر والمنهج:

العقيدة الإسلامية ربَّانيةُ المصدر، لأنَّها وحيُ اللّهِ تعالى إلى خَاتَمِ رسُلِهِ محمدٍ ﷺ، وهي مُستفادةٌ من كلام الله الَّذي لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، ومن السُّنَّةِ المُبيِّنةِ للقرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فهي عقيدةٌ ربَّانيَّة كاملة، لا تقبل الزيادةَ أو النقصان، وثابتةٌ لا تقبل التَّحريفَ والتبديل، فليس لحاكمٍ من الحكام أو مجمعٍ من المجامع العلميَّة، أو مؤتمرٍ من المؤتمرات الدينية أن يُضيفَ إليها أو يُغيِّرَ فيها[١].

(ب) هي إخبارٌ عن حقائقِ الوجودِ وربّ الوجود:

ليست العقيدة من قَبيلِ ما يُسمَّى في المنطق والبلاغة «إنشاء»، إنما هي

(١) الخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي ص ٣٩ ـ ٤٠.

من قَبيل «الإخبار»، لأنها خبَرٌ عن القضايا الكبرى في الوجود: عن الله سبحانه وأسمائه وصِفاته، وعن عَوالِمِ الغيب، ممَّا لا يُدركه الحس، ولا يهدي إلى تفصيله العقل.

ومن ثَمَّ لا يملك أن يخبر عن هذه القضايا إلَّا مَن يُحيط بها علماً، وهو الله تعالى، أمَّا البشَرُ المخلوقون فلا يدخل علم هذه الغيبيَّاتِ في اختصاصهم، يقولُ سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(ج) سلامتها من التَّحريفِ والتَّبديل:

العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة في العالم التي مصدرها كلماتُ الله، غير مُحرَّفةٍ ولا مُبدَّلةٍ، ولا مخلوطةٍ بأوهامِ البشَر وأغلاطهم وانحرافاتهم.

إنَّ العقائد التي تسيطر على العالم اليوم ـ فيما عدا الإسلام ـ ثلاثٌ:

١ ـ **عقيدة دينيَّة مُحرَّفة**: ـ وإن كانت إلـٰهيَّةً في أصلها ـ عملت فيها يدُ التَّحريف والتبديل، فأدخلت فيها ما ليس منها، وحَذَفَتْ منها ما هو فيها، واختلط فيها كلام اللَّـهِ بكلامِ البشَر، ولَم يبقَ ثَمَّةَ ثقةٌ بربَّانيَّةِ مصدرِها، وذلك كاليهوديَّة والنصرانية.

٢ ـ **عقيدة دينية بشريَّة**: مثل الديانة البوذية القائمة في الصين واليابان والهند، والتي لا يُعرف لها أصل إلـٰهي، أو كتاب سماوي، ومصدرها فكرٌ بشَري.

٣ ـ **منهج بشَريٌّ محض**: مصدره التفكير العقلي أو الفلسفي لبشرٍ فرد،

أو مجموعةٍ من الأفراد كالشيوعية التي اضْمَحَلَّ وجودُها، والرأسمالية، والوجوديَّة وغيرها[1].

أما عقيدة الإسلام فهي العقيدة التي سَلِمَت من تحريف وتدخُّل البشر، لأنَّ الله تعالى تَوَلَّى حفظ كتابه بنفسه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(د) ربَّانية الغاية والمَقْصِد:

فكما أَنَّ العقيدة الإسلامية رَبَّانِيَّةُ المصدر والمنهج، فهي كذلك ربَّانية الغاية والمَقْصِد، لأنها تجعل غايةَ الإنسان الأخيرة، وهدفَه البعيد هو حُسْنُ الصِّلةِ بالله تعالى، والحصولُ على مرضاته، ليكون عبداً خالصاً لله تعالى، لا لأحدٍ سواه، وهذا هو معنى التوحيد: إفراده سبحانه بالعبادة، فلا يُشْرِك به أحداً، ولا يُشْرِك معه شيئاً، وهذا معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

ولقد خاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بهذه الحقيقة، وأمرَهُ أن يُعلنَها للناس، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾[2]﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣].

* * *

(١) المصدر السابق ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) **صراطٍ مستقيم**: طريقٍ قويم وهو دينُ الإسلام، **ديناً قِيَماً**: مستقيماً ثابتاً، مقوِّماً لأمور المعاش والمعاد، **ملَّةَ إبراهيم**: دين إبراهيم وشريعته، **حنيفاً**: الحنيف المائل، وهو ميلٌ عن الشِّركِ إلى التوحيد، **ونُسُكي**: النُّسُك العبادة، وكل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى.

٢ ـ عقيدة الفطرة

عقيدة الإسلام مُتَّفِقةٌ مع الفطرة، وهذا هو صريح قول الله عزَّ وجَلّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وصريح الحديث النبوي: «**كلُّ مَوْلودٍ يولَدُ على الفطرة** ـ أي على الإسلام ـ **فأبواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانه**»[1]، ذَكَرَ الحديثُ التهويدَ والتَّنصيرَ والتَّمجيسَ، ولَم يذكر الإسلام، ولم يقُل: أو يُسَلِّمانه، فدلَّ على أنَّ الإسلام فطرةُ الله فلا تحتاج إلى تأثيرٍ من الأبوين، أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء وتأثير البيئة، وإليكَ أمثلةً عَلَى اتفاقِ العقيدةِ الإسلامية مَعَ الفطرة البشرية:

المثال الأول: وجودُ اللَّهِ تعالى وَوَحدانِيَّتُهُ:

يهتدي الإنسان بفطرته السليمة أنَّ للكونِ إلٰهاً واحداً.. وإذا اختفت هذه الفطرة في ساعاتِ اللهوِ والرخاء، فإنها تظهر عند الشدَّة والبلاء.

ولو خُلِّيَ الناسُ فيما بينهم وبين أنفسهم، ولم يقَعوا تحت مُؤثِّرٍ خارجي؛ لأَقَرُّوا بوجودِه ووحدانيَّته سبحانه وتعالى.

المثال الثاني: الإيمانُ باليوم الآخر:

الإيمانُ باليوم الآخر فطرةٌ فطَرَ اللَّـهُ الناسَ عليها، فكلُّ إنسانٍ يشعر بقَرارة نفسه أنه لَمْ يُخْلَق لمجرَّد هذه الحياة وتلك المدَّة القصيرة.

«ويحسُّ من نفسه كذلك بعدم النهاية في شعوره ومطالبه، وفي شوقه إلى عالمٍ لا يتناهى، وكلما وَصَلَ إلى شيءٍ طلب غيرَهُ، لأنه يجده غير مُحقِّقٍ

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلمٌ (١٧١٨).

لما تتوق إليه نفسه، من صفاء لا مُكدِّرَ له، وسعادةٍ ليس فيها شقاوة، ومُلْكٍ لا يعتريه زوال، ونعيمٍ كنعيمِ أهل الجنة.. فهو يحسُّ بأنه مُستعدٌّ لهذا، ولكنه يطلبه من هذا العالم جهلاً منه، فإنَّ هذا الشعور النفسي لم يُخلق عبثاً ولا جُزافاً»[1].

المناقشة

س١ ـ **تَتَمَيَّزُ عقيدةُ الإسلام بأنها ربَّانية المصدر، بيِّن معنى ذلك، ثُمَّ اذكر ما يترَتَّبُ على هذه المزيَّة من أمور.**

س٢ ـ **تَتَمَيَّزُ عقيدة الإسلام بأنها ربَّانية الغاية والمَقْصد، بيِّن معنى ذلك.**

س٣ ـ **هل العقيدة الإسلامية من قبيل الإخبار أم الإنشاء؟ وضِّح ذلك.**

س٤ ـ **ما أهم العقائد التي تسيطر على العالم اليوم، وما مزيَّةُ العقيدة الإسلامية عن تلك العقائد؟**

س٥ ـ **من خصائص العقيدة الإسلامية أنها عقيدة الفطرة، اشرح ذلك.**

س٦ ـ **من دلائل الفطرة: وجود الله تعالى ووحدانيته، بيِّن ذلك.**

س٧ ـ **من دلائل الفطرة: الإيمان باليوم الآخر، وضِّح ذلك.**

س٨ ـ **أكمِل الأدلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما تدلُّ عليه:**

(أ) ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى ....﴾.

(ب) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ....﴾.

(ج) «**كلُّ مولودٍ يولدُ** ....».

❑❑❑

(١) مجلة الأزهر، العدد الثاني من المجلد الأول سنة ١٣٤٩، مقال للشيخ يوسف الدَّجوي بعنوان: البعث.

الدرس الثالث والسبعون

٣ ـ عقيدةٌ واضحةٌ

فهي عقيدةٌ واضحة لا تعقيدَ فيها ولا غموض، تُناسب جميعَ المُكلَّفين، وتُقْنِعُ جميع المُستويات الفِكْريَّة والاجتماعيَّة، وإليك بعض الأمثلة على وضوحِ العقيدة الإسلامية:

المثال الأول: العقيدة في ذات الله سبحانه:

تَتَلَخَّصُ عقيدةُ الإسلام في ذاتِ الله تعالى بإثبات وجوده، وأنَّ لهذا الكون البديع المُتْقَنِ ربّاً واحداً خلقَهُ وأتقنه، وقدَّر كلَّ شيءٍ فيه.

وهذا الإلـٰه ليس له شريكٌ ولا شبيهٌ ولا صاحبةٌ ولا ولد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

مقارنة:

١ ـ فأين من هذا الوضوح: **عقيدة التثليث** في الوَثَنِيَّات القديمة، أو في المسيحيَّة المتأثِّرَةِ بها التي تجعل الثلاثة واحداً؟ والواحد ثلاثة، وتقول: الأب والابن والروح القدس إلـٰه واحد؟ فتُخالف العقل، وتُرْبِكُ الفكر، وتكلِّفه اعتقاد المحال؟

٢ ـ وأين من هذا الوضوح: **عقيدة اليهود** الذين يقولون: عُزَيرٌ ابنُ الله، والذين يُجسِّمون الله سبحانه، ويتحَدَّثُون عنه كأنه واحدٌ من البشر؟

٣ ـ وأين من هذا الوضوح: **عقيدة الوَثَنِيِّين** الَّذِينَ يُؤَلِّهون الشَّمسَ والحجرَ والبشرَ والبقرَ؟

المثال الثاني: ذاتُ النَّبي ﷺ:

عقيدة الإسلام في ذاتِ النبيِّ ﷺ واضحةٌ نَيِّرَةٌ ليس فيها غموضٌ ولا التواء، ولا تَهَاويلُ ولا ادِّعاء، فهو ﷺ بَشَرٌ اصْطَفاه الله تعالى، وخصَّهُ بالوحي.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

فهو ليس مَلَكاً، ولا يعلمُ من الغيب إلَّا ما أَطْلَعه الله سبحانه عليه، وليس له من الأمرِ شيء، وإنما هو مُبَلِّغٌ عن ربِّه عزَّ وجَلّ.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩].

وقَضِيَّةُ النبوَّة والرسالة في عقل المسلم وشعوره واضحةٌ تماماً مُتميِّزَةٌ عن قضيَّة الربوبيَّة والإلـٰهيَّة، فالرُّسُلُ ليسوا آلِهةً ولا أبناءَ آلِهة: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

مقارنة:

١ ـ فأين من هذا الوضوح ما أحاط به النصارى شخصيَّةَ المسيح، وما

نحَلوه من صِفات الإلَـٰهيَّة والربوبيَّة، فقالوا: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟!

«ولم يتَّضِح للنصارى حقيقة المسيح ما هي؟ حَتَّى إنَّهم عَقَدوا المجامع للبحث في طبيعته، أَهُوَ إلـٰه؟ أم ابن إلـٰه؟ أم بشرٌ خالص؟ أم بَشَرٌ حلَّ فيه الإلـٰه؟ أم جزءٌ من أقانيمَ ثلاثةٍ[1] يتكوَّن منها الإلـٰه: الأب والابن والرُّوح القُدُس؟ والرُّوح القدُس نفسه اختلفوا فيه ما هو؟ وما علاقته بالأقنومَيْن الآخَرين؟ وأمُّ المسيح التي ولدته ما هي أيضاً؟ وما نصيبها من اللاهوت والنَّاسوت[2] أو الإلـٰهية والبشَريَّة؟

كُلُّ هذه الأسئلة وغيرها كانت مجالاً للبحث والجدل والاختلاف والتَّفَرُّق، بحيث نشأَ حولها فِرَقٌ وطوائف يُكَفِّرُ بعضها بعضاً، ويلعنُ بعضها بعضاً، حَتَّى أصبحت وكأنها أديانٌ متباعدة، لا نِحَلٌ في دينٍ واحد»[3].

٢ ـ وأين من هذا الوضوح: ما أحاط به اليهود شخصيَّة إسرائيل (يعقوب) عليه السلام من خُرافاتٍ وتَهاويل حَتَّى زَعَموا أنه صرَعَ اللَّـهَ سبحانه؛ فَصَرَعَهُ؟

٣ ـ وأين من هذا الوضوح: ما أُحيطت به قَصَصُ بعض الأنبياء في العهد القديم من مزاعم وادِّعاءات وأساطير وخرافات؟

---

(١) **الأقانيم**: جمع أقنوم وهو الجوهر، والشخص، والأصل، ويستعمل عند النصارى للدلالة على الثالوث، «المعجم الوسيط».

(٢) **النَّاسوت**: الطبيعة البشَريَّة، ويقابله **اللاهوت**: بمعنى الإلهيَّة «المعجم الوسيط».

(٣) الخصائص العامة للإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي ص ١٩٠ ـ ١٩١.

المثال الثالث: المسؤوليَّةُ والجَزاء:

تقرِّرُ عقيدةُ الإسلام بوضوحٍ مسؤولية الإنسان عن عمله، فلا يحمل الابنُ وِزرَ أبيه، ولا الأخُ وِزْرَ أخيه، وكلُّ امرىءٍ بِما كسبَ رهين، وكلُّ إنسانٍ مُخْتَصٌّ بذنبه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] [فاطر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤١].

ومعنى هذا: أَنَّ مصيرَ كلِّ إنسانٍ ليس بيدِ كاهنٍ أو قِدِّيس، إنما مصير الناس بأيديهم أنفسهم، حسبما تشهد صحائفهم، وتقرِّره موازينهم، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

مقارنة:

فأين هذا الوضوح مِمَّا تُقَرِّرُهُ الديانة النصرانيَّة من أَنَّ خطيئة آدم في أكلِهِ من الشَّجرة حمَلَها أبناؤه وذُرِّيَّتُه من بعده، وما زالوا يَتَحَمَّلون وِزْرَهَا حَتَّى جاء المسيح ـ المُخَلِّص أو الفَادي ـ في زعمهم، فَقَدَّمَ نفسَه للصَّلْبِ فداءً لهم لتخليصهم من وِزْرِ أبيهم آدم؟

---

(١) **الوِزْر**: الثِّقل، ويُعَبَّر بذلك عن الإثم، أي أَنَّ كلَّ نفس يوم القيامة لا تحمل إلَّا وِزرها الَّذي اقْترفته، لا تُؤَاخَذُ بذنبِ غيرها، وهذه الآية في الضَّالين، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، فهذه الآية في المُضِلِّين، يحملون أثقالَ مَنْ أضلُّوهم من الناس مع أثقالِ أنفسِهم، كما جاء في الحديث: «ومن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً كان عليه وِزرُها وَوِزْرُ مَنْ عمِلَ بها»، أي: مثل وزر من عمل بها.

س١ ـ تتميَّز العقيدة الإسلامية بالوضوح في ذاتِ الله تعالى، بيِّن ذلك.

س٢ ـ قارِن بين وضوح العقيدة الإسلامية في ذاتِ الله تعالى، وبينَ غيرها من العقائد.

س٣ ـ تَتَمَيَّز العقيدة الإسلامية بالوضوح في ذاتِ النبـيِّ ﷺ، اشرح ذلك.

س٤ ـ قارن بين وضوح العقيدة الإسلامية في ذات النبـي ﷺ، وبين عقيدة النصارى.

س٥ ـ تتميَّز العقيدة الإسلامية بالوضوح في المسؤولية والجزاء، بيِّن ذلك.

س٦ ـ قارِن بين وضوح العقيدة الإسلامية في مسؤولية الإنسان عن عمله وما تقرره الديانة النصرانية.

س٧ ـ أكمل الأدلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ .... ﴾.

(ب) ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ .... ﴾.

(ج) ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ .... ﴾.

❑❑❑

الدرس الرابع والسبعون

٤ ـ عقيدة مُبَرْهَنة

ممَّا اخْتَصَّت به العقيدة الإسلامية أنها تُوافقُ العقل، وتعتمد على الحُجَّةِ والبرهان، وتتحاكم إلى العقل فيما تقرِّره، ولا تكتفي بتقرير قضاياها بالإلزام المُجرَّد، والتَّكليف الصَّارم.

فإذا كانت هناك أديانٌ ونِحَلٌ تُطالب أتباعَها بالطَّاعَةِ العمياء والتَّسليم المُطْلَق بغير اقتناعٍ ولا بيِّنةٍ، وتقول لأتباعها: «أطفىء مِصْبَاح عَقْلِكَ وَسَلِّمْ، وسِرْ وأنتَ أعمى..»، فَإنَّ القرآن الكريم يقول بكلِّ صراحة: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

وإليكَ بعض الأمثلة على البراهين والأدلة العقلية التي يقيمها القرآن الكريم على القضايا العقَدية الكبرى[١].

(أ) وجود الله عزَّ وجَلّ:

والبرهانُ الَّذي أقامه القرآنُ للدلالةِ على وجودِ الله سبحانه، قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦].

---

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم، للدكتور القرضاوي ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨.

فلا يمكن أن يكونوا خُلِقوا من غير شيءٍ، لأنَّ هذا ينافي قانون **السَّبَبِيَّة**، وهو أَنَّ كُلَّ سببٍ لا بُدَّ له من مُسبِّب، وَكُلَّ أثرٍ لا بدَّ له من مُؤثِّر، وكُلَّ صنعةٍ لا بدَّ لها من صانع، وهو مبدأٌ فِطْرِيٌّ وعقليٌّ، لا يُنازع فيه إلَّا مُكابر، فإذا لم يُخْلَقوا من غير شيءٍ، فلا يُمكن أن يكونوا خَلَقَوا أنفسهم، لأنَّ المخلوق لا يخلق نفسه، والمخلوق قبل خلقِهِ عَدَمٌ، والعدمُ لا يُنشىء الوجود.

ولا يمكن أن يكونوا هم خالِقِي السَّموات والأرض، لأنها مخلوقَةٌ قبل وجودهم، ولا يستطيع مخلوقٌ أن يدَّعي أنه خلقهما.

(ب) وَحْدانيَّة الله:

والبرهانُ الَّذي أقامه القرآن للدلالة على وحدانيَّة الله تعالى، وأنه واحدٌ لا شريك له، قولُهُ سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(ج) إنزال الكُتُب وإرسال الرُّسُل:

وهذا البرهان العقلي الَّذي أقامه القرآن على صحَّة إنزال الكُتُب وإرسال الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

بيَّنَ سبحانه أنهم لم يُعطوا الله تعالى حَقَّهُ، ولم يَقْدُروهُ حقَّ قدره، إذ نَفَوا نفياً مطلقاً إنزاله على بشرٍ كتاباً، والحكيم لا يدَعُ عباده هَمَلاً، ولا يتركهم سُدًى دون أن يُنزل عليهم من كتبه، ويبعث فيهم مِن رسُلِهِ مَنْ يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه.

(د) البعث والجزاء:

أقامَ القرآنُ عدَّةَ براهين على أحَقِّيَّةِ البعثِ بعد الموت، والجزاء العادل في الآخرة، من ذلك:

١ ـ **دليل الخَلْق الأول**: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وهذا قياسٌ أولويٌّ عقليٌّ يثبت القرآن به إمكانَ بَعْثِ الأجساد، ويردُّ على مَن ينكرونه ويقولون باستحالته.

٢ ـ **خَلْق السَّموات والأرض**: ثُمَّ يلفتهم إلى دليلٍ آخر، وهو خلقُ الأجرام العظيمة في هذا الكون الواسع: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

٣ ـ **إحياء الأرض الميِّتة**: ومن البراهين التي أرشد إليها القرآنُ في قضية البعث إحياءُ الأرضِ الميتة الهامدة، حين ينزل عليها الماء، فتهتَزُّ وتُنْبِتُ من كلِّ زوجٍ بهيج، وما أشبه الإنسان بالأرض التي خُلِقَ منها وعاش فيها.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٣٩ (١)﴾ [فصِّلت: ٣٩].

٤ ـ **بُطلانُ التَّسوية بين الأخيار والأشرار**: ومن البراهين التي ساقها القرآن للدلالة على قضية البعث والجزاء ما ينكره العقل الرشيد وتأباه الفطرة السليمة من التَّسوية بين الأخيار والأشرار، وبين المُتَّقين والفُجَّار..

(١) **خاشعةً**: يابسةً مغبَّرة، والخشوع: التذَلُّلُ، فاستُعير لحالِ الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها، **اهتزَّت**: تحرَّكَت بالنبات، **ورَبَتْ**: نَمَتْ وزادَت.

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

المناقشة

س١ ـ ما معنى أَنَّ العقيدة الإسلامية مُبَرْهَنة؟

س٢ ـ اذكر القضايا العقدية الكبرى التي أقامَها القرآنُ على أساسِ الحُجَّة والبرهان.

س٣ ـ ما البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على وجودِ الله سبحانه؟

س٤ ـ ما البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على وحدانيَّةِ الله تعالى؟

س٥ ـ ما البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على صحَّة إنزال الكُتُبِ وإرسالِ الرُّسُل؟

س٦ ـ ذَكَرَ القرآنُ عِدَّة براهين على البعث والجزاء، اذكر ثلاثة منها.

س٧ ـ أكمل الأدلَّة الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

(أ) ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ . . . .﴾.

(ب) ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ . . . .﴾.

(ج) ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . . .﴾.

❑❑❑

الدرسُ الخامسُ والسَّبعون

٥ ـ عقيدة وسط

وهي عقيدة وسط[1]، لا تجد فيها إفراطاً ولا تفريطاً، وإليك بعض الأمثلة على الوسطية في العقيدة التي هي من أبرز مزاياها[2]:

المثال الأول: الإيمانُ بالله عزَّ وجَلّ:

عقيدة الإسلام وسط بين الماديِّين الَّذِينَ ينكرون عالَم الغيب، وما وراءَ الطبيعة ممَّا لا تصل إليه حواسُّهم، خانِقِينَ صوتَ الفطرة في صدورهم، مُتحدِّينَ منطقَ العقل في رؤوسهم، وبين الخرافيين الَّذِينَ يُثْبتون للعالمِ أكثر من إلـٰه، بل يُحِلُّونَ روحَ الإلـٰهِ في الملوك والحكام، بل في بعض الحيوانات والنبات مثل الأبقار والأشجار.

فقد رفضت عقيدةُ الإسلام الإنكارَ الملحد، كما رفضت التعديدَ والإشراكَ الجاهل، وأثبتت للعالم إلـٰهاً واحداً لا إلـٰه إلاَّ هو، لَمْ يَلِدْ ولم

(١) الوسط يقال فيما له طرفان مذمومان، كالجود الَّذِي هو بين البخل والإسراف، فيستعمل بمعنى الاعتدال البعيد عن الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعني عدولاً خياراً، وخير الأمور أوسطها.

(٢) الإيمان والحياة ص ٤٩ ـ ٥٧، والخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي ص ١٣٥ ـ ١٣٧.

يولد، ولم يكن له كُفُواً أحد، وكلُّ ما عداه مخلوقات لا تملك ضَراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

المثال الثاني: صفات الله تعالى:

فليس في عقيدةِ الإسلام الغلوُّ في التَّجريد(1) الَّذي جعل صفاتِ الإلـه مُجرَّد سُلوب لا تُعطي معنى، ولا تُوحي بخوفٍ أو رجاء، كما فعلت الفلسفة اليونانية.. فكُلُّ ما وصفت به الإلـه أنه ليس بكذا وليس بكذا.. من غير أن تقول ما صفاتُ هذا الإلـه الإيجابيَّة؟ وما أثرُها في العالم.

ويقابل هذا أنَّ العقيدة الإسلامية خَلَتْ من التَّشبيه والتَّجسيم الَّذي وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية التي جعلت الخالق كأحدِ المخلوقين من الناس، ووصفته بالنوم والتعب والراحة، والمُحَاباة، والقسوة.. وجعلته يلتقي ببعض الأنبياء فيصارعه، فيغلبه ويصرعه؟.

ولكنَّ عقيدةَ الإسلام تُقرِّر تنزيهَ اللّـهِ سبحانه عن مُشَابهة مخلوقاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ومع هذا تصِفه سبحانه بصفاتٍ إيجابيَّةٍ فعَّالة كما قال تعالى في آيةِ الكرسي(2): ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى

(1) **التَّجريد**: عزلُ صفةٍ عَزْلاً ذِهنياً وقَصْرُ الاعتبارِ عليها، كما في «المعجم الوسيط»، والمراد: نفيُ صفات الخالق سبحانه وتعالى.

(2) آيةُ الكرسي أعظمُ آيةٍ في القرآن الكريم لِما جمعت من أصولِ الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياةِ والعلم والقيُّومية والملك والقدرة والإرادة، فهذه أصولُ الأسماء والصفات.

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾(1)﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٢ ـ ١٦].

المثال الثالث: النُّبُوَّة:

والعقيدةُ الإسلامية وسط في أمر النبوَّة، فلم ترفع الأنبياء إلى مقام الإلـهيَّة، كما اعتقد أهل المِلل في أنبيائهم كالنَّصارى الَّذِينَ وصفوا المسيح بالإلـهيَّةِ، ولم تنزل بهم إلى مستوى السَّفَلَةِ من الناس، فتنسب إليهم ارتكاب الموبقات، وفعل المنكرات، واتِّباع الشهوات كما في وَصْفِ أسفار العهد القديم للأنبياء عليهم السلام.

وإنما الأنبياء في عقيدة الإسلام بَشَرٌ أصفياء، أنزل الله وحيه عليهم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وجعَلَهُم أُسْوَةً لأتباعهم، وعصمهم من قبائح الذنوب ودَنيء الأعمال.

المثال الرابع: الإرادة الإنسانية:

وهي عقيدةٌ وسَطٌ في قضيةِ الإرادة الإنسانية، (الجَبْر والاخْتيار)، فهي توافق الفطرةَ السليمة، والواقعَ المشاهَد.

(1) **القيُّوم**: القائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه، **لا تأخذه سنةٌ ولا نوم**: تقدَّم تفسيرها ص ٧٣، **إلَّا بما شاء**: وهم الأنبياء والرُّسُل، ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلاً على نبوتهم، **لا يؤُدُه**: لا يثقله ولا يجهده ولا يشقّ عليه، **حفظهما**: حفظ السموات والأرض.

فالإنسان في دائرة أعماله الاختيارية حرٌّ مسؤول عن نفسه وعمله، له أن يفعل وأن يترك، كما تشهد بذلك مئاتُ النصوص القرآنية التي تقرِّر حُرِّيَّةَ الإنسان ومسؤوليَّتَه عن عمله.

ولكن الإنسان ــ كما هو الواقع ــ ليس مُطْلَقَ الإرادة، كاملَ الاختيار، يفعل كل ما يشاء، وينفِّذ كل ما يريد.

فالإنسانُ ليس مُسَيَّراً فحسب كما يقول الجبرية، ولا مُخَيَّراً فحسب كما تقولُ المعتزلة، إنَّمَا هو مُسيَّرٌ ومُخيَّرٌ معاً.

واختيارُ الإنسان ومشيئته فوقها إرادةُ الله ومشيئتُه وعلمُه وحكمتُه.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

المناقشة

س١ ــ اذكر أربعَةَ أمثلةٍ تدلُّ على وسطية العقيدة الإسلامية.

س٢ ــ العقيدة الإسلامية وسط في قضية الإيمان بالله سبحانه، بيِّن ذلك.

س٣ ــ العقيدة الإسلامية وسطٌ في قضية صفات الله تعالى، وضِّح ذلك.

س٤ ــ العقيدة الإسلامية وسطٌ في أمر النبوَّة، اشرح ذلك.

س٥ ــ العقيدة الإسلامية وسطٌ في قضيةِ الإرادة الإنسانية، بيِّن ذلك.

س٦ ــ اذكر دليلاً لما يلي:

(أ) تنزيه الله سبحانه عن مُشَابهة مخلوقاته.

(ب) صفاتُ اللّـهِ سبحانه إيجابيَّةٌ فعَّالة.

(ج) اختيارُ الإنسان ومشيئته فوقها إرادةُ الله تعالى ومشيئته.

❑❑❑

الدرس السادس والسبعون

٦ ــ عقيدةٌ عَمَلِيّة

إنَّ العقيدة التي قرَّرها القرآنُ الكريم عقيدةٌ عمليَّة إيجابيَّة يَتَعدَّى أثرها إلى السُّلوك، ويظهر في العمل، ولذلك يذكر اللّـهُ عزَّ وجَلّ الإيمانَ في القرآن مقروناً بالعمل الصالح.

ومَثَلُ عقائد الإيمان في قلب المؤمن كَمَثَلِ عُصارة الحياةِ في قلب الشجرة، منها قيامها وبقاؤها ونماؤها وثمرها، وكذلك عقيدة المسلم تمدُّه بروح العمل والثبات.

فالإسلامُ لا يقبل من المسلم أن تكون عقيدته نظريَّة، وإيمانه مُجرَّد فكرة لا أَثَرَ لها في فعل خير أو ترك شر، ولكنه يطالبه بأن يكون ذا إيمانٍ عمليٍّ، وعقيدة إيجابيَّة تثمر في نفس صاحبها وفي حياة الناس.

«فالقرآنُ يُخبرنا عن الغيب الَّذي يثمر عملاً وسلوكاً حسناً، ولا يتحدَّث عنه حديثاً فلسفياً نظرياً.

وإليك بعض الأمثلة عن الجانب العمليِّ في حقائق الإيمان بالغيب.

(أ) الأسماء والصفات :

لا يجدُ المؤمن اسماً لله تعالى أخبرنا الله تعالى به إلاَّ ولَه تأثيرٌ عَمَلِيٌّ في تزكية النفس وسلوك الإنسان .

والمؤمن «إذا قال : (**السميع البصير**)، علم أنه لا يَخْفى على الله خافية، وأنه بمرأى منه ومَسْمَعٍ، فيخافه في سِرِّه وعلَنِه، ويُراقبه في كافَّةِ أحواله .

وإذا قال : (**الرزاق**)، اعتقد أنه سبحانه المُتكفِّلُ برزقه، يسوقه إليه في وقته، فيثقُ بوعده، ويعلمُ أنه لا رازقَ له غيره، ولا كافيَ له سواه .

وإذا قال : (**الضار النافع**) اعتقد أَنَّ الضُّرَّ والنفع من قِبَلِ الله جلَّ وعزَّ، لا شريكَ له، وأنَّ أحداً من الخلق لا يَجْلب إليه خيراً، ولا يصرف عنه شرّاً، وأن لا حول لأحدٍ ولا قوةَ إلاَّ به»[1] .

والعاصي الَّذِي يقرأ أَنَّ الله هو : (**الرحمن الرحيم، الغفور الودود**)، يعلم أَنَّ معصيته لن تحول بينه وبين التوبة، فيستغفر الله ويتوب إليه، ولا ييأس من رحمته ولا يقنط من مغفرته، كما قال سبحانه : ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمَر : ٥٣] .

والمُكَابر والمُعَانِد إذا قرأ : أَنَّ الله هو (**القوي، الجبار، القهار، الشَّديد العقاب**)، فَإِنَّ الإيمان بهذه الأسماء تُعرِّفه بحقيقته، وتُحطِّم كبرياءَه .

فأسماء الله الحسنى كُلُّهَا واضحةُ المعنى قويَّةُ التأثير .

---

(١) شأن الدعاء، للإمام الخطابي ص ٢٧ .

(ب) النبوَّات :

حدَّثنا القرآنُ عن الأنبياء والمرسَلين حديثاً يدفع المؤمنَ إلى الاهتداء بهديهم والسَّيْرِ على منهجهم، وإليك أهمَّ السِّماتِ التي أكَّدَ عليها القرآن الكريم :

١ ــ ذَكَرَ اللَّـهُ تعالى في كتابه كثيراً من صفاتِ هؤلاء الصَّفْوَةِ الأخيار : كالأمانة، والصِّدق في التَّبليغ، والتَّجرُّدِ لله في الدعوة، والعفاف والطُّهر، والحِلْمِ والصبر، واللين والتواضع .

٢ ــ ذَكَرَ اللَّـهُ سبحانه تأييده لأنبيائِهِ ورُسُلِهِ بالمعجزات الدَّالَّةِ على صدقهم .

٣ ــ فصَّلَ القرآن قَصَصَ الأنبياء، وذَكَرَ جهادَهُمْ مع أقوامهم وصبرهم ونتائج هذا الصِّراع بتكرارٍ وتأكيدٍ وتنويع .

٤ ــ بيَّنَ القرآنُ حقَّ الرسول ﷺ على أمَّته في الحبِّ والأدب والطاعة والاقتداء .

هذه أبرز السِّماتِ التي أكدها القرآن في موضوع النبوات، في حين لم يرد في القرآن الكريم تفصيلٌ في أوصافهم الخِلْقِيَّةِ أو لغاتهم وأعمارهم .

إنَّ كل ما قصَّه القرآن علينا من أخبار الأنبياء لتحقيق الاهتداء بهم وحَمْل ميراثهم وتحميلنا المهمة التي كُلِّفَ بها الأنبياء ولم تَمُتْ بموتهم، وهي الدعوة إلى الله سبحانه .

(ج) السَّمعِيّات :

وفي باب السَّمْعِيَّات[1] (اليوم الآخر والعوالم الغَيْبِيَّةِ كالملائكة والجن)، يُحدِّثُنا القرآن بما فيه نفعنا ودفعنا إلى العمل.

فاليوم الآخر جاء وصفه في القرآن بصورةٍ تجعلك تراه كَأَنَّهُ رأي العين، وكلما قرأتَ آيةَ عذابٍ اسْتَعَذْتَ باللّهِ وعَزَمْتَ على التوبة، وكلما قرأت وَصْفَ الجنة ونعيمها: هزَّكَ الشوق إليها ودفعك إلى المزيد من الطاعة.. ويعرض القرآن حقائق اليوم الآخر بأسلوبٍ يكاد يخلع القلوب هيبة وخوفاً، أو لذَّةً وأُنساً.

والإيمان بالملائكة يُبيِّن القرآن علاقتهم بالإنسان، فهُم يراقبونه ويُحصون عليه كلَّ كبيرةٍ وصغيرةٍ، ويستغفرون له، ويحفظونه، وينصرونه على أعدائه..

ويُحدِّثنا القرآن عن **الجن**، ويُبيِّنُ أنهم خَلْقٌ لا يختلف كثيراً عن الإنس، من حيث التكليف والقدرة على الخير والشر، وأكثر ما أكَّدَ عليه القرآن التحذير من الشياطين الَّذِينَ يُزيِّنون الباطل، ويحاولون إغواءنا، ليستقيم الإنسان على الطريق القَويم»[2].

المناقشة

س١ ـ ما معنى أَنَّ العقيدة الإسلامية عقيدةٌ عملية؟

س٢ ـ ما أثر الإيمان بالأسماء والصفات في تزكية النفس؟

س٣ ـ ما أهم السِّماتِ التي أكَّدَ عليها القرآن في حديثه عن النُّبُوَّات؟ وما الحكمة من ذلك؟

س٤ ـ ما السَّمعيات، وما الجانب العملي في الإيمان بها؟

(١) وهي الأمور العَقَدِيَّة التي ثبتت بالسمع ـ أي بالخبرِ الصادق ـ .

(٢) «العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين»، للدكتور محمد عياش الكبيسي ص ٢٨ ـ ٣١ بتصرُّف واختصار.

الدرس السابعُ والسبعون

٧ ـ الشُّمول (شمول العقيدة الإسلامية)

العقيدة الإسلامية عقيدةٌ شاملةٌ من أيِّ جانبٍ نظَرْتَ إليها[1]، وذلك من خلال:

(أ) تفسير القضايا الكبرى في هذا الوجود:

فهي تُوصَف بالشُّمول، باعتبار أنها **تُفسِّرُ كُلَّ القضايا الكبرى في هذا الوجود**، تلك القضايا التي شَغَلت الفكرَ الإنساني، ولا تزال تشغله، وتُلِحُّ عليه بالسؤال، وتَتَطَلَّبُ الجوابَ الحاسم الَّذي يُخرِجُ الإنسان من الضَّياع والشَّك والحَيْرة، وينتشله من مَتَاهات الفلسفات والنِّحَلِ المتضاربة قديماً وحديثاً: **قضية الألوهية، قضية الكون، قضية الإنسان، قضية النبوة، قضية المصير**.

فإذا كانت بعض العقائد تُعنى بقضية الإنسان دون قضية الألوهية والتوحيد، أو بقضية الألوهية دون قضية النبوَّة والرسالة، أو بقضية النبوَّة دون قضية الجزاء الأُخرَوي، فَإِنَّ عقيدة الإسلام قد عُنيت بهذه القضايا كلِّها، وقالت كلمتها فيها، بشمول واضح، ووضوح شامل.

(١) الخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي ص ١١٣ ـ ١١٥ بتصرُّفٍ وزيادة.

(ب) **لا تُجَزّىءُ الإنسان بين إلـهَين اثنين:**

وتُوصَفُ العقيدة الإسلامية بالشمول كذلك، **لأنها لا تُجَزّىء الإنسان بين إلـهين اثنين**: إلـه الخير والنور، وإلـه الشرّ والظلمة، كما كان في المجوسيَّة، أو بين الله والشيطان الَّذي سُمِّيَ في الأناجيل باسم «رئيس هذا العالم»، واسم «إلـه هذا الدهر»، وانقسم العالم بينه وبين الله، فله مملكةُ الدنيا، ولله ملكوت السموات؟!!.

(ج) **اعتمادها على العقل والقلب:**

وتـوصـف العقيـدة الإسـلامية بـالشمـول مـن نـاحيـةٍ أخـرى، وهـي: أنها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان أو الشعور وحده، كما هو شأن المسيحية التي ترفض تدخُّل العقل في العقيدة رفضاً باتاً، بحيث لا تُؤْخَذ إلَّا بالتَّسليم المُطْلَق، على حدِّ قولهم: اعتقد وأنت أعمى.

وهي كذلك لا تعتمد على العقل وحده، كما هو شأن جُلِّ الفلسفات البشريَّة التي تَتَّخِذُ العقلَ وسيلَتها الفَذَّة في معرفة الله وحلِّ ألغاز الوجود، وإنما تعتمد على الفكر والشعور معاً، أو العقل والقلب جميعاً، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية، الوعي الإنساني.

إنَّ الإيمان الإسلامي الصحيح هو الَّذي ينبعث من ضياء العقل وحرارة القلب، وبذلك يؤدي دوره، ويؤتي أُكُلَه في الحياة.

(د) **شمول النفس الإنسانيَّة:**

وتوصف العقيدةُ الإسلامية بالشمول في الجمع بين الدنيا والآخرة، وبين الروح والجسد، وإيجاد الشخصيَّة السويَّة المتوازنة، بينما نجد العقائد الأخرى تؤدي إلى انقسام الشخصيَّة الإنسانيَّة، بين مَطَالب الجسد ومَطَالب

الروح، وبين سلطان الأرض وسلطان السماء، فتُصاب النفسُ الإنسانية بالانفصام والازدواجية.

(هـ) **شمول الأمم الإنسانية:**

«وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول، لأنها تشمل الأمم الإنسانية جميعاً، كما تشمل النفس الإنسانية بجملتها من عقلٍ وروحٍ وضميرٍ، فليس الإسـلامُ ديـنَ أمَّـةٍ واحـدةٍ، ولا هـو ديـن طبقـةٍ واحـدة، وليـس هـو للسـادة المُسلَّطيـن، دون الضعفـاء المُسخَّـريـن، ولا هـو للضعفـاء المُسخَّـريـن دون السادة المُسلَّطين، ولكنه رسالة تشملُ بني الإنسان من كل جنسٍ ومِلَّة»[١].

(و) **عقيدةٌ لا تقبل التَّجزئة:**

وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول أيضاً، لأنها عقيدةٌ لا تقبل التجزئة، ولا بد أن تؤْخذ كلها بكل محتوياتها دونَ إنكار، أو حَتَّى شك في أي جزءٍ منها. فمن آمن بـ **٩٩**٪ من مضمون هذه العقيدة وكفر بـ **١**٪ لم يعد بذلك مسلماً، فالإسلام يقتضي أن يُسلم الإنسان قيادَه كلَّه لله، ويؤمن بكل ما جاء من عنده.

(ز) **الشُّمولُ بالإيمانِ بكلِّ ما أُنزلَ على رسول الله ﷺ:**

فالعقائد الإسلامية لا تختصُّ بالإيمان بالغيب وحده، مثل الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة، وإنما تتناول كلَّ أصلٍ ثابتٍ وخبرٍ صادقٍ صحَّ عن نبيِّنا ﷺ وعُلِمَ من الدين بالضَّرورة، فمن جَحَدَ شيئاً من ذلك كان كافراً.

فعقائـد الإسـلام تتنـاول جملـةَ أصولـه وأركانـه وأخبـاره وأحكامـه

(١) الإسلام في القرن العشرين، للأستاذ عباس العقاد ص ٣١ و ٣٢.

المقررة الثابتة بالكتاب والسنَّة، فذلك مقتضى الإيمان[1].

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ الإيمان بِكُلِّ كتابٍ أُنزل أو رسولٍ بُعث:

فمَن آمنَ بمحمد ﷺ وكفر بموسى أو عيسى عليهما السلام؛ فهو كافرٌ بمحمد وبما أُنزل على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

«وإذا كانَ في أتباع الأنبياء ـ ممَّن يدَّعونَ الانتسابَ إلى واحدٍ منهم ـ مَن يطعن على غير نبيِّه، فإنَّ الإسلام أوْجَبَ على المسلمِ تعظيمَ الأنبياءِ والرُّسُلِ جميعاً، فإذا أساءَ القولَ في واحدٍ منهم، أو طعنَ عليه خالفَ طريق الإسلام.

فالمسلمُ يؤمنُ بموسى وعيسى وغيرِهما من رسُلِ اللّـٰهِ عليهم السلام، كما يؤمنُ برسالةِ محمدٍ ﷺ، ويُجِلُّهُم ويكبرهم كإكبارِهِ محمداً وكإجلاله إيَّاهُ ﷺ.

واليهوديُّ الَّذي دخلَ النصرانية كما جاءَ بها المسيح لم يخسر موسى، ولكنه ربحَ معه عيسى، والنصرانيُّ الَّذي يدخل اليوم في الإسلام لا يخسر عيسى وموسى، ولكن يربح معهما محمداً صلوات الله عليه وعلى جميعِ الأنبياء والمرسلين»[2].

ولذلك أنكرَ اللّـٰهُ سبحانه أَشَدَّ الإنكار على بني إسرائيل الَّذِينَ يؤمنون

(١) التوحيد، للصف الأول الثانوي بقَطَر، للشيخ عبد المعز عبد الستار ص ١١٥ ـ ١١٩ باختصار.

(٢) تعريف عام بدين الإسلام، لأستاذنا الطنطاوي ص ١٦٤.

ببعض الرُّسُلِ دونَ بعض: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

وأنكَرَ سبحانه على بني إسرائيل إيمانهم ببعض الكتاب الإلـٰهي دونَ بعض: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

٢ ـ الإيمان بفرائض الإسلام:

كما تشملُ العقيدةُ الإسلامية الإيمانَ بكلِّ كتابٍ أُنزلَ، أو رسولٍ أُرسِلَ، كذلك فهي تشمل الإيمانَ بفرائضِ الإسلام، واعتقادَ وجوبِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والحجِّ والجهادِ والميراثِ والحجابِ كما ذَكَرَهُ الله عزَّ وجَلَّ في كتابه وبيَّنَهُ رسولُه ﷺ في سُنَّته؛ فمن جَحَدَ شيئاً من ذلك فقد كفر.

٣ ـ الإيمانُ بِحِلِّ الحلال وحرمة الحرام:

وتشمل العقيدةُ الإسلامية كذلك الإيمانَ بالحلال والحرام على النحو الَّذي شرَعَهُ الله عزَّ وجَلَّ في كتابه وسنَّةِ رسوله ﷺ.

فالله عزَّ وجَلَّ حرَّمَ الرِّبَا، والزنى، وقَتْلَ النفس إلاَّ بالحق. فمن اعتقد حِلَّ شيءٍ مِمَّا حرَّم الله، أو حُرمَةَ شيءٍ مِمَّا أَحَلَّ الله؛ فقد كفر.

وهكذا تشملُ عقائدُ الإسلام التَّصديقَ بكلِّ ما ثبت عن رسول الله ﷺ ثبوتاً قاطعاً، سواء أكان من أنباء الغيب، أم من العبادات، أم من أحكام الإسلام وشرائعه.

المناقشة

س١ ــ ما القضايا الكبرى التي تفسِّرها العقيدة الإسلامية؟

س٢ ــ العقيدة الإسلامية لا تُجَزِّىء الإنسان بين إلـٰهين اثنين، وضِّح ذلك.

س٣ ــ العقيدة الإسلامية تعتمد على العقل والقلب، بيِّن ذلك.

س٤ ــ العقيدة الإسلامية تشمل النفس الإنسانية، والأمم الإنسانية، اشرح ذلك.

س٥ ــ العقيدة الإسلامية تشمل الإيمان بكل ما أنزل على رسول الله ﷺ، وضِّح ذلك.

س٦ ــ ما حكم مَن آمنَ ببعض الرُّسُلِ أو الكتبِ وكفر ببعضها الآخر؟ اذكر دليلاً على ما تقول.

س٧ ــ ما حكم من جحدَ شيئاً من فرائض الإسلام الثابتة؟

س٨ ــ ما حكم من اعتقد حِلَّ شيءٍ مِمَّا حرَّمَ الله، أو حُرْمَةَ شيءٍ ممَّا أَحَلَّهُ الله؟

❑ ❑ ❑

المصَادر وَالمَراجع

١ ــ **ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة**: عبد الرحمن حبنَّكة الميداني (ت ١٤٢٥). دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢ ــ **الأدب المفرد**: للإمام البخاري (ت ٢٥٦). دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٣ ــ **الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله**: للأستاذ عباس محمود العقاد (ت ١٣٨٣). دار الكُتُب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤هـ.

٤ ــ **الإسلام كَمَا فهمت**: لمحمد القاسمي. دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٥ ــ **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**: للخطابي (ت ٣٨٨). مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٦ ــ **الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم**: للدكتور يوسُف القرضاوي. مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٧ ــ **الإنسان مُسيَّرٌ أم مخيَّر**: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٨ ــ **الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٩ ــ **الإيمان بالملائكة عليهم السلام**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ.

١٠ ــ **الإيمان بالقضاء والقدر**: للشيخ أحمد عز الدين البيانوني (ت ١٣٩٥). دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١١ ــ **إيماننا الحق بين النظر والدليل**: إبراهيم النعمة. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٢ ــ **الإيمان والحياة**: للدكتور يوسف القرَضاوي. مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ.

١٣ ــ **التذكِرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**: للإمام القرطبي (ت ٦٧١). دار الكُتُب العلمية ببيروت ١٤٠٢هـ.

١٤ ــ **تعريف عام بدين الإسلام**: للأستاذ علي الطنطاوي (ت ١٤٢٠). طبعة دار المنار الأولى بجدة ١٤٠٩هـ.

١٥ ــ **الترغيب والترهيب**: للمنذري (ت ٦٥٦). ضبطه: مصطفى عمارة، مصورة دار الكُتُب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.

١٦ ــ **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**: للإمام محمد أنور الكشميري (ت ١٣٥٢). تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

١٧ ــ **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير (ت ٧٧٤). دار الكُتُب العلمية، بيروت.

* تفسير الخازن = لباب التأويل.
* تفسير الطبري = جامع البيان.
* تفسير النسَفي = مدارك التنزيل.

١٨ ــ **التوحيد**: للصف الثاني والثالث الثانوي في المعهد الديني الثانوي بقطَر. تأليف: يوسف القرَضاوي، وعليوة مصطفى، وعلي جمَّاز، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٩ ــ **التوحيد والفقه**: للمرحلة الإعدادية بدولة قَطر (١ ــ ٣). تأليف: لجنة من وزارة التربية والتعليم، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٤هـ.

٢٠ ــ **التوحيد**: للمرحلة الثانوية. وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ.

٢١ ــ **التوحيد**: للمرحلة الإعدادية في اليمن (١ ــ ٣). تأليف: عبد المجيد الزنداني، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

٢٢ ــ **توحيد الخالق**: للمرحلة الثانوية في اليمن (١ ــ ٣). تأليف: عبد المجيد الزنداني، وأحمد سلامة، وعبد الله الجرافي، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

٢٣ ــ **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦). تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٤ ــ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: للطبري (ت ٣١٠). الطبعة الثانية، دار التربية والتراث بمكة المكرمة.

٢٥ ــ **جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**: لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥). تحقيق إبراهيم باجس، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٦ ــ **حقيقة التوحيد**: للدكتور يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة، الطبعة السابعة ١٤٠٩هـ.

٢٧ ــ **حول تفسير سورة الفاتحة**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). دار الفلاح بحلب، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٨ ــ **حول عالم الجن، بحث مختصر ملحق بكتاب الإيمان بالملائكة**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

٢٩ ــ **الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة والنار**: لغالب العواجي. دار لينة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٠ ــ **الخصائص العامة للإسلام**: للدكتور يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ.

٣١ ــ **خواطر دينية**: للشيخ عبد الله بن الصِّدِّيق الغماري الإدريسي (ت ١٤١٣هـ). مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٣٢ ــ **دلالة القرآن المبين عَلَى أَنَّ النبيَّ أفضل العالمين**: للشيخ عبد الله بن الصديق (ت ١٤١٣). المكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٣ ــ **رسالة المسترشدين**: للحارث المحاسبي (ت ٢٤٣). تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثامنة، بيروت ١٤١٦هـ.

٣٤ ــ **الرسول المعلم**: للشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧). مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٧هـ.

٣٥ ــ **السنة مَصْدراً للعلم والحضارة**: للدكتور يوسف القرضاوي. مركز بحوث السنَّة والسيرة بجامعة قطر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٦ ــ **سنن ابن ماجَهْ**: (ت ٢٧٥). طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصوَّرة دار الكُتُب العلمية.

٣٧ ــ **سنن أبي داود**: (ت ٢٧٥). دار الكُتُب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٨ ــ **سنن الترمذي**: (ت ٢٧٩). ابتدأ تحقيقها أحمد محمد شاكر، وأتمها محمد فؤاد عبد الباقي، تصوير دار الكتب العلمية.

٣٩ ــ **سنن النسائي**: (ت ٣٠٣). الطبعة المفهرسة التي اعتنى بِهَا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٠ ــ **شأن الدعاء**: للخطابي (ت ٣٨٨). دار المأمون بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤١ ــ **شرح حديث عمار بن ياسر**: للحافظ ابن رجب (ت ٧٩٥). مكتبة السوادي بجدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٢ ــ **شرح صحيح مسلم**: للإمام النووي (ت ٦٧٦). المطبعة المصرية.

٤٣ ــ **شرح العقيدة الطحاوية**: لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢). تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٤ ــ **شرح المواهب اللدنية**: للزرقاني (ت ١١٢٣). الأزهرية ١٣٢٥هـ.

٤٥ ــ **شهادة لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). مكتبة دار الفلاح بحلب، الطبعة الأولى.

٤٦ ــ **صحيح البخاري**: للإمام البخاري (ت ٢٥٦) المطبوع مَعَ فتح الباري. المكتبة السلَفية، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٤٧ ــ **صحيح مسلم**: للإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١). طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٨ ــ **العبودية**: لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨). المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

٤٩ ــ **العقل والعلم في القرآن الكريم**: للدكتور يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٠ ــ **العقيدة الإسلامية (١ ــ ٣)**: للمرحلة الثانوية للمعاهد الشرعية في سوريا. تأليف: محمد رواس قلعه جي، ولطفي الفيومي، ومصطفى الخن، وغسان طه.

٥١ ــ **العقيدة الإسلامية (أركانها، حقائقها، مفسداتها)**: للدكتور مصطفى الخن، ومحيي الدين مستو. دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥٢ ــ **العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين**: للدكتور محمد عياش الكبيسي. رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٤١٥هـ.

٥٣ ــ **العقيدة الإسلامية منهج ميسَّر**: للأستاذ عبد الوارث مبروك سعيد. دار القلم بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٤ ــ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢). المكتبة السلَفية، دار الريان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٥٥ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير** : للمناوي (ت ١٠٣١). دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ.

٥٦ ـ **القاموس المحيط** : للفيروزآبادي (ت ٨١٧). مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٥٧ ـ **القضاء والقدر** : لأبي الوفاء محمد درويش. دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٨ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل** : للإمام علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت ٧٤١). مصورة دار الفكر، بيروت.

٥٩ ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** : للحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥). تحقيق محمد ياسين السواس، دار ابن كثير بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٦٠ ـ **مجلة المسلمون** : المجلد الثامن، العدد الأول، دمشق، سنة ١٣٨٣هـ.

٦١ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : للحافظ الهيثمي (ت ٨٠٧). دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٦٢ ـ **المختار من كنوز السنّة النبويّة، شرح أربعين حديثاً في أصول الدين** : للدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧). إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطَر، الطبعة الرابعة.

٦٣ ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** : للإمام النسَفي (ت ٧٠١). المطبوع بحاشية تفسير الخازن.

٦٤ ـ **المدخل إلى التفسير الموضوعي** : للدكتور عبد الستار سعيد. دار التوزيع الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٦٥ ـ **مدخل لمعرفة الإسلام** : للدكتور يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٦٦ ـ **المستدرك عَلَى الصحيحين** : للحاكم (ت ٤٠٥). دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٧ ـ **المسند** : للإمام أحمد (ت ٢٤١). المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

٦٨ ـ **المسند** : لأبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧). تحقيق حسين الأسد، دار المأمون بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٦٩ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** : للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي. مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.

٧٠ ـ **المعجم الوسيط** : مجمع اللغة العربية بالقاهرة. مصورة دار الفكر ببيروت عن طبعة دار المعارف بمصر.

٧١ ـ **معيدُ النِّعم ومُبيد النِّقَم** : لتاج الدين السبكي (ت ٧٧١). مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٧٢ ـ **المعين على تدبُّر الكتاب المبين** : لمَجْد بن أحمد مكي. مؤسسة الريان ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٧٣ ـ **مفردات ألفاظ القرآن** : للراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥). تحقيق صفوان داوودي، دار القلم بدمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٧٤ ـ **من صحاح الأحاديث القدسية، مائة حديث قدسيّ مَعَ شرحها** : للشيخ محمد عوامة. دار القبلة للثقافة الإسلامية بجُدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧٥ ـ **مناهج المواد الشرعية للمدارس الشرعية الإعدادية والثانوية في سوريا** : وضعها الشيخ علي الطنطاوي عام ١٣٨٠هـ.

٧٦ ـ المنهاج القرآني في التشريع : للدكتور عبد الستار سعيد. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧٧ ـ **موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى** : للدكتور يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٧٨ ـ **نبوة محمد ﷺ في القرآن**: للدكتور حسن عتر. طبعة دار البشائر الإسلامية الأولى ببيروت ١٤١٤هـ.

٧٩ ـ **نور الاقْتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس**: للحافظ ابن رجب (ت ٧٩٥). دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٤هـ.

٨٠ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦). طبعة أنصار السنَّة بلاهور، المصوَّرة عن طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٣هـ.

٨١ ـ **هديُ القرآن إلى الحجة والبرهان**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). مكتبة الفلاح بحلب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٢ ـ **هديُ القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان**: للشيخ عبد الله سراج الدين (ت ١٤٢٢). مكتبة الفلاح بحلب، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❑ ❑ ❑

المحتوى

الفصل الأول: الإيمان بالله عزَّ وجَلّ

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة عليهم السلام

عالم الجن والشياطين

الموضوع — الصفحة

الفصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية

الموضوع — الصفحة

الفصل الرابع: الإيمان بالرسُل عليهم السلام

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر

الموضوع	الصفحة
الدرسُ الخامس والأربعون: ٦ ــ أشراط الساعة	٢٦٠
معنى الساعة	٢٦٠
قيامُ الساعة	٢٦٠
علاماتُ السَّاعة الصُّغرى	٢٦١
١ ــ بعثه الرسول ﷺ	٢٦١
٢ ــ ضياعُ الأمانة	٢٦٢
٣ ــ انقلاب الحقائق وانعكاسُ الأمور	٢٦٢
المناقشة	٢٦٣
الدرسُ السادس والأربعون: علاماتُ الساعةِ الكُبرى	٢٦٤
١و٢ ــ خروجُ المسيح الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام	٢٦٤
٣ ــ خروج يأجوج ومأجوج	٢٦٥
٤ ــ خروج الدابة من الأرض	٢٦٦
٥ ــ طلوعُ الشمسِ من المغرب	٢٦٧
علاماتٌ أخرى	٢٦٧
المناقشة	٢٦٨
الدرسُ السابع والأربعون: ٧ ــ البعث	٢٦٩
النفخ في الصُّور	٢٦٩
استبعاد المشركين البعث	٢٧٠
أدِلَّة البعث	٢٧٠
اختلاف أحوالِ الناس عند البعث	٢٧١
المناقشة	٢٧٢
الدرسُ الثامن والأربعون: ٨ ــ الحشر	٢٧٣
حالةُ الناس في موقف الحشر	٢٧٤

الموضوع	الصفحة
حَشْرُ الكافرين	٢٧٤
حَشْرُ المتكبِّرين	٢٧٥
من أهوالِ الموقف	٢٧٦
١ ــ دنوُّ الشمس من رؤوس الخلائق	٢٧٦
٢ ــ طول الموقف	٢٧٦
المناقشة	٢٧٨
الدرسُ التاسع والأربعون: الحوض والشفاعة العظمى	٢٧٩
٩ ــ الحوض	٢٧٩
الحوض في اللغة والشرع	٢٧٩
صفة الحوض	٢٨٠
مَن يَرِدُ الحوض ومَن يُحرمُ من ورودِه	٢٨٠
١٠ ــ الشفاعة	٢٨١
معنى الشفاعة	٢٨١
الشفاعة العظمى	٢٨٢
المناقشة	٢٨٣
الدرسُ الخمسون: أنواع الشفاعة وشروطها	٢٨٤
الشفاعات الخاصة لرسول الله ﷺ	٢٨٤
أقسام الشفعاء	٢٨٥
شفاعةُ الأنبياء، والملائكة، والشُّهداء	٢٨٥
شفاعة الولدان في آبائهم	٢٨٦
شفاعة القرآن العظيم	٢٨٦
شروطُ الشفاعة	٢٨٦
المناقشة	٢٨٧

الفصل السادس: الإيمانُ بالقَدَر

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصلُ السابع: خصائص العقيدة الإسلامية

الموضوع	الصفحة

بحمد الله تم

هَذَا الكِتَابُ

. . . والحقيقة أنِّي وجدتُ الكتاب جامعاً شاملاً لكلِّ أركان العقيدة الستّة؛ من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

وقد راعى المؤلِّف ما ينبغي أن يُراعى في هذا التأليف المدرسي، من حيث وضوح الفكرة، وحُسْن العرض، وسلاسة الأسلوب، وجودة التقسيم والتبويب، وتوثيقه بالأدلّة العقليّة والشرعيّة، ووضع العناوين الجانبيّة المعينة على حسن الفهم، وختم كل درس بأسئلة مناسبة له، بل أضاف إلى ذلك ذكر توجيهات نافعة للمدرِّسين، هي ثمرة معرفة وخبرة وتجربة ولا شكّ.

كما اهتمَّ المؤلِّف الكريم ببيان آثار العقائد الإسلامية في النفس والحياة، أو في الفرد والمجتمع، مثل آثار التوحيد، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقدر وغيرها، كما بدأ كتابه ببيان أوجه الحاجة إلى العقيدة.

وعني كذلك ببيان خصائص العقيدة الإسلامية ومزاياها على غيرها من العقائد الدينيّة والإيديولوجيّة الوضعيّة المختلفة التي عرفها النّاس.

وقد أحسن المؤلِّف ـ سدَّده الله ـ حين جعل عمدته ومرتكزه الأوَّل: القرآن الكريم؛ لأنَّ أُسس العقائد ثابتة بالقرآن، فلا تكاد تخلو صفحة من الكتاب إلَّا وفيها آية أو أكثر، ثمَّ ما لا بدَّ منه من صحاح الأحاديث وحسانها، بما يزيد الأمر وضوحاً.

الدكتور يوسف القرضاوي